

الحكيم
راجي عباس التكريتي

الاسناد
الطبي في
الجيش
العربية
الاسلامية



بسم الله القادر
الغادر

المشرفة من شارع المتنبي ببغداد

فسي 26 / شوال / 1443 هـ

فسي 27 / 05 / 2022 م هـ

سرمه حاتم شكر السامرائي



١٩٨٤

٢٠٠٠ م حاتم شكر

الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام
سلسلة الدراسات
(٣٧٠)

الاسناد الطبي في الجيوش العربية - الاسلاميّة

الحكيم
راجي عباس التكريتي



الأهداء

الى شهداء الطبابة الابرار الذين
نزفوا الدم من اجل حقهم وما
الاخرين وفاضة ارواحهم فداى
لدواعى القتلىين .

المؤلف



المقدمة

ان تلج موضوعا لم يسخر في اعماقه الآخرون لا يخلو من متعة وفائدة واحساس بالرضا والسعادة احيانا والتفاؤل بأنك ستقدم شيئا جديدا ، ولكن وبكل تأكيد لا يخلو هذا المركب من صعوبة ومعاناة في ايجاد المصادر والغور في اعماقها لتجد اشارة هنا وبعض كلمات هناك - حيث لم تتطرق كتب التاريخ والسير والتراث عن الخدمات الطبية العسكرية والاسناد الطبي الا اشارة من خلال اصابة فلان أو توضيحا عن معالجة المقاتل كذا وانما تحدثت بأسهاب واطناب عن الجيوش والحروب والنهب والسلب والشجاعة والقتل والتدمير ولكنها لا تذكر عن الخدمات الانسانية والاطباء والمرضين الذين رافقوا تلك الجيوش والحملات الا لماماً •

وهكذا وجدت بعض الصعوبة في ايجاد المصادر المناسبة والكتب التاريخية الموافقة لما اريد التحدث عنه والكتابة فيه ، فربما تصفحت اجزاء عدة من هذا السفر أو ذاك دون ان اجد ولو كلمات قليلة مما ابحت عنه وابتغيه •

وقد فكرت بادىء ذي بدء ان اخرج البحث على هيئة بحث قصير
لاقدمه الى مؤتمر الجمعية الطبية العراقية وان لا يخرج عن بضع صفحات .
ولكن مع الوقت استهواني البحث والاطلاع فاطلقت لنفسي العنان لمزيد من
التقصي وتصفح الكتب والمؤلفات التي كتبت في التاريخ ، تأريخ الحروب
والغزوات الاسلامية وكذا الكتب التي تناولت الطب العربي الاسلامي بشكله
الواسع وذهبت ابعد من ذلك بالرجوع الى المصادر والينابيع التي استقى منها
العرب معلوماتهم الطبية ، والتي تخص الحروب - انتزاع السهام
والازجة - والتعامل مع الجراحات الكبيرة والنزف ، فالاسلام لعب دوراً
مهما ومميزا في تطوير هذا النوع من الطب ، الامر بالطب ، والتوصية
بالعلاج يشل الركن المهم والمنطلق القوي لتطوير المعرفة الطبية وخوض
غسارها - دون تردد أو حرج . ومرافقة الآسيات ونساء المسلمين للجيش
الاسلامية في صدر الاسلام - وتكريهن من قبل الرسول محمد (ص)
بشل العامل الثاني والقوي في تطوير الاسناد الطبي العسكري وكذا توصية
الرسول الكريم بغسل الجراح في معركة احد بالماء المغلي - وهذا الركن المهم
الثالث في نظافة الجروح وتعقيمها ومن ثم سرعة شفائها .

ونصب اول خيمة اسلامية في معركة الخندق - وغزوات الرسول لبني قريظة
وبني النضير - الركن الرابع في حث الجيوش الاسلامية بتطوير وتشجيع
الطب العسكري فيها .

ومع هذا كان قبل ذلك طب ومعرفة اذ كان كهان القبائل وعراف
العشائر والكثير من النسوة على اطلاع واسع بالتعامل مع الجرحى والقتلى
الذين يخرون صرعى وجرحى في حروبهم وغزواتهم التي لم تنقطع ساعة ولم
تهدأ يوماً من الايام وانحدرت تلك المعارف وازدادت العلوم الطبية بالخبرة
والتجربة وكذا من الاقتباس والمحاكاة من الاقوام المحاذية لارض الجزيرة العربية -

الحبشة في الجنوب والرومان في الشمال والهند عبر البحار والفرس في الشرق ، وكانت حضارة ومعرفة ومدارس طبية هنا وهناك .

فالاسكندر على سبيل المثال عندما غزا الارض العربية واستقر لبعض الوقت في بلاد الرافدين - في مدينة بابل - كان قد جلب معه الاطباء . وفي ارض بابل قبل ذلك كانت هناك حضارة وثقافة ومعرفة بالطب ومعالجة الجرحى مستدة بعيدا الى زمن السومريين - وشالا كان ما يشابه ذلك في نينوى وآشور والحضر وتدمر والبتراء والانبار وسبأ .

نعم امتدت تلك المعارف وانتقلت الخبرة عبر الاجيال لتزداد في جانب وتقل أو تنعدم في جانب آخر . الى ان تلققتها الدولة الاسلامية النامية والتي رعتها ودعستها وشجعته العقيدة الاسلامية وانتشرت وتطورت مع تطور العلوم والحضارة والمعرفة . وقد كتب الكثير عن الطب العربي . والطب الاسلامي في مختلف ادواره وعصوره ولكن لم يتطرق باحث أو كاتب عن الطب العسكري - أو الاسناد الطبي في الجيوش الاسلامية .

وهكذا كانت فكرة ومن ثم تحولت الى رغبة وشوق لخوض غمار هذا البحث الذي وجدت فيه زيادة بالمعرفة والاطلاع ورغبة وحبا في التحري والتعمق ، واضعا اول خطوة لألقي بعض الضوء على الطب العسكري وكيف بدأ لدى الانسان الاول وما هي المراحل التي مر بها والاقوام المجاورة لأرض العرب واحتمال انهم قد اثروا بالمعرفة العربية بالاختلاط أو الزيارات والحروب والغزوات ومن ثم تكلمت بعض الشيء عن المعرفة الطبية في العصر الجاهلي وسائرا مع التسلسل التاريخي ماراً بعهد الرسول الكريم . حيث كانت الاسس الصلبة لانطلاق الدين الجديد ونشر العقيدة وانتشار الجيوش الاسلامية لتحرير الارض ، وتحرير عقل الانسان العربي اولا وبقية الامم من الظلم والظلام وجهالة الاوثان والخرافات وعبودية الانسان ومواكبا

لتطور المعرفة لدى الدولة الاموية والدولة العباسية .. وكيف كان مستوى الطب العسكري في الحروب الصليبية مع اعطاء ملامح بسيطة عن وجه الاختلاف والتباين بين معرفة المسلمين ، وجهل الصليبيين بالطب والعلم والمعرفة بالجراحة الحربية •

كما تطرقت بايجاز عن الاسناد الطبي والخدمات الطبية في بلاد المغرب والاندلس في اوج ازدهارها ، وافردت فصلا كاملا ومطولا في جراحة الحرب وما ذكره المؤلفون في هذا الصدد من فطاحل وعباقره الاطباء العرب والمسلمين كالزهرراوي وابن القف وابن سينا والرازي وعلي بن عباس

ولقد ذكرت امثالا ونقلت الكثير من النصوص كما هي من غير تغير أو تحوير لاضعها امام القارئ والباحث والمطلع واترك مجال الحكم له من غير ان استدرجه لاعطاء هذا الحكم او ذلك اخذا بنظر الاعتبار ان المؤلفين والكتاب هم القلة ممن يمارسون العلوم ويتعاطون الجراحة ، وحتى يومنا هذا ونحن نلاحظ في قطرنا او بقية الاقطار العربية وحتى في العالم الغربي ان الذين يمارسون الطب والعلوم والمعرفة هم اعداد لا تعد ولا تحصى ، والذين يسجلون ملاحظاتهم ويدونونها ويكتبونها وينشرونها لا تشكل الا نسبة قليلة وهكذا يسكننا ان نحكي عصرنا الحاضر بتأريخنا الماضي من ان هناك معرفة وعلوما في الطب العسكري وجراحة الحرب ، ولكن الذين دونوها وكتبوها - وسجلوا معرفتهم وملاحظاتهم هم قلة وبالرغم من هذه المؤلفات والكتب القليلة التي كتبت قياسا الى الاعداد الكبيرة التي مارست الطب العسكري - فإن ما وصل الينا ما هو الا جزء يسير بعد ان ذهب القسم الاعظم من تلك السجلات والصفحات نهبا لظروف الزمن من حرق وغرق وتلف •

وان ما وصل اليه وما وقع تحت يدي لا يعدو الا ان يكون نموذجاً
بسيطاً عن تلك المعرفة والعلوم .

فإن وفقت فأحمد الله واشكره بأني قد أصبت ما أصبو اليه من خدمة
للطب والتراث والتأريخ وحققت بعض ما كنت أبغي وأطمح اليه . وإن كان
خلاف ذلك فلي عذر المحاولة ومغفرة القارئ - ومعتذراً بكسوني هاوياً
للبحث وليس محترفاً لكتابة العلوم والتأريخ .

ولا بد لي ان اعبر عن شكري وتقديري وعرفاني بالجميل الذي أبداه
كل من الاستاذ الفاضل احمد توفيق الحلبي من ملاحظات قيمة وتوجيهات
سديدة صححت بعض هنات كانت موجودة في المسودة الاولى وكذا اشير
بالتقدير والاعتزاز الى الملاحظات والارشاد الى بعض المصادر القيمة التي
اتحفني بها الاستاذ حسن الدبوني جزاها الله عني خيراً .

ولا بد ان اشكر الاخ الصديق عبدالستار محمد ثابت الذي قرأ النسخة
الاولى للكتاب وابدي بعض الملاحظات القيمة واشكر الاخ الدكتور خلف
رشيد على ملاحظاته السديدة .

آمل اني وضعت لبنة مفيدة في صرح الحضارة العربية الاسلامية
ومكتبتها التي اعتقد انها تفتقر الى هكذا مؤلف .
والله من وراء القصد .

المؤلف



نشأة الطب العسكري

طب الحرب وتضميد الجراح وإيقاف الدم المتدفق من الجروح -
الطب العسكري - ان صح التعبير وشمل العلاج الاول ، له علاقة بالطب
العام وربما سبقه .

حياة الانسان المتوحشة الاولى التي كان يحياها بين
الحيوانات المفترسة والقبائل المتوحشة ، والصراع الدائم من اجل البقاء
وحفظ النوع الانساني و ...

والطب من اعرق المهن في التاريخ وانبأها .. وهكذا اجتمعت الشرائع
والادبيات والقصص قديمها وحديثها على نبل وقدسية هذه المهنة لما تمتاز
به من علاقة مباشرة وارتباط متين بحياة الانسان وآلامه واماله (ومن يؤتي
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا) ..

فهو تاريخ قديم جدا ، الامراض والجروح - الطب - وثيقة الصلة
بحياة الناس كل الناس . قويهم وضعيفهم ، غنيهم وفقيرهم ، سيدهم

ومسودهم . فبما الامراض الاجزاء من الحياة نفسها . . . منذ ان بدأت الحياة على ارضنا ! ولكن متى ابتدأت الحياة على ظهر الارض ؟ لا يزال لغزا من الاعار . لا يدركه الا الله وان تكهن العلماء . ووضعت النظريات والفرضيات . والتخمينات . المعتمدة على الاحتمال حيناً وعلى شواهد واهنة احياناً اخرى . وعلى خيال العلماء في اكثر الاحايين . والطب والعلاج وتضيق الجراح وقطع النزيف وتخفيف الآلام بدأت مع بدايه الحياة على هذه الارض .

فرغبة الانسان في طلب العلاج قديمة قدم مسيرته على هذه الارض مثلما بدأت لدى الحيوانات ، فالحيوان وبغريزة طبيعية يتسرع في تراب الارض ليتخلص من مرضه الجلدي أو ان يحك جلده في جذع شجرة ليزيل عنه آلام



« عملية جراحية لدى الانسان الاول »

الحشرة العالقة بجلده أو اشواك تنغص عليه راحتته أو يلحق جرحه ليقتل
جراثيمه الضارة لينظف ذلك الجرح ...

ويعرض نفسه للشمس ليتخلص من بعض الامراض - والحشرات
المنتشرة في ثنايا جلده .

غير ان الانساء يتميز على الحيوان - باستخدام العقل والذكاء والمحاكاة
والتجارب التي اكتسبها في ايام حياته الماضية بعد ان يخزن تلك المعلومات
في ثنايا وتلافيف دماغه - انه العقل المسخر والتجارب المستمرة التي تكسبه
مهارة تكون جزءا من حياته ومن ثم توجيه هذه المهارات ومنافعها المكتسبة
في الوقت المناسب على نفسه أو افراد عائلته أو قبيلته - أو الافراد الذين
يتعايشون معه - وبالقرب من كهفه أو مغارته أو غابته . وكل من احسن
استعمال هذه التجارب وافاد مجتسعه ، اكتسب ثقة مجتسعه واصبح مرجعهم
في ملماتهم . وما نعرفه عن هذا وذاك - عن الحياة والطب - لا يزيد على
الحدس والتخمين واستقراء الاحداث وقياسا على مراقبة الحيوانات
والشعوب البدائية التي لا تزال تعيش بنفس (أو بما يقترب من) اسلوب
حياة الانسان الاول .

أو ما جاءت به بعض الصور والرسوم والاحجار والآلات الاولية
التي كان يستعملها الانسان في احدى مراحل حياته اذ ليس من الممكن ان
الانسان الاول الذي سار وعاش على هذه الارض لم يترك أو يخلف أي شيء
عن حياته ونمط معيشتته واسلوب طعامه ومناخه ونوع امراضه وجراحه
واساليب التعامل في معالجة الامراض والجراح .

ولا تزال الاسئلة كثيرة ، حول الحياة ، والامراض ، والعلاج ، .

هل بدأ الطب لدى الانسان الاول الهاما من الله تعالى الى صفوة من
الناس عند بدء الخليقة ؟

أهو خلق من خلق الانسان ؟ ام هو استنباط وممارسه مارسها الانسان

الاول ؟

وان كان الامر كذلك فستى حدث ؟ وكيف ؟ واين ؟

كيف نت وتطورت تلك التجارب والمعارف على امتداد الايام والاشهر والسنين الضب العسكري وثيق الصلة بالطب العام وربما كان اسبق منه لظروف الانسان الاول واسلوب حياته وبيئته وصراعه الدائم من اجل الحياة .
فبداية الصراع والجرح والقتل احداث ارتبطت بالانسان كما جاء بالكتب السماوية وقصصه واساطيره والتي تناقلتها الاجيال عبر مسيراتها الطويلة ، كقصة قتل قابيل لاخته هاييل .

كيف حدث الصراع - ومن هو البادىء في الاثارة والاعتداء ؟ وما هو نوع السلاح الاول الذي استعمل ؟ أهو حجر ؟ ام هي صخرة أم هراوة .. ام قطعة من جذع شجرة ؟

ومهما تكن الآلة البدائية فان النتيجة قادت الى جرح ورض واصابة قاتلة ذهب ضحيتها هاييل فندم الاخ على سوء فعلته تلك ، فبرزت الحيرة ولاح الارتباك حين لاحظ اخاه يتهاوى امامه ويخر صريعا مضرجا بدمائه ، وحاول ان يعمل شيئا . اي شيء ، حاول ان يسعفه ويصلح من خطيئته بممارسته الطب العسكري - الاسعاف الاولى - لكنه عجز عن ذلك فاحتاج الى تداخل الجراح لمعاوته واصلاح فعلته النكراء وانى يكون له ذلك !!

ومن ثم بعد ان لفظ اخوه انقاسه وسقط جثة هامدة عجز مرة اخرى من التصرف بجثمان اخيه .

سهل عليه الضرب والقتل - ولكنه عجز عن الاسعاف والاخلاء - ومن ثم التعامل مع جثمان اخيه - اي ما اشرس الانسان عند اقتداره - ولكن

ما أضعفه عند فشله • فتصاغر عن جبروته ليكتسب المعرفة والخبرات
الاولية • من طير الغراب • ان الانسان المتعالي المتفطرس - يتعلم ويكتسب
التجربة من الطير - من الغراب !!!

وهكذا تضيي الايام والسنون • وتتكرر التجربة مرات ومرات ومع
ذلك يرتكب الانسان حماقة - يرتكب الخطأ - ومن ثم يعجز الفاعل عن
اصلاح تلك حماقة - أو تدارك ذلك الخطأ ان لم يتحاقق ويصر على ارتكاب
الخطأ حتى يصل الى اللاعودة ويقع في الهاوية •

لقد لعبت التجربة والملاحظة والمحاكاة وتكرار الشيء في ارساء
القواعد الاولية للطب - والطب العسكري بشكل خاص - ولا زالت
تلعب نفس الدور •

رعاف من الانف - بعد صداع شديد وارتفاع ضغط الدم •••
ومن ثم الراحة من الصداع بعد الرعاف •••••••••• واذا ما تكرر
الصداع تكررت الحالة السابقة لديه أو ان اشتكى اليه شخص آخر
يتحايل الانسان على نفسه أو على زميله لاحداث الرعاف •

والاستفراغ بعد صيد سين واكله ضخمة وتخمة كبيرة يتبعها غثيان وكرب
وقلق وتهوع ومغص وقراقر وريح جواله في البطن • وبعد الاستفراغ يجد
ان نفسه قد سكنت وطابت سريرته ••• وهكذا يقدم عليها من ذاته ، أو
ينصح بها غيره عند حدوثها •

أو اصابة سهم أو شذخة من شجرة ، أو شوكة كبيرة وبعد ان تمسكت
فترة يصيبها التعفن والتقيح وتسقط تلك الشذخة أو ذلك السهم وهكذا
عندما يصاب بها مرة اخرى - يحاول تلويث الجرح حتى يسقط السهم أو ان
يتمرغ في التراب لقطع النزف - ويكرر مرة اخرى وضع التراب على الجرح
لقطع تدفق الدم من الجرح •

ومن هنا قال ابقراط : ، الطب قياس وتجربة •

الانسان البدائي ومنذ آلاف السنين الى يومنا هذا يحتمي من
الحيوانات المفترسة ويعالج نفسه أو زميله في الغاب والكهوف والوديان من
جروح أو كسور أو رضوض ...

وان الغريزة الانسانية قد لعبت دوراً مهماً في معالجة جروحه وآلامه
ومن ثم المراقبة والتجربة : ذلك الانسان البدائي - قد جرح اثناء صيده
الحيوانات أو الصراع مع الافراد

ولابد انه قد ادرك أن استمرار النزيف يسببه .. ولاحظ ان الجروح
الصغيرة يتوقف نزيفها تلقائياً ... واكتشف لنفسه أو لغيره طريقة لايقافه ...
بواسطة الضغط على موضع الإصابة أو ربط الجروح ربطاً محكماً أو
بتغطيتها بأوراق الأشجار أو يتناول بعض النباتات - فحقت آلامه - وهكذا
تم الاهتمام الى الأفيون والكيما والكافين وغيرها ... (١)

وهنا يقول (سارتون) في كتابه (تاريخ العلم) انها معرفة تجمعت من
تجارب عملية منذ امداد بعيدة - ومن محاولات وخطأ استمرت مئات والاف
السنين . ومن المستحيل علينا ان نفهم : كيف ؟ وكم تكررت تلك
التجارب ؟ (٢)

وكيف قيسَت نتائجها وكم هدرت من الضحايا لهذا الاسلوب
في العلاج أو ذاك وما عدد أولئك الذين كتب لهم الشفاء بالصدفة أو
باستعمال هذا العلاج أو الآخر

لكن الحقيقة الواقعة - لابد انهم جربوا النباتات ... والتراب ...
واللعاب ... والرماد ... لمعالجة الجروح بها .

وجربوا طرقاً بسيطة لتجبير العظام المكسورة أو المخلوعة

(١) - الدكتور فهم ابادير (من تاريخ الطب عند العرب) ص ١٠

(٢) - جورج سارتون : تاريخ العلم ج ١ ص ٥٠ .

انها الضرورة .. انها الحاجة - اذا تهشمت ساق رجل من عضة
حيوان مفترس أو اثر سقوطه من جرف - أو جبل منها ..
تلابد من اجراء سريع . ولتلافي الضرر ولاخذ العلاج . أي نوع من
العلاج للسريض أو المجرّوح أو المكسور من اوائل المهن التي احترفها
الانسان (١)

والى نفس المنحى والاتجاه يذهب (عمر فروخ) في كتابه (تاريخ
العلوم عند العرب) فهو يقول :

« احتاج الانسان القديم الى معالجة الاجسام التي تخرج عن
الطبيعي ... وبعد ملاحظات وتجارب امتدت الوف السنين حتى انشاء
الطب الفطري المبني على الفطن .. وهكذا كان الحكماء والكهان والسحرة
يتوارثون صناعة الطب . (٢)

وكثرت حاجة الانسان القديم الى معالجة الجروح والكسور لكثرة
المعارك والمنازعات ولكثرة تعرضه للوحوش المفترسة .

وجرب الانسان - وربما نجح واحيانا وفشل احايين اخر في معالجة
الكسور - ووقف النزيف وانتزاع السهام - ومعالجة مواضع اصابتها في
الجسم وقد يلحق الجرح كما يفعل الحيوان

حتى يومنا هذا اذا ما اصاب اصبع الشخص بجرح أو رض فهو يضع
ذلك الاصبع في فمه تلقائيا لتخفيف الالم أو لقطع النزف .

(١) - جورج سارتون - تاريخ العلم ج ١ ص ٥١

(٢) - عمر فروخ - تاريخ العلوم عند العرب - دار العلم للملايين بيروت ص ٣٢

سارت عجلة الزمن . ومرت الستون وتعاقبت الاجيال . وتطورت المعرفة
وتراكمت التجارب ومن خلالها برز اشخاص معينون فاصبحوا النواة الاولى
للطب والاطباء

منذ ٦٠٠٠ سنة ونيف - كان السومريون في جنوب العراق يستعملون
الآلات المعدنية ويصنعون الآلات الدقيقة ، كان ذلك قبل الطوفان وقبل
مغادرة سيدنا ابراهيم لمدينة اور وقد وجدت عقاقير منومة مع وجود عقاقير
التجميل في حجرة وفاة ملكة « اور » ومن هنا يسكن ان نستدل ونستنتج
ان السومريين في مدن ارخ ، واور . وكيش ، ولكش كانوا على علم
« بالاقرباذين » وليس هذا فحسب وانما استخرجت ضمن اثار هذه المنطقة
مديات نحاسية منقوش عليها نصوص طبية مما يجيز وجود جراحين مارسوا
مهنة الجراحة في تلك الفترة التاريخية . وفي مكتبة اشور بانيبال ٦٦٩ -
٦٢٦ ق م عشر على اكثر من ثلاثين الف لوحة طينية منها ثمانمائة لوحة
نقشت عليها نصوص طبية^(١) وعشر في كيش على نص تصويري يرجع تاريخه
الى مايقرب من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد . وكذا عشر على قوالب منقوش عليها
نصوص طبية .

وفي مصادر اخرى تتكرر نفس الرواية عن الاثار الطبية المكتشفة
في حفريات المدن القديمة ، ففي حفائر مدينة اور القديمة التي اكتشفت على
مقربة من مصب الفرات خاتم طبيب سومري عاش حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل
الميلاد وقد اكتشفت كذلك سكاكين من النحاس يغلب الظن والحدس والتقدير
المنطقي انها كانت تستعمل كمباضع للجراحة في تلك الحقبة من الزمن^(٢)

ولدى قدماء المصريين - كانت الجروح النظيفة تعالج بالخياطة والاربطة
اللاصقة - والجروح الاخرى تعالج باللحم الطري اول يوم ومن ثم بالعسل

(١) - حسن كمال - الطب المصري القديم ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤

(٢) - جوزيف جارلند - ترجمة سعيدة عبدة - قصة الطب ص ٢٣

والاعشاب القابضة . اما الكسور فقد عولجت بنجاح واستعملت الجبائر في علاجها (١) .



« ادوات جراحية بابلية »
وفي مصر القديمة برز ثلاثة اصناف من اطباء الفراعة :-
١ - طائفة الاطباء الباطنيين .

(١) - ابادير - ص ١٤

٢ - طائفة الاطباء الجراحين (كهنة سيث)

٣ - طائفة الاطباء الروحانيين •

وقد وصفت هذه الاصناف من الاطباء في قرطاس (ايبرس) وكذا في بردية (ادوين سيث) ولا تزال هذه الاصناف من الاطباء محتلة مكانة عالية في اختصاصات الطب - الاطباء - الجراحين - اطباء النفس •



FIG. 4. Egyptian surgical instruments
(Relief, temple of Kom Ombo)

« ادوات جراحية فرعونية »

وكان الجراح المصري يزودا بكثير من الالات كالمديّة والمبضع والمسبر والكشاة •

وفي بردية (ادوين سيث) حالات كثيرة تدل على أنها حالات حرب

ومنها ما تشير اليه كأمثلة ولا تتطرق الى جيلتها وتفصيلها وانما لناخذها كشواهد على ممارسة الجراحة بصورة عامة - وجراحة الحرب اذا رغبتا التخصيص :-

- رقم ١ حالة جرح بالرأس واصل العظم •
- رقم ١٠ جرح فاغر على الحاجب وواصل العظم •
- رقم ٤٠ جرح بالصدر •
- رقم ٢٧ جرح فاغر بالذقن •

وكذا فان قرطاس (ايرس) يحوي حوالي ٢٧ حالة جراحية - والكثير منها حالات ذات علاقة بالجروح الحربية وان براعة المصريين بالتحنيط والجراحة وعلم الشريح لشواهد راسخة على الممارسة العملية للطب المصري القديم للطب العسكري^(١) •

ومارس الانسان البابلي والمصري التشريح وكانت لهم معرفة جيدة بالجراحة وفي علاج الجروح والكسور ووقف النزيف وخلع المفاصل - وقد نص قانون حمورابي على مواد خاصة بالطب والجراحة مما يدل على ان البابليين مارسوا الجراحة والتجبير والكسور وجراحة العيون • وقد انتقلت هذه المعارف مع غيرها عبر ممرات برية وبحرية وبفضل الاتصال الحضاري الى اليونان فكانت تلكم بداية لنهضة علمية يونانية^(٢) •

ومما جاء في اثار سكتة الرافدين الاوائل وفي كتابات ورسائل القدماء عن التشخيص والانذار في الطب الاكدي ليدل دلالة واضحة وصريحة على تواجد الطب والاطباء المهتمين بمعالجة المقاتلين واسعافهم واعطاء التشخيص والانذار بحالتهم - ومن ذلك قولهم :

(١) - عمر فروخ - تاريخ العلوم عند العرب ص ٨٢

(٢) - الدكتور ياسين خليل - الطب والصيدلة عند العرب ١٩٧٩ ص ١١

— اذا اصاب في صدره وكان به نزف وكان يهذى فانها يد (لرجال) *
وقد اصاب بهذا قبل ذلك وانه سيموت . (١)

— اذا كان الرجل مصابا بكدمة على اثر رضة من الامام وكان الجزء
المحيط بها مشلولاً فأن هذا من مظاهر الكدمة وانه سيموت . (٢)

— اذا اصاب الرجل بكدمة على اثر رضة وبدا كأنه معافى تماما ولكن
صدغه قد اصاب وكان يختلج بصورة مستمرة فأن الذي قد امسأه،
براسه سوف لا يعفيه (٣) .

فهذا الوصف الصريح عن الكدمة والرضة والنزف وتأثيرها على مستقبل
وحياة الجريح لهو دلالة واضحة على تواجد الطب والجراحة العسكرية لدى
الاكديين حيث مارس الانسان البابلي والمصري التشريح وكانت لهم معرفة
جيدة بالجراحة وعلاج الجروح والكسور ووقف النزيف وخلع المفاصل (٤)

ومن أهم الوثائق التاريخية التي خلفها لنا البابليون هي شريعة
حسورابي وكذا من الاهمية بمكان ما تركه الاشوريون في مكتبة آشور
بانيبال وفيها مئات من اللوح الطينية الخاصة بالطب والجراحة - وفيها
معلومات مهمة خاصة بالامراض العصبية واخرى بالامراض الجلدية
والتناسلية واخرى بالحمل والولادة - والجراحة والكسور - وعمليات
العيون - وفي كلتا الحضارتين حضارتي بابل وآشور اخترعوا واستعملوا
الالات الجراحية وحددوا شكل واجور وعقاب العمليات الجراحية فشرعة

(١) - « لرجال » من المعتقدات القديمة بوجود اسباب أو الهة على غرار معتقدات

الاغريق بعدهم تسبب الحياة أو الموت .

(٢) - الدكتور عبداللطيف البدري - التشخيص والانداز في الطب الاكدي - ص ٧٣

(٣) - الدكتور عبداللطيف البدري - التشخيص والانداز في الطب الاكدي ص ١٩١

(٤) - الدكتور ياسين خليل - الطب والصيدلة عند العرب ١٩٧٩ ص ١١

حمورابي - اول شريعة مسجلة في التاريخ جاء فيها مواد صريحة وواضحة
عن الطب والجراحة فالمادة ٢١٥ - اذا اجرى طبيب عملية جراحية لشخص
ونجحت هذه العملية - أو فتح خراجا ووالى علاجه حتى تم الشفاء تقاضى
اتعابا قدرها عشرة اشقال فضة •

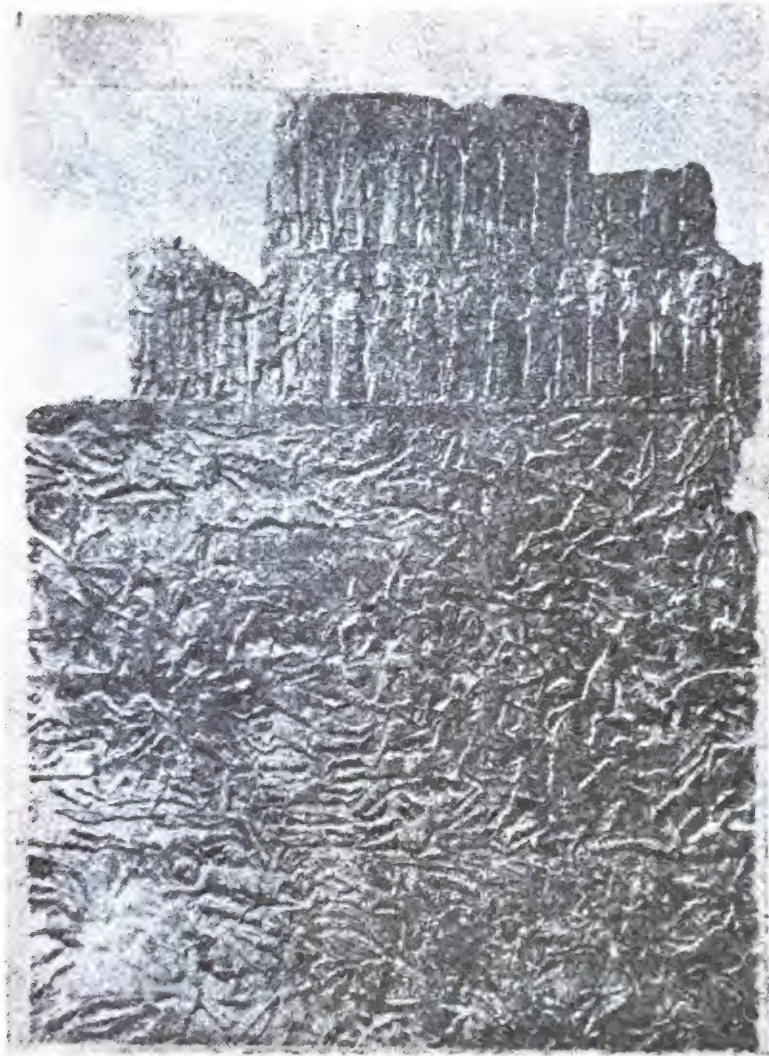
والمادة ٢١٨ - اذا تسبب طبيب في وفاة مريض في اثناء اجراء عملية
جراحية له أو اجرى لمريض عملية في عينه وتنتجت عنها عاهة مستديمة تبتز
يد الطبيب •

والمادة ٢٢١ - اذا جبر طبيب عظام مريض أو أشفى عظاما رخوة تقاضى
المجبر خمسة اشقال فضة •

وهكذا جاءت هذه النصوص القانونية التي سجلتها حضارة الرافدين
الاولى من خلال الملك العظيم - حمورابي - دلالة واضحة على مدى تقدم
الطب والاطباء والجراحين ومراقبتهم وتحديد اجور عملهم وتحديد العقوبات
التي تفرض على من يمارس الطب من غير معرفة أو دراية تؤهله للقيام بتلك
الاعمال على الوجه الاكمل • فالطبيب هو الذي يجري العمليات الجراحية
وهو الذي يجبر الكسور - لا ان تترك للجهلة من الحلاقين والحجامين
والجزارين - كما كان ذلك هو السائد في عصور دول اوربا وحتى الى
عصور ما قبل النهضة •

وهكذا ورد ذكر الجراحة سواء اكانت الجراحة العامة أم جراحة
الحرب في نصوص عديدة - منها الكتابات الطبية واخرى في الشرائع
وثالثة في الرسائل المتبادلة بين مختلف الناس ورابعة في الادب والملاحم
والقصص وبرعوا في استئصال الاجزاء المتسوتة في الاطراف بضمنها العظم
اذا ما حدث به التسوت - اما عن الكسور فأنهم حذقوا في تثبيتها - وكذلك
معالجة الجروح الكبيرة بالخياطة - وفي هذا لدلالة اكيدة على تواجد الطب

العسكري وجراحة الحرب - وان كان لا يعرف بالضبط كيف تم ذلك - ومن هم - وكم كانت نسبتهم في الجيوش ؟ وهل هم الاطباء المدنيون ام هناك عسكريون - يلازمون المعسكرات - ويرافقون الجيوش بحلها وترحالها بغزواتها وهجومها وانسحابها •



مسلة انتصار اشور بانبيال على الملك تومان ملك العيلاميين
ان اكتشاف الات جراحية على ضفاف الفرات ممتدة حتى العهد
السومري لدلالة على ان الجراحة كانت ممارسة من قديم الزمان^(١)

(١) - الدكتور عبداللطيف البدرى - الطب الاشوري ص ٠ ز

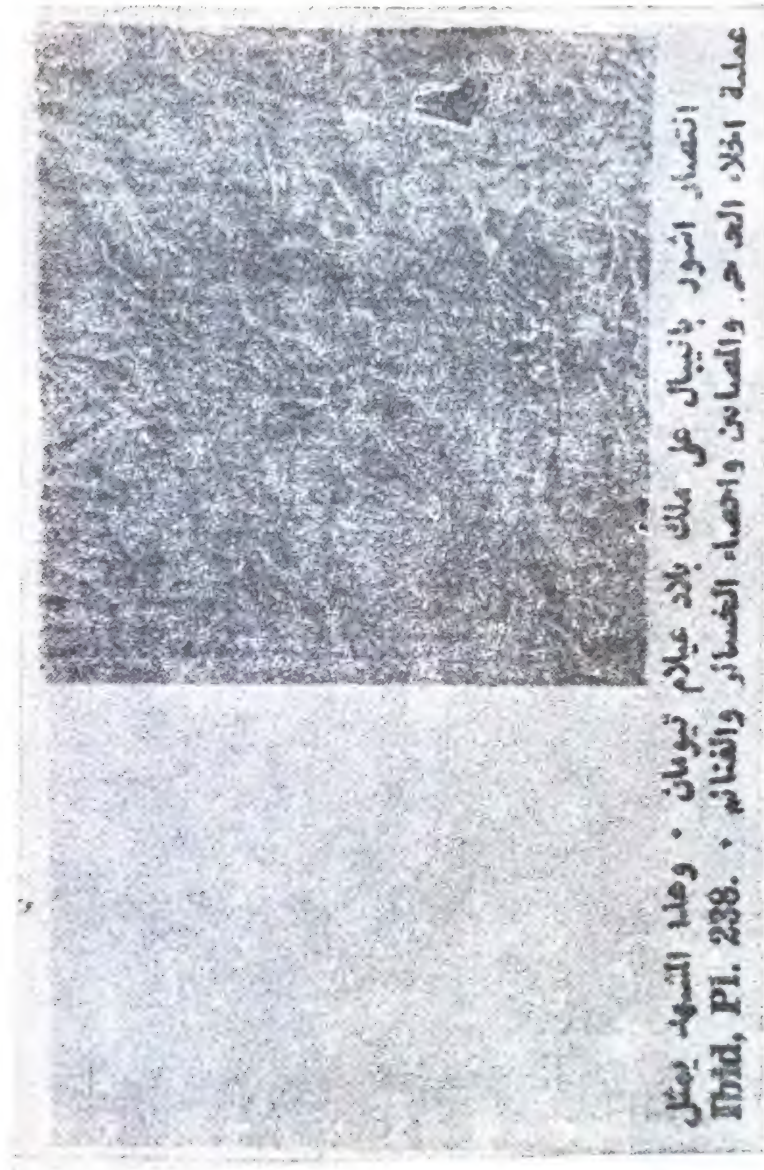
وفي العهد الحديث للدولة الآشورية - كان الطب يزاول من قبل
 أطباء محترفين للمهنة الطبية - ويعرف من يزاول المهنة بمنطقة (أسو) وكبير
 الأطباء « راب آسي » والمساعد (شافو - شارب آسو) ولا يعرف « شيبط »
 ولم تشر المصادر والآثار التي عثر عليها فيما إذا كان الآشوريون يستحبون
 معهم الأطباء في حملاتهم العسكرية أم لا ؟ حيث أن ما عثر عليه من



منحوتات والتي تصور المشاهد العسكرية - وما ترجم من الكتابات التي عثر
 عليها - لا توجد فيها إشارة واضحة ومريحة الى مرافقة الأطباء للحملات
 العسكرية (١) .

(١) - يوسف خلف عبدالله ٠٠ الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث ص ٤٨

ومع هذا - فهذا لا ينفي ان هناك خدمات طبية من اسعافات اولية -
للجرحى واناسا مهتمين بدفن القتلى واخرين يأخذون على عاتقهم معالجة
المرضى من المقاتلين .



ففي احدى المنحوتات التي عثر عليها في آثار الدولة الاشورية
- يشاهد جندي يساعد جريحا على الانسحاب من ساحة المعركة وهو يحمي

ظهروه وظهور الجريح بترس ، في حين اتخذ من المركبة التي تسير امامه درعا للاحتساء بها اثناء الانسحاب خارج ساحة القتال وربما الى مكان تجري فيه للجريح الضادات والاسعافات وربما كانت هذه المركبة مخصصة للاسعاف



جندي اسورى جريح ، يعاين انقاة احد رفاقه من حملة الاتراس .
adin(1), P. 300.

والخدمات الطبية وان عدم ذكر الاطباء أو تصويرهم لا يعني انهم لم يستخدموا في الجيش أو يرافقوا في الحملات العسكرية .

وإذا ما أشارت كتاباتهم الى الأسرى والقتلى والجرحى والخسائر لا بد ان هناك اطباء أو جنودا ينحصر واجبهم بالاشراف والسهر على هولاء الجرحى ودفن القتلى أو حرقهم •

فهذا (بيل آبنى) يعلم آشور بانيبال نتائج القتال في احد المعارك التي خاضها ضد الاعداء للدولة الاشورية :

« نتيجة لتقدم قوة معادية لمهاجمة قواتنا ، قد استطعنا من صدها ودحرها ، فقتلنا ١٧ رجلا وجرحنا ستين آخرين فيسا هرب البقية أما خسائرنا فكانت ٣٠ جريحا» (١) •

وقد ذكر في احد المصادر بأن (زيرتو) و (بلتيائي) و (دار دينو) ... الخ كانوا يمارسون مهنة الطب - الا انه لا يعرف عن هولاء وغيرهم الكثير .. مما اذا كانوا يمارسون مهنة الطب المدني أم انهم كانوا اطباء عسكريين أم لا ؟ (٢)

وبخاصة ان الدولة الاشورية كانت دولة عسكرية وتعطي للامور العسكرية الاولوية •

ولم تظهر المرأة في الكتابات والمنحوتات الاشورية الا ماندر - سواء اكان ذلك في الخدمات الاجتماعية أم الحياة اليومية أم الخدمات العسكرية - لان المجتمع الاشوري كان مجتسماً رجاليا - وإن وجدت اشارات هنا وهناك بأن الفتيات كن خاضعات للخدمة في دور (مصانع) النسيج في المدن وكافت الخدمة الزامية وبخاصة من عامة الشعب والعيبد •

وقد حفظت القوانين للمرأة المتزوجة حقوقها اذا وقع زوجها في الاسر اثناء قيامه في مهمة مكلف بها من الدولة وتعطي لها جراية أو مؤونة على ان تبقى تنتظره ريشا يعود ولمدة سنتين

(١) - يوسف خلف عبدالله - الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث
ص ٨٥ ، ٨٦

Jones, Vol. II P. 140.

(٢)

وبهذا عشت الدولة الاشورية بما تلبه الضرورة الحرية من كفالة لعائلة المقاتل ودعم عيالي في رفع المعنويات حتى وهو اسير بما يجلب له الراحة النفسية ويسكنه من الصمود امام ضعفه وهوان الاسر - والانشغال بزوجه واطفائه بان الدولة قد تكفلت بما يضمن ويؤمن حاجتهم المعاشية الى ان يفك من الاسر ويعود المحارب - الى عائلته - وكانت القوانين تحرم الاجهاض وتعتبره جريمة يعاقب عليها بالاعدام ... والمرأة التي تموت وهي تحاول اجهاض نفسها تعاقب بعد وفاتها بالحرق

وهذا عقاب رادع فيه جوانب دينية ونفسية لمنع من تسول له نفسه الاستهانة بحياة الانسان وبخاصة وان الدولة الاشورية دولة حروب ومنازعات - امتدت من داخل بلاد فارس وحتى مصر - وهذه الحروب - بحاجة الى رجال لحمل السلاح والتضحية في سبيل الحفاظ على كيانها وسلامتها - وكذا فان المصانع - والزراعة بحاجة الى أيدي عاملة اخرى ، لادامة قوة الدولة وفرض سيطرتها وهكذا تشددت القوانين الاشورية لحماية الطفولة وحماية الانسان منذ بداية تكوينه ..

ومع قلّة ذكر النساء في كتب التاريخ لكننا وجدت هناك اشارات حول دورهن في العمل وعلى الواجبات التي حتمها عليهن المجتمع والاسرة القيام بها فمثلا كن يقمن بواجبات المساعدة في عمل بعض التجهيزات العسكرية وفي الخدمات الضرورية كأعداد الطعام مثلا بعد انتهاء القتال في حالة التحاقهن بازواجهن - وبخاصة اللواتي تقرر ان يربطن ازواجهن في مناطق مفتوحة - أو مناطق نائية - او في المناطق الحدودية^(١) .

وقد جاءت بعض وصفات الطب الاشوري للاصابات العسكرية - وهي كثيرة تشير البعض للتدليل وليس للشسول :-

(١) - يوسف خلف ص ٣٠٧

— عندما تكون نتيجة الضربة على المقدمة - فلتلطيف الايدي والارجل -
براعم الكبد - - وبراغم الصمغ - ونبات انيوهورا - والحنة - والتفاح •
— اذا حدث تسمم ضربة - الساق والبنج والشيخ والبلسم والحنة
وامزجها بكوب • (١)

— اذا اصاب باثر ضربة على القفا فاطحن له نصف (قا) من الكتان -
وانشرها على جلده وهي ما زالت ساخنة •

— اذا مرض الرجل من ضربة على جنبه فخذ نبات قدم الغراب ذي السبعة
رؤوس - ونبات الكما والساق وجففها وتطحنها وتنخلها - وتخلطها
مع الدقيق الناعم - في ماء حار تعجنها وتنشرها على الجلد ولفها ما
دامت حارة وسوف يشفى (٢) •

وقال (ورن دوسون) في كتابه ص ١٢٨ (ان المعلومات
التي ظهرت من هذه الابحاث اثبتت ان الطب الاشوري كان
متقدما عن الطب المصري وان كان هناك تشابه بين نصوص القطرين الطبية
حيث يسترجع الطب بالسحر - وتواجدت لدى الاشوريين طائفة من الكهنة
والاطباء توفروا على الطب الباطني عرفوا بأسم (آسو) عالجوا الجروح
والقروح والكسور ولدغات الافاعي •

ويتواجد الاطباء ، وكذا تواجد الجراحون - لمعالجة المرضى اثناء
السلم - لابد ان انصرف البعض منهم لمعالجة المرضى والجرحى من
العسكريين سواء اكانوا في ثكناتهم في فترات السلم - وهي قصيرة لدى
الدولة الاشورية التي بنت مجدها وكيانها على القوة والحروب المتواصلة

(١) - عبداللطيف البدرى - الطب الاشوري ص ١١ - ٣ و ١١ - ٥

(٢) - جوزيف جارلند - ترجمة الدكتور سعيد عبدة - قصة الطب دار المعارف
بمصر ص ٣٨١

والفتوحات المتكررة ، أم في مصاحبة الجيوش في غزواتها وحروبها واسعاف جرحى المعارك الكثيرة الفاحشة التي خاضتها الجيوش الاشورية والتي غزت بلاد فارس وحطمت جيوشها في عقر دارها على نهر الكرخا كما وانها فتحت بلاد سوريا وفلسطين وحتى مصر .

وموقع الجزيرة العربية الجغرافي وتوسطها في العالم القديم المعروف حينذاك وموقعها على الطرق التجارية والسوقية البرية منها والبحرية جعلها على اتصال دائم وتواس مباشر مع تلك الامم المجاورة ومرور القوافل عبر اراضيها وحتى الجيوش الغازية كانت لا بد وان تمر عبر ممراتها ووديانها ومضابها - مؤثرة في اهلها متأثرة بهم .

وكان لتلك الامم المجاورة طب وحضارات ولجيوشها اطباء وجراحون ورجال اسعاف يرفعون جراح رجالهم بأي اسلوب طبي بدائي - أو متطور بالنسبة لتلك الحقبة من الزمن .

ولابد لسكنة الجزيرة العربية وبخاصة اولئك الذين كانت مدنهم وقراهم على طرق القوافل التجارية أو التي كتب عليها ان تمر الجيوش عبر اراضيها ومزارعها وقراها - أو المدن الواقعة على السواحل حيث تمر بها الاساطيل الحربية والتجارية - ان استفادوا وتأثروا بخبرة وعلوم الآخرين من الاقوام والجيوش الغازية .

فعندما جرح « بور بيلوس » مثلا تحت اسوار طرواده قال :
(لباتروكلوس) « اغشي يابا تروكلوس وخذي الى السفينة السوداء ثم انزع السهم من فخذي وازل الدم الاسود عن الجرح بالماء الدافئ ثم انشر عليه بلسما شافيا من تلك الاعشاب الطبية التي قد عرفت اسرارها عن (اخيك)
عن شيرون ابر القنطاريين » (١)

١ - جوزيف جارلند - ترجمة الدكتور سعيد عبدة قصه الطب - دار المعارف بمصر ص ٣٨٠

والسفن السوداء ، ربما كانت علامة مميزة عن السفن الاخرى كمستشفى
يسهل معرفتها والتوصل اليها في عرض البحر وتفريقها عن السفن الاخرى
ونزع السهم والغسل بماء الدافئ ، والاعشاب الطبية ، اساليب مميزة في
معالجة الجروح واصابات الحرب •



« باتروكلس يجري عملية جراحية »

وكانت هناك حضارات ، وعلوم وعلاج الجروح في مصر - بلاد
الهكسوس الرعاة - والفراعنة ، والحبشة ، والفرس ، واليمن هي التي بلغت
شأناً متقدماً بالحضارة والبناء والهندسة وما رواه مؤلفو اليونان واللاتين
من غبطة اليمن - ومما جاء في تلك الانباء ان اليمن كانت مقراً لاقوى دول
الارض دام حكم ملوكها ثلاثة آلاف سنة وانها قد غزت بلاد الهند والصين
من الشرق وبلغت بغزواتها مراكش من المغرب •

فدولة هذه رقعتها من الارض وتلك قصورها واثارها وحضارتها
ورياسها واراتكها والتي غزت جيوشها هذه البلدان النائية - فلا بد ان يكون
لها طب واطباء وعلاج للناس في سلمهم ونعيمهم - واثناء الحروب التي فتحت
بها تلك الامصار والبلدان . وبعد ان ضعفت قدراتها وتنعم امراؤها وملوكها
وشعبها وطمع بها الاحباش وغدت تحت حكمهم - ومن ثم تنافس قادة
جيوش الحبشة حول ملكها حيث اقام ارياط بأرض اليمن سنين في سلطانه
ثم نازعه في امرها ابرهة الحبشي .

فلما تقارب الناس واستعد جند الطرفين لملاقاة بعضهم ببعض
بدافع الانانية على القيادة والتملك ارسل ابرهة الى ارياط رسالة يقول فيها :-
— انك لا تصنع بأن تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا ،
فابرز اليّ وابرز اليك فاينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده .
فأرسل اليه ارياط :-

— انصفت

فخرج اليه ابرهة وكان رجلا قصيرا مكتترا لحما

وخرج اليه ارياط وكان رجلا جسيلا عظيما طويلا وفي يده حربة .
وخلف ابرهة غلام له يقال له - (عنودة) - يمنع ظهره فرفع ارياط
الحربة فضرب ابرهة - يريد يافوخه - فوقعت الحربة في جبهة ابرهة
فما سبت حاجبيه وانشه وعينه وشقت شفته ولذلك سمي « ابرهة الاشرم »
وحمل (عنودة) من خلف ابرهة على ارياط فقتله ، نسوق هذا المثل للدلالة
على تواجد الاطباء والطب والجراحة . حربة تصيب حاجب وعين وأنف
شخص وهي ضربة مسيئة - ولكنه يعالج جراحيا وطبيا . بأي شكل من

الاشكال ؟ لا تذكر كتب التاريخ والقصص شيئاً ... ولكنه يعالج ويتم شفاؤه ويحكم ، فأذن لابد وان كانت هناك جراحة وطب تعالجان هكذا جريحا وتشفيه •

والحيرة شهدت تاريخاً حافلاً بالحضارة والثقافة - وكانت قصورها مؤنثة بأشن الاثاث ، وحدائقها فياحة بازكى الازهار وقواربها الانيقة الساطعة الانوار تشق الفرات ليلا حاملة اغنى الامراء وامهر الموسيقيين والمطربين واطلق العرب لأنفسهم الخيال فقصوا علينا انباء القصور الساحرة العجيبة التي اضحت لا ريب اجمل مساكن الشرق •^(١)

وبجانب هذا التقدم والازدهار والحضارة كان هناك شعر وشعراء يتنافسون في ارضاء ملوك الحيرة ... واطباء حاذقون في الحيرة في عهد اللخمين وظلت الحيرة محافظة على شهرتها في الطب حتى في العصر الاسلامي واشتهر منهم حنين بن اسحاق العبادي وكان ابوه اسحق صيدلانيا يعمل في الحيرة^(٢)

(١) - لوبون حضارة العرب ص ١١٦

(٢) - الدكتور السيد عبدالعزيز السالم - تاريخ العرب في عصر الجاهلية - دار النهضة القومية ص ٢٩٩

طب العرب قبل الاسلام

مما يؤثر عن العرب ان اهل البادية منهم كانوا في حروب مستمرة
تقاتل كل قبيلة اختها فان لم تجد القبيلة من تقاتله .. قاتل ابناؤها بعضهم
بعضا حتى قال شاعرهم :-

واحيانا على بكر اخينا اذا ما لم نجد الا اخانا

ولهذه الحروب المتواصلة والقتال المستمر والغزوات التي لا تهدأ من
ثار .. ثار الحرب - والقتل - والجراح المثخنة .. الجراح منها ما هو
مسيء ومنها ما هو قابل للشفاء ، ولا يمكن ان تترك الجروح تنزف على رسلها ،
ولا يترك الجريح بدون محاولة لانقاذه من جروحه ومن نزفه ومن آلامه .
انبرحة .

هذه المحاولة التي تقدم الى الجريح بأي شكل من الاشكال هي
المعالجة - وهي الاسعاف - وهي الطب العسكري بأسط صورة ... حتى
ذهب المثل السائر : - عالج الامر -

اذن اشتراك القبيلة في الحرب يتبعه قتلى وجرحى ومصابون ومن ثم من يتعامل مع هؤلاء القتلى والجرحى فوجد الاطباء - أو الكهان أو العرافون - أو الجراحون - والمعالجون - لانقاذهم من جروحهم وتخليصهم من آلامهم وجبىع هذه المحاولات التي تبذل هي من اجل العلاج واصبح لكل قبيلة في الجاهلية أناس مترسون في هذا العلاج - اكتسبوا خبرتهم بالوراثة والمراقبة والتجربة - وعرفوا بالاطباء - وكلمة الاطباء - مأخوذة من الطب أي - لدارى وترفق وتنظف - وتكاثر الاطباء في كل قبيلة لان وجود القبيلة يتبعه اشتراكها في الحرب للدفاع عن وجودها وكيانها •

ونكثرة الغزوات واشتراكها في الحرب يعني وجود جرحى ومصابين ، اضافة الى ذلك كان هناك اتصال وثيق بين العرب والحبشة والفرس واليونان والرومان ... وكان في هذه البلاد طب واطباء يعنون بحالة الجرحى في الحروب ولا بد والحالة هذه ان اقتبس منهم العرب الطب والمعرفة ومعالجة الجرحى .. وللعرب قبل هذا كان لهم حضارة بعيدة في القدم حضارة عاد وثمود وضم وسبأ وحسير وسد مأرب وهو اقدم سد خزان عرفه التاريخ^(١) • ولا يعرف عن حقيقته اكثر من انه عمل فني وهندسي عظيم ... والبلد الذي يتاح له مثل هؤلاء المهندسين الذين يقيمون هذا السد ؟ ايعقل ان يكون خلوا من الاطباء ؟

وان كان تاريخ السد مجهولا فإن السد نفسه موجود ، أفلا يجوز ان يكون تاريخ الطب في اليمن مجهولا هو الآخر ! مع الحاجة الملحة لوجوده اكثر من الحاجة الى سد مأرب •

ان العلوم والثقافة والحضارة تنتقل من محل الى اخر - تنقلها التجارة وتقتبس من المجاورة وتسليها وتقرضها الحروب - انتقلت العلوم من الشرق

(١) - احمد حسين القرني - قصة الطب عند العرب ص ٤ ، ٥ ، ٦

الى اليونان في الغرب - ثم انتقلت من اليونان الى العرب - ومن ثم اخذها
الاوريون عن العرب ...

ثم عاد العرب ليأخذوها عن الاوريين «وتلك الايام نداولها بين
الناس» (١)

وكانت لهم دراية بالجراحة - فإذا ما ارادوا قطع عضو فسد شأنه لئلا
يسري الفساد الى بقية الجسم ، ولا صلاح للجسد الا ببتره أو أرادوا
التخلص من غدة زائدة - احسّوا شفرة بالنار لتطهيرها ، ثم قطعوا بها ذلك
العضو أو تلك الزائدة • وعلى نحوها مافعلوا بصخر بن عمرو بن الشريد زعيم
قبيلة بني سليم اصيب « يوم ذات الاثل » حين غزا صخر بن عمرو بني أسد
فركبوا حتى - تلاحقوا بذات الاثل فاقتتلوا قتالا شديدا وتمكن ربيعة بن
ثور الاسدي من طعن صخر في جنبه ، وفات القوم بالغنيمة وجرى صخر من
الطعنة فكان مريضا - وبقي المرض يلزمه بما يقرب من الحول - حتى مله
اهله وبخاصة زوجته - حيث سمعها تكلم امرأة من جاراته جاءت تسأل سلمى
زوجته عن حاله :-

- كيف بعلك ؟ فاجبتها سلمى :

- لا حي فيرجى ولا ميت فينسى لقد لقينا منه الامرين •

وكانت تسأل أمه عن حاله •

- كيف صخر ؟ فكانت تجيبهم ألام :

- أرجو له العافية ان شاء الله •

- وقد سمعها صخر فقال في ذلك :

(١) - قران كريم - ال عمران (١٤٠)

رى ام سحر لا تل عيادتي وملت سليبي مضجعي ومكاني
فأي امرئ ساوى بأم حليمة فلا عاش الا في شقى وهوان
وما كنت اختى ان اكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
لعصري لقد نهت من كان نائسا واسمعت من كانت له اذنان
اهم بأمر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين الصبر والنزوان

رجل شجاع وقوي وفارس مقاتل تصيبه طعنة في جنبه فتدفع حلقه
من الدرع داخل جسده ويطول المرض به ، ولا بد ان حدث نزف موضعي
- وجرح وتلوث وما يرافقه ذلك من ارتفاع في درجة الحرارة وألم وسهر
ويبدأ الجسم بالضعف وقلة المقاومة - وتستطيع ان تلمس ذلك واضحا في
ايات الشعر التي ردها وهو يقارن بين احاسيس زوجته واحاسيس امه
ولما تحصل من الام جسدية وآلام مبرحة حتى قلّ الصبر لديه وطال به
البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة واثاروا عليه :
- لو قطعنها لرجونا ان تبرأ

جاء هذا الاقتراح الطبي الجراحي بعد ان نفذ صبره وسمع من
زوجته ما افقده الثقة بأقرب الناس اليه - واصبح يساوي بين الحياة المذلة
المتربة بالالام الجسدية والنفسية ولذا جاء جوابه يعبر عما يحس به من
آلام مختلجة في نفسه :
- شأنكم !!

فكان جوابه مقتضبا مستسلما كمن فقد الارادة والرأي والثقة بكل
شيء .

وهكذا اقدموا على معالجتها بالجراحة - جاءوا بالجراح وقطعوا
القطعة فمات ! (١)

(١) - ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ٥ ص ١٦٦

متى مات - أثناء العملية - بعد العملية بساعات أم بأيام - لم نجد لذلك سجلاً واضحاً - وهل كان موته من اثر النزف اثناء العملية - أم من انتشار العفن المجتمع في موضع الاصابة .

وكل عرفناه انه مات في اعقاب العملية بعد ان تم بتر القطعة النائية من موضع الاصابة - ثم ذلك من قبل الطبيب الذي كان له دراية بالجراحة - اي الجراح !!

ولا نريد ان نذهب بعيداً بالتأويل - والقرض - عما تكون تلك القطعة - اهي فتق في موضع الاصابة ؟

أم انه قيح قد تجمع ؟

أم انه « أم الدم » ؟

ولكن كل ما نريد ان نعلمه ، ويعلمه غيرنا ، ونشير اليه ، انه كانت هناك جروح وهناك جراحون يتعاملون مع تلك الجراح سواء اكان هؤلاء عرافين وكهنة واطباء أم جراحين المتعامل ومعالجة وتطبيب تلك الجراح .^(١)

وبالاعتناد على الحوادث وقصص الحروب والغزوات التي نستدل بها على حياة الناس واسلوب عيشهم وعلاجهم نورد قصة اخرى نبين فيها ونستبسط من حوادثها مدى معرفة عرب الجاهلية بالطب والجراحة والعلاج وتخصص النساء في ممارسة علاج الجروح - وذلك انه في « يوم اللوى »^(٢)

وهو يوم خلده كعب التارخي كان لعطفان على هوازن وقت ان غزت هوازن عطفان - وتبعتهما فزاره وقتلتهم وقتل فيها عقيد القوم عبدالله بن الصمة

(١) - القرني - قصة الطب عند العرب ص ٣٨

(٢) - ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ٥ ص ١٦٨

وارث^(١) « دريد بن الصمة » فبقي بين القتلى فلما كان في بعض الليل أتاه فارسان فقال أحدهما لصاحبه :

- اني أرى عينه تبص^(٢) فأنزل فأنظر الى سبته^(٣) فنزل وكشف ثوبه فإذا هي ترمز^(٤) قطعه فخرج دم كان قد احتقن •

قال دريد :

فافتت عندها •

فلما جاوزاني نهضت • قال فما شعرت الا أنا عند عرقوبي جمل امرأة من هوازن •

فقلت : من انت ؟ اعوذ بالله من شرك •

قلت : لأبل من انت ؟ ويلك !!

قالت : امرأة من هوازن • سيارة •

قلت : وأنا من هوازن وأنا دريد بن الصمة •

قال : وكانت في قوم مجتازين لا يشعرون بالوقعة فضسته وعالجته حتى افاق •

وعاش دريد عمرا مديدا وادرك الاسلام ولم يسلم وقتل كافرا يوم حنين •

وللاستدلال والاستنتاج من هذه القصة ومن حوادثها نشير الى معرفة الفارسيين بتشخيص حالة الجريح بأنه وان كان بين القتلى فإنه ليس بميت

(١) - ارث : ان يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد اثخنه الجراح

(٢) - تبص : تبرق • تلمع

(٣) - سبته : استه

(٤) - ترمز : تضطرب

بالاعتماد على بصيص عينه ابتداء وبفحص استه بعدها - وافاق الجريح بعد
ان ضمن الفارس الدم المحتقن في منطقة الاست . ومن ثم ادراك المرأة
بحالة الجريح امسى عليه بعد ان اثخنه الجراح واعادت اليه وعيه - بعد ان
كد يهلك من نزف الدم من جسده - فلا بد انها قد استعملت بعض النباتات
والدروع لايقاف النزف - ومن ثم علاجها - من غير تلوث ولا تعفن أو
التهاب - ليعود الى حالته السابقة في اتم صحة - ويرجع الى حياته الماضية في
ركوب الخيل والمطاردة والنزال .

وبما ان للطب صلة بحياة الانسان والامه واسلوب معيشتة - وقد
احتاج اليه منذ ان سارت قدماء على هذه الارض - فأحاطها بهالة من الرهبة
والقدسية والغموض وكان يمارس الطب العراف والسحرة والكهان .

ومنذ الخليقة والعصر العربي الجاهلي وامتدادا الى حياتنا المعاصرة فان
الطب محاط بهالة من السوء والرفعة . وفي العصر الجاهلي كان الطب يضفي مزيدا
من التبجيل والشرف العظيم على من يمارسه ، فللطبيب مكانة كبيرة عند
العرب قال « المرتضى » في حديثه عن زهير بن جناب وهو يصفه بأرفع
الالقب للتدليل على سمو منزله وعلو مقامه :

« كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك
وضييفهم وحازى قومه » (١)

وهكذا جمع هذا الرجل صفات نبيلة كثيرة منها - الطب والكهانة وقد
كان الكهان يداوون المرضى .

ونظرا لظروف العرب في الجاهلية التي فرضت عليهم التنقل دائما وهم
في حل وترحال وراء الكلا والمراعي فكان لابد من اصطدام المصالح وكان
لابد من النزاع والغزو - بل كانت القبائل لا تهدأ اما غازية أو مغزوة معتدية

(١) - العز - الكهانة

أو معتدى عليها - نهبه أو منهوبة - فلذا لم تترك لهم حياتهم تلك ان يتركوا
نصوصا طبية مسجلة^(١) أو نصوصا فيها وصفات لأدوية مارسوها للشفاء من
الامراض أو علاج الجروح وانما كانوا يمارسون العلاج بشكله العلمي
ويتناقضون ويتعلسون بعضهم عن البعض - بالمراقبة - والاقتباس -
والوصف ...

واكثر ما ذكر من اسماء الاطباء هم اطباء المدن - حيث نشأوا في المدن
واقاموا في الحضر وتعلسوا من اطباء محترفين ...

اما الاعراب فقد كان لهم اطباء حسب مفهومهم - ولكن طبهم هذا هو
طب العرف والعادة طب موروث يداوي بالوصفات التي داوى بها الاباء
والاجداد دون تغير أو تبديل - وهو طب بدائي تقليدي متداول عبر الاجيال
ويعتمد في مداواته على قدرة القبيلة - وما يجده الطبيب حوله من نبات
واعشاب وحيوان ونار فيداوي بها ، ولا تزل طبابة البدو موجودة بينهم
لحد الان . ويأتي بعضهم الى المدن ونجد بين اهل المدن من يثق بطبهم
ويتعامل معهم .

ولا يوجد اتصال بين طب البادية والطب الخارجي الا لدى بعض
القبائل القاطنة على مقربة من الحواضر .

وقد عرف طب البادية بـ « طب الاعراب » وبطب البادية و دواء الاعراب
أو دواء البادية^(٢)

ويكون الشفاء عند العرب في ثلاثة :

شربة عسل وشرطة محجم وكية نار . لذلك جاء في حديثهم « آخر
الدواء الكي »^(٣)

(١) - جواد علي - المنفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٢٨١

(٢) - جواد علي ج ٨ ص ٢٨٩

(٣) - جواد علي ج ٨ ص ٣٩٠

وعاجوا بـ « العيد » وهو شجر جبلي يضد بلحائه الجرح الطري
بلسم^(١)

وباللسم ... من المواد المهمة في المعالجات الطبية وقد اشتهر كثيرا في
الطب القديم ليس عند العرب فحسب ولكن لدى اكثر الامم الاخرى .
- ويتداول هذا الاسم حتى يومنا هذا حيث يضرب به المثل في
الشفاء .. وبرزت شهرته في معالجة الجروح خاصة . وهو مادة صغية تضد
بها الجراحات ويساعد على شفاؤها . وموطنه بلاد الحبشة - وله انواع عدة
واشتهر انواعه الجيدة « بلسم جلعاد » عند العبرانيين وهو ذو رائحة عطرية
وقد مدحه الاطباء واثنوا عليه في معالجة الامراض والجروح^(٢) وكذا
استعمل العرب لحاء نبات « العقد » لتضيد الجراح الطرية فتلتئم وذلك
لخاصية فيه^(٣) .

واستعملوا الزيوت في معالجة عدد من الامراض والجروح فاستعملت
في معالجة البطنة مثلا ، ولكن الاكثر شيوعا في استخدامها بعد غليها
وتوضع على الجرح لقطع النزيف منه ولتعقيم ذلك الجرح حيث يشكل طبقة
عازلة تمنع التلوث ولا تزال هذه الطريقة شائعة لدى البدو الرحل
والاعراب^(٤) ولقطع نزيف الدم المنبعث من الجروح استخدموا الرماد
لوضعه على الجرح الحديث ويشد بعد ذلك .

حيث عرفوا ربط الجروح بشده حتى يقف الدم فينقطع ، واستعملوا
الضاد والمناديل لمنع الدم من الخروج من الجروح - ومن ذلك جاء قول
العرب :

ضد الجرح - أي شده -

١ - جواد علي - المفصل ج ٨ ص ٣٩٥ تاج العروس ج ٢ ص ٤٣٨

(٢) - جواد علي - المفصل ج ٨ ص ٣٩٦

(٣) - جواد علي ج ٨ ص ٣٩٥ تاج العروس ج ٢ ص ٤٢٧

(٤) - جواد علي ج ٨ ص ٣٩٦

وحرق الحصى والصوف والوبر والمواد القابلة للاشتعال واستعمال رمادها بعد الحرق مباشرة لقطع النزيف وهذه الطريقة لا تزال مستعملة وبكثرة في القرى والارياف والطب الشعبي حتى في المدن وهي اسلوب جيد لأن الرماد المحروق يكون معقما وكذا بعض انواع الرماد لها خاصية قطع النزيف وتشكل طبقة عازلة عن التلوث الخارجي •

أو وضع الملح على الجرح لايقاف نزيف الدم منه . ولمعرفة عمق الجروح ومقدار غورها استخدموا آلة يسمونها «المسبار» و «السبار» وهو فتل يجعل في الجرح ، ويعبرون عن مداواة الجرح بقولهم آسى الجرح - أي داواه وشفاه^(١) •

وكذا استعملوا « الزقوم » في معالجة الجروح وتشير المستشرق الألمانية « رنكة » في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) « وفي مداواة الجروح تقليد عربي قديم هو تعبير اصيل عن عبقرية العرب ذلك ان عرب الجاهلية قد ابدعوا في مداواة الجروح المعديّة (الملوثة) ووجدوا لها وسيلة لم تكتشف الا في قرنا العشرين وكان لها صدى عظيم ونعني بها مضادات الجراثيم Antebiotic فمن سروج حميرهم ودوابهم حصلوا على المواد المضادة للجراثيم (البنسلين) وعلى دواء (الهليون) وصنعوا منها مراهم عالجوا بها جراحاتهم الملتهبة^(٢) •

وقد كانت الحروب من المصادر التي غذت المنطقة العربية الجنوبية بمادة دسمة من الاوبئة قد كانت تأتي على عدد كبير من الناس فتركهم جثا تتعفن على ظاهر الارض ، كما كانت تأتي على مواطن السكن ومواقع الحياة

(١) - جواد علي - الفصل ج ٨ ص ٣٩٨ ، ص ٣٩٩

(٢) - رنكة - شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٨١

وتأتي على ما يسلكه الناس ونزید من مشكلة الفقر . وتبعد الناس عن النظافة فتبيء بذلك للاوبئة امكنة خصبة لتعيش فيها وتعبث كيف تشاء ، ودليل ذلك ما نجده في كتابات المسند من اشارات الى امراض واوبئة تعم المناطق المنكوبة بالحروب حيث تكتسح من الاحياء ما لم يتسكن السيف من اكتساحه منهم .^(١)

وكان للتطبيب في العصر الجاهلي مذاهب شتى فمنهم :-

١ - الكهان والعرافون - وهم الكثرة .

٢ - العلاج - وهم القلة .

وكهان العرب - كبقية الكهان في مناحي الارض وعلى مدى العصور والازمان يعالجون بالدعاء والاحاجيب^(٢) والغيبيات والسحر والرقى .

وبهذا يقول عروة بن خزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمة	وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا : نعم نشفى من الداء كله	وقاما مع العواد يتدراني
فما تركا من حكمة يعلمانها	ولا سلوة الا بها سقياني

ونرى نفس الشاعر يقول في موضع آخر :

اقول لعراف اليمامة داوني فأنك ان داويتني لطبيب^(٣)

وفي هذا البيت من الشعر نستدل دلالة واضحة الى وجود الطب والاطباء في العصر الجاهلي . واشارة الى سمو ورفعة مهنة الطب ومكانة الاطباء في

(١) - جواد علي - الفصل - ج ٨ ص ٤٠٦

(٢) - مفردا حجاب ، جمعها احاجيب او التمام جمع تميمة كقول الشاعر :
واذا المنية انشبت اظفارها الفيت الف تميمة لا تنفع

(٣) - في هذا البيت يدل على رفعة منزلة الطبيب بقوله اذا داويتني ولم يشترط الشفاء .

العصر الجاهلي حيث ان عراف القبيلة عادة يكونون من عقلائها واصحاب الرأي فيها ولكنه هنا يشترط بعراف اليمامة ان داراه فأنه سيسو الى منزلة الاطباء .

اما الاطباء المعالجون ومنذ اقدم الازمنة فأنهم يعالجون بالعقاقير والنباتات على نحو ما كان يفعل المصريون كما كانت لهم دراية بالجراحة ومعرفة بأساء الاعضاء الظاهرة والباطنة منها ووظائفها ووصافها .

لقد ورد في بعض الاثار انه كان من حذاق اطبائهم رجل من قبيلة « تيم الرباب » يقال له (حذيم) اشتهر بالطب وبرع به حتى صار مضرب المثل وفيه يقول الشاعر الجاهلي اوس بن حجر ، وهو استاذ زهير بن ابي سلمى :-

فهل لكم فيها الي فأنني بصير بما عيا النطاسي حذيم^(١)
وما هي صفاة وعلم حذيم الطبية وحكمته التي جعلت شاعر عصره ان
يسميه (النطاسي) ويتمثل به ويخاطب قومه راجياً تشبيهه
حذيماً علماً فلا بد وان كان حذيمة على درجة كبيرة من العلم والمعرفة

ولكن من هو حذيم ؟

وما هو علمه ؟

وما هي معرفته ؟

اتنا لا نعرف عنه شيئاً الا ما تناقلته كتب ودواوين الشعر .

واذا كنا لا نعرف عن حذيم الكثير فأذن فلا بد واتنا لا نعرف اي شيء
عن الاخرين الاقل شهرة منه .

(١) - جرجي زيدان - تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٢٥

وادل كان للعرب ابناء وكان لهم صب واساليب في العلاج والجراحة
فدا لم يصل اليها منها شيء فليس ذلك بدليل على عدم وجوده .

واجد العرب في الوقاية الطبية والاحتراس من الامراض وعدم مخالطة
الاشخاص المصابين بامراض معدية كالجذري والجذام والطاعون وغيرها
من الامراض التي عرفت بشدة عدواها واجادوا انواعا معينة
من الجراحة وبخاصة ما له علاقة بجراح الحرب واخراج السهام
ومعالجة الجروح وبغسها وكيفية وقطع النزيف كما ادركوا اهمية الدم
المتى في العلاج - ولكن كيف ؟

لا نعرف حيث لم يصل اليها منها شيء مدون وانما وردت كأمثلة
متفرقة منها « دماء الملوك شفاء من داء الكلب »

أي ان دماء الملوك والاشراف - لانها نقية كما كان يعتقد - تشفي من عضة
الكلب وكذا تشفي من الجنون وفي هذا دليل على انهم - يشخصون داء
الكلب - وكذا يربطون علاقة الدم النقي بالعلاج وقصة الزباء ملكة تدمر
وهي تقتل حريمة الابرس قاتل ايها وقد قصدت راهيته وتركت دمه ينزف
في مست من الذهب وتقول :

« سونوا دم الملك . ان دماء الملوك شفاء من داء الكلب » .

وكان في وادي الرافدين اربعة مذاهب للمعالجة :

أ - المعالجة بالنصح والاحتراس - الطب الوقائي ومثلهم السائر
« الودية خير من العلاج » .

ب - المعالجة بتشخيص المرض ووصف الادوية النباتية والحيوانية
والمعدنية - الطب المزاجي - الطبيعي

ج - المعالجة بالسحر والطلاسم - الطب النفسي .

د - العلاج بالجراحة والتحنيط واستخدموا الحشيش والافيون
للتخدير عند اجراء العمليات (١).

وفي عصر قبل الاسلام درس نفر من اهل الحضرة ومن البدو شيئا
من الطب في فارس وبلاد الروم وكانت لهم براعة في الجراحة وامراض
العيون وعلاج الاسنان وقلعها وتركيبها وفي فن التجليل (٢)

ومن ضدهم انهم يحرقون وبر الابل ويتخذون منه ذرورا لوقف الدم
السائل من الجروح .

— وعرفوا نبتة اذا عالجوا بها الملسوع حسنت حالته على الفور .

— واذا لسعه عقرب أو افعى اما ان يفصد في موضع اللسعة أو يمسح
الدم قبل ان يدب ديب السم الى نواحي الجسم على ان يكون الفم
واللسان سليسين من اي جرح صغر ام كبر خوفا من تسرب السم الى
الجرح (٣) .

والطب من فروع العلم المحفوظة بالنسبة الى فروع العلم الاخرى عند
الجاهليين فنظروا لعلاقته بحياة الناس وآلامهم وشفائهم فقد اشير اليه في
الشعر والحكم والامثال والقصص واشير الى اسماء نفر من الاطباء - ممن
اشتهروا بالطب والحكمة .

أو انهم عالجوا بعض الرجال من الشعراء ورؤساء القبائل والملوك .
فجاء ذكر الحارث بن كلدة الثقفي والنظر بن الحارث وابن ابي رمثة التميمي
وحماة وكلهم قد بدأ حياته الطبية قبل الاسلام ومن ثم ادرك الاسلام وعاصر

(١) - عمر فروخ ص ٨٤

(٢) - عمر فروخ ص ٢٧٣

(٣) - القرني ص ٥٢

الرسول (ص) وبفضل هذه المعاصرة ذكرت أسماؤهم في كتب الحديث
وانسير والاخبار •

ولولاها لكان شأنهم شأن غيرهم ممن لم يهتم بهم احد ولم يصل
اسمهم الى الاجيال التي تلتهم وصاروا نسيا منسيا^(١)

وقد عالج الاطباء الجروح بوضع الخرق بعضها فوق بعض على
الجرح - اي بتضميده بها ، ويقال لذلك «الغميل»^(٢) وكانوا اذا ارادوا
تعريق المريض غسلوه اي غطوه بالثياب ليعرق ، فيشفى من البرد والزكام •
والعصابة والضمد أو الخرق تشد فوق الجرح أو الرأس أو اي
موضع من الجسم الم به الالم • فكانوا يضمدون الرأس للصداع ويضمدون
العين وكذا كانوا يصنعون الادهان على الضمد لتضميد الجروح^(٣)
وكان بعضهم يخصص نفسه للاعمال الجراحية فيغلب عليه لقب جراح
واشهر جراحي العصر الجاهلي - ابن ابي رومية التميمي فقد كان مزاولا
لاعمال اليد وصناعة الجراحة^(٤)

وذكر اسمه في مصادر اخرى « ابن ابي رمثة التميمي »^(٥)
وذكر من الاطباء طبيب يقال له (حذيم) من تيم الرباب قيل انه
حاز على شهرة واسعة في الجاهلية كما سبق ومر ذكره •
وفي كتب الحديث والاخبار والتراجم ان هناك نفرا اخر مارسوا
التطبيب وصناعة اليد في ايام النبي (ص) فقد اشير الى نفر من قبيلة انمار
زاولوا مهنة الطب في ايام الرسول (ص) •

(١) - جواد علي ج ٨ ص ٣٨١

(٢) - تاج العروس ج ٨ ص ٣٣٦
غمل - ضمّد

(٣) - جواد علي ج ٨ ص ٣٨٨

(٤) - جرجي زيدان - تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧٥

(٥) - ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ١٢٣ ، ١١٦ د • ناجي معروف - اصالة الحضارة
العربية •

واشير الى اسم طبيب اخر عرف بـ (ضساد بن ثعلبة الازدي) ذكر انه كان يداوي الناس وانه كان صديقا للنبي (ص) في عهد قبل النبوة^(١) والشرد بن قباب الكعبي البحراني نزل بين يدي الرسول الكريم (ص) في وفد نجران فقال :

— يا رسول الله بأبي انت وأمي اني كنت كاهن قومي في الجاهلية واني كنت اتطبب فما يحل لي ؟

قال :

— فصد العرق ومجسة الطعنة ان اضطرت وعليك بالسنا ولا تداوي احدا حتى تعرف داءه

فالرسول الكريم يأمر بفصد العرق وهو مبدأ من مبادئ^(٢) الجراحة الاولى ومجسة الطعنة - وهو علاج وجراحة حربية وينهى عن مداواة المريض ما لم يعرف داء المريض اي ان التشخيص هو الركن الاساسي في العلاج وكانت القبائل العربية في العصر الجاهلي تلجأ الى النساء لتبريض الجرحى في غزواتهم وغاراتهم وحروبهم التي لا تنتهي وقد فعل المسلمون فعلهم • وقالت « بنت معوذ بن عفراء »

— كنا نغزوا مع رسول الله (ص) نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة •

وكان في مسجد الرسول (ص) يعالج فيه المرضى والجرحى وكان الرسول والصحابة يتفقدون المرضى النازلين به^(٣)

(١) - ابن جليل ص ٥٧ ابن القفطسي ٤٣٦ تاج العروس ٢٣٨/٨

(٢) - الشطي - شوكت - تذكرة في تاريخ الطب قبل الاسلام ص ١٣٤

(٣) - جواد علي ج ٨ ص ٤١٨

ارشاد السائرین ج ٨ ص ٣٦١

ومن النساء اللواتي زاولن مهنة الطب (الشفاء بنت عبد الله) ورفيدة التي اشتهرت بالجراحة وكانت تداوي الجرحى من المسلمين - وام عطية الانصارية التي هي الاخرى تداوي الجرحى وتصنع لهم الطعام وتقوم على مداراة المرضى^(١)

ومن المؤسف ان المؤرخين لم يهتموا كثيرا بالجانب العلمي في العصر الجاهلي قدر اهتمامهم بالشعر وتاريخ الحروب والغزوات والانساب - وحتى في العصر الاسلامي لم يكن الاهتمام كبيرا بالطب وانما كان جل اهتمام المؤرخين والكتاب والشعراء بالحروب والغزوات والفتوحات - وتداول القصيدة الاسلامية - آيات القرآن الكريمة والاحاديث الشريفة والفقه والسنة ...

بينما تشير الوقائع والاحداث والقصص المتناثرة في الروايات والسجلات هنا وهناك بأن الطب العربي لم يكن متخلفا عن علوم ذلك العصر واطباء الجاهلية المتأخرة وصدر الاسلام لم يكونوا بسعزل عن الدنيا وعن الشعوب المجاورة بل كانوا يزورون بلاد فارس والروم والشام والهند • وكانوا ينقلون من علوم هذه الشعوب ومعرفتهم فنون الطب والجراحة المعاصرة لهم وبخاصة عرب الحواضر في مصر والشام والعراق^(٢)

(١) - الدكتور ياسين خليل ص ١٧

احمد عيسى تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٨

(٢) - احمد حسنين القرني - قصة الطب عند العرب ص ٥

حكمت نجيب عبدالرحمن - دراسات في تاريخ العلوم عند العرب
١٩٧٧ ص ٣٧

الطب في صدر الاسلام

جاء الاسلام فشجع الطب والجراحة والتداوي ومنع عن الكهانة والعرافة واعتبرهما كفرا •

« من اتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما انزل على محمد »

رواه البخاري

« من داوى ولم يعرف عنه طب قبل ذلك فهو ضامن »

رواه ابو داود وابن ماجه

وقد عرف العرب في تلك الفترة الجراحة وبخاصة جراحة الحرب لكثرة المنازعات والغزوات والحروب ومن ثم الجرحى والقتلى وان خير شهادة ودليل على التفوق ونجاح الطب في هذا الميدان ما كان يروى عن اصحاب الرسول الكريم (ص) من ان الواحد منهم كان يصاب بأكثر من عشرين جرحاً ما بين طعنة رمح أو ضربة سيف في المعركة الواحدة - ومع ذلك فقد كان يشفى من كل هذه الجروح ويعود للقتال من جديد - ولا زلنا نردد مقولة خالد بن الوليد الشهيرة عندما ادركته الوفاة :

« لقد قتلت في سبيل الله وما في جسدي موضع شبر الا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح ومع ذلك فيها انا اموت على فراشي كما يموت البعير » (١)

هذا مثال واحد وهناك امثلة تعد بالعشرات والمئات والآلاف من المسلمين الذين خاضوا غمار المعارك وجرحوا جروحا بليغة - وعولجوا ومن الله عليهم بالشفاء ... والتي تعطي الدليل القاطع والبرهان الواضح على نواجد الجراحة - جراحة الحرب والتسريض - وقد بلغت مرحلة متقدمة بحيث ترجع الجريح الى المعركة بفترة وجيزة .

قال ابن هشام : (٢)

حدثني اهل العلم ان عبدالرحمن بن عوف اصيب فوه يومئذ (في معركة بدر) وجرح عشرين جراحا أو اكثر اصابة بعضها في رجله فخرج . (٢)

هذا مقاتل يصاب في معركة واحدة بعشرين جرحاً ويتم شفاؤه من هذه الجراح من غير تلوث أو تعفن أو مضاعفات .

وقد مارسوا وبكثرة قطع الاطراف ومعالجتها بل وعرفوا الاطراف الصناعية من فقدوا اطرافهم أو اعضاءهم في الحرب فقصه (عرفة بن سعدة) الذي قُتعت انفه في الحرب فصنع له الاطباء انفا نحاسية فكان يصدأ عليه - فأشاروا عليه بصناعة انف من الذهب ولكنه ابى ذلك الا ان يأذن له الرسول الكريم - لان الاسلام يكره على الرجل ان يتحلّى بالذهب - واذن له الرسول بذلك طالما فيه ضرورة طبية وليس لمجرد التحلي والمباهاة .

(١) - ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ١ ص ١٣٩

(٢) - ابن هشام ، ٣ : ٨٨

وكذا اذن الرسول (ص) بتركيب الاسنان للضرورة وبخاصة ان
الاضراس كثيرا ما تتساقط في الحرب .

ولم يكن هناك انذاك حد فاصل ووضوح كامل بين مهنة الطبيب
وامرض وبخاصة في الحروب ، فكانت الممرضة تكشف على الجريح -
وتقوم بالعمليات الجراحية الكبيرة كالبتير - واخراج السهام وتجير الكسور
شأنها في ذلك شأن الاطباء الاخرين - وفي نفس الوقت تسهر على خدمتهم
وتقديم الدواء والطعام بيديها ... والاسعاف في ظروف الحرب ونقل
الجرحى ودفن الشهداء والقتلى .

ومثالا وتقديرا لدور رفيعة البطولي في معارك الاسلام وتكريما لمهنة
الطب والتبريض فان الرسول الكريم (ص) قد كرمها وساوى الممرضة المسلمة
امؤمنة في الجهاد بالمجاهد الذي يقاتل بسيفه ورمحه في سبيل الله^(١) .
ويسكن اعتبار اول عملية اخلاء تمت من ساحة القتال (المعركة) كانت
في معركة بدر حيث برز في ساحة المعركة عتبة بن ربيعة واخوه شيبة بن
ربيعة وابنه الوليد^(٢)
فقالوا :

من يبارز ؟ فخرج فتية من الانصار فقال عتبة :

— لانريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عبدالمطلب فقال رسول (ص)
— يا علي قم ، يا حمزة قم ، يا عبيد بن الحارث قم فبارز حمزة شيبة بن
ربيعة . وبارز علي ، الوليد بن عتبة وبارز عبيدة عتبة بن ربيعة فاما حمزة فلم
يسهل شيبة ان قتله ، واما علي فلم يسهل الوليد ان قتله ، واختلف عبيد
وعتبة بينهما ضربتين كلاهما اثبت صاحبه وكر حمزة وعلي باسيافهما على

(١) — الدكتور احمد شوقي الفنجري - رفيعة الانصارية اول ممرضة في الاسلام -
الوعي الاسلامي . العدد ١٧٦ سنة ٩٧٩ ص ٨

(٢) — ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧ الطبري تاريخ الملوك ٢ : ٤٢٦
الواقدي - المغازي - ٦٨٠

عتبه قذفا عليه^(١) واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه .

واعترت هذه اول عملية اخلاء خسائر من ساحة المعركة في الاسلام ،
ويمكن اعتبار الامام علي (رض) والحزبة (رض) اول حاملي نقالة في الاسلام
لانهما تعاونا على صاحبهما وابن عسها الجريح ونقلاه سوية الى صفوف
المسلمين ومن ثم بعد المعركة توفاه الله متأثرا بجرحه .

وقصة اخرى من جرح في معركة بدر وقطعت يده وتعالج وشفاه الله
منها وعاش بعدها دهرًا طويلا . قال معاذ بن عمرو بن الجموح سعت القوم
وابو جهل في مثل الحرجة .^(٢)

قال ابن هشام الحرجة .

الشجر المتلف - وفي الحديث عن عمر بن الخطاب : انه سأل اعرابيا
عن الحرجة فقال :

هي الشجرة من الاشجار لا يوصل اليها .

وهم يقولون : ابو الحكم لا يخلص اليه .

قال فلما سمعتها جعلته من شأني فصدمت نحوه فلما امكنني حملت
عليه فضربت ضربة اظنت قدمه بنصف ساقه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا
بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها .
قال :

(١) - اثبت جرحه : جرحه جراحه لم يقم بعدها

ذفعا عليه : اسرعا قتله

(٢) - الطبري - تاريخ الملوك ٢ : ٤٥٥

الواقدي - المغازي ٨٧

ابن هشام ٢ : ٢٨٨

صدمت : قصدت ، اظنت قدمه : اطارتها ، المرضخة : التي يدق بها النوى
للعلف . الحرجة : الشجر المتلف ، اجهضني : غلبني - اشتد علي

— و ضربني ابنه عكرمه على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي
واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي . فلما
آذنتي وضعت عليها قدمي ثم تسطيت عليها حتى طرحتها .

قال ابن اسحاق :

ثم عاش بعد ذلك حتى زمان عثمان . هذه القصة التي اجبت كتب
التاريخ على روايتها بتفاصيلها وبما فيها من غرابة قياسا الى التقبل العلمي
لشخص تقطع يده من اعلى ذراعه وما يتبع ذلك من المم ونزف شديد - ولكنه
يتحمل ويقاقل حتى تثقل عليه ويتخلص منها - مهما كانت المبالغة في هذه
القصة فمما لاشك فيه ان ذراعه قد قطعت في معركة بدر وعاش حتى ادرك
خلافة الخليفة عثمان بن عفان فلا بد وانه عولج بالاسلوب الجراحي الذي
كان متعارفا عليه حيث تم ضماد الجرح وقطع النزيف سواء اكان ذلك
بالضماد ام بأن تغمس بالزيت المغلي - وهو ما كان شائعا في ذلك الوقت
وحتى الى عهد قريب في الطب الشعبي البدوي والزيت المغلي بالرغم مما فيه
من شدة للتحلل والام مبرحة فانها تساعد على تقلص الاوعية الدموية
وانسدادها وبهذا يتوقف النزيف من الذراع المبتورة وكذلك يشكل طبقة
دهنية معقمة عازلة حول موضع البتر الامر الذي يمنع تسرب الجراثيم الى
الجرح الطري وهكذا يمنع التلوث والتعفن في موضع الجرح وبهذا يتم
الشفاء سريعا .

وبعد بدر جاءت معركة احد - وقد خرجت قريش وحلفاؤها - يرومونه
اثار لما اسابهم في معركة بدر من مهانة بدينها القديم وانحطاط بمعنوياتها
بين القبائل وخسارة رجالها المعروفين ...

ونهب المسلمون للذود عن العقيدة التي ملأت عليهم عقولهم وقلوبهم
ودارت رحي المعركة وكان ريحها مع المسلمين في اولها - وغلبت عليهم

مفاهيم الحرب والغزو وما اعتادوا عليه سابقا بالانشغال بجمع الغنائم
وطغيان نشوة الفوز وغرور الانتصار - وعدم التزام الرماة على سفح الجبل
بحماية الثغرة في المؤخرة - وانتهاز الفرصة من الاعداء والتفاف خيول
قريش بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل من خلفهم •

قال ابو جعفر :

— فلما اتى المسلمون من خلفهم انكشفوا واصاب منهم المشركون -
وكان ما اصاب المسلمين من البلاء اثلاثا ، ثلث شهيد وثلث جريح وثلث
منهزم وقد جهده الحرب حتى ما يدري ما يصنع ، واصيبت رباعية
رسول الله (ص) وشقت شفته وكلم في وجنته وجهته في اصول شعره
وعلاه ابن قميئة بالسيف على شقه الايسن وكان الذي اصابه عتبة
ابن ابي وقاص^(١) •

ثلث جيش المسلمين اصيب بجروح مختلفة في شدتها بما في ذلك قائد
الجيش رسول الله (ص) فلا بد وانهم عالجوا جراحهم بأسلوب طبي معين
حتى تم شفاء تلك الجراح والاصابات منها ما هو بسيط ومنها ما هو
شديد ، منهم من اصيب بجرح أو جرحين ومنهم بلغ عدد جراحاته بما يزيد
على العشرة أو العشرين •

ولكن تلك الجراح عولجت وشفيت ولم تترك آثارا مهمة لا بالاجساد
ولا بالنفوس وانما عاد الرجال الى المعارك اللاحقة وهم اعظم قوة واشد
عزيمة واكثر تصميمًا حتى وقبل ان تلتئم تلك الجراح •

ولم تتلوث تلك الجراح ولم تحدث مضاعفات حتى الذي يشج راسه
أو تقطع يده أو ساقه يتم شفاؤه •

(١) - تاريخ الطبري ٢ : ٥١٥

اسب رسول الله (ص) في مواضع عدة . ويقال ان الذي شج رسول الله في جبهته ابن شهاب والذي اشطى رباعيته وادمى عنقه بن ابي وهب والذي رمى وجنتيه حتى غاب الحلق في وجنتيه ابن قسيئة وسال الدم من شجته التي في جبهته حتى اخضل الدم لحيته وكان سالم ولي ابي حذيفة يغسل الدم عن وجهه^(١) .

ويقال ان الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله (ص) عقبة بن وهب بن كلدة ويقال ابو اليسر . واثبت ذلك عندنا عقبة بن وهب بن كلدة^(٢)

فمن هو عقبة بن وهب هذا والذي يستد بأسسه أو نسبه الى كلدة . . وهل هو من عائلة احارث بن كلدة الطبيب العربي المشهور . واشهر من ارخ له من ابناء الجاهلية وصدر الاسلام أم انه اسم لا علاقة بالاحارث بن كلدة ومن هو ايضا « ابو اليسر » - بكل تأكيد لا نعرف عنهما الكثير - ولكن وقد اشارت اليهما كتب التاريخ فلا بد وانهما كانا متخصصين بهذا النوع من التعامل - برفع حلقات الدروع والزرد من موضع الاصابة والاليم لم يقدم على ذلك العمل غيرهما من الصحابة والذين هم اقرب الى الرسول الكريم، ابو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان والامام علي بن ابي طالب ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ . . . وغيرهم من الصحابة الاكارم .

ذلك ما يشير ولو بصورة غير مباشرة الى تواجد نوع من التخصص لدى بعض المسلمين للتعامل مع الجرحى واخراج السهام وحلقات الدروع والازج^(٣) من محلات انغراسها ، وقال سعد بن مالك :

(١) - الواقدي - المغازي - ج ١ ص ٢٤٥

(٢) - الواقدي - المغازي - ج ١ ص ٢٤٧

(٣) - الازج - سنان الرمح

نظرت الى رسول الله (ص) - نظرت الى وجهه فاذا في وجنتيه موضع
الدرهم في كل وجنة - واذا شجة في جبهته عند اصول الشعر ، واذا شفته
السفلى تدمى . واذا في رباعيته اليسنى شظية ، واذا اعلى جرحه شيء اسود
فسألت :

ما هذا على وجهه ؟

فقالوا : حصير محرق

وسألت :

من ادمى وجنتيه ؟

ف قيل :

ابن قمية •

فقلت :

— من شجه في جبهته ؟

ف قيل : ابن شهاب

— من اصاب شفته ؟

ف قيل : عتبة

فجعلت اعدو بين يديه حتى نزل بيابه • فما نزل الا حملا ، وارى
ركبتيه مجحوشتين ، يتكئ على السعدين - سعد بن عباد - وسعد بن
معاذ • حتى دخل بيته والناس في المسجد يوقدون النيران يكسدون بها
الجراح •

قالوا : وخرجت فاطمة في النساء ، وقد رأت الذي بوجهه (ص)
فأعنتته وجعلت تسح الدم من وجهه وغسلت فاطمة الدم عن ايها • لقد

خرجت اربع عشرة امرأة منهن فاطمة بنت رسول الله (ص) يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم •

قال كعب بن مالك رايت ام سليم بنت ملحان وعائشة على ظهرهما القرب يحملانها يوم احد • وكانت حمزة بنت جحش تسقي العطشى وتداوي الجرحى ، وكذا ام ايمن تسقي الجرحى وتداويهم •

فسا رأت فاطمة الدم لا يرفأ - وهي تغسل الدم وعلي بن ابي طالب عليه السلام يصب الماء عليها بالمجن اخذت قطعة من حصير فاحرقته حتى صار رمادا ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم •

ويقال انها داوته بصوفة محترقة (١) •

وجاء في المغازي - انه في معركة احد ، قد رمى رحيان ابن العرقة بسهم فأصاب ذيل ام ايمن - اجاءت يومئذ تسقي وتعالج الجرحى فعقلها (٢) وكانت نسيبة بنت كعب « ام عمارة » وهي امرأة غزية بن عمرو ، وشهدت احدا هي وزوجها وابناها وخرجت ومعها شن لها في اول النهار تريد ان تسقي الجرحى - فقاتلت يومئذ وابلت بلاء حسنا ، فجرحت اثني عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف (٣) •

وقالت ام سعد بن ربيع :-

دخلت - تقصد ام عمارة - فقلت لها :

ياخالة حدثيني خبرك : فقالت :

خرجت اول النهار الى احد وانا انظر ما يصنع الناس ، ومعني سقاء فيه ماء فأنتهيت الى رسول الله (ص) وهو في اصحابه والدولة والربح

(١) - الواقدي المغازي - ج ١ ص ٢٥٠

(٢) - الواقدي - المغازي - ج ١ ص ٢٤١

(٣) - الواقدي - المغازي - ج ١ ص ٢٦٨

للمسلمين فلما انهزم المسلمون انجزت الى رسول الله (ص) فجعلت اباسر
القتل وادب عن رسول الله (ص) بالسيف وارمي بالقوس حتى خلصت
الى الجراح - فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف .

قلت :

يدك ما اصابها ؟ قالت :

اصيبت يوم اليامة لما جعلت الاعراب ينهزمون بالناس - نادت الانصار
« اخلصونا » فأخلصت الانصار فكنت معهم حتى انتهينا الى حديقة الموت
فقتلنا عليها حتى قتل ابو دجانة على باب الحديقة ودخلتها وانا اريد عدو
الله مسيلة فيعرض لي رجل منهم فضرب يدي فقطها ، فوالله ما كنت لي
هبة ولا عرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولا ، وابني عبدالله بن
زياد المازني يسح سيفه بشيابه ، فقلت :

قتلته ؟ قال :- (١)

نعم

فسجدت شكرا لله .

وكان صخرة بن سعيد يحدث عن جدته وكانت قد شهدت احدا تسقي

الماء قالت :

سعت النبي (ص) يقول :

مقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان !

(١) - وفي رواية اخرى من مقتل مسلمة الكذاب ان قاتله كان وحشي قاتل حمزة
وقد اراد عمر بن الخطاب (رض) قتله يوم اسلامه فمنعه الرسول (ص)
قائلا له ، ما معناه لعل الله ان ينصر به المسلمين في يوم ما ، فكان يوم الحديقة
واخرج وحشي حربته التي قتل بها حمزة وهزها بعد ان رضى عليها وارسلها
الى مسلمة فكانت قد اصابته مقتلا منه (صدق رسول الله) .

وكان يراها تقاتل يومئذ أشد القتال ، وانها لحاجة ثوبها على وسطها
حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا .

فلما حضرتها الوفاة كنت فيمن غسلها فعددت جراحها جرحا جرحا
فوجدتها ثلاثة عشر جرحا .
وكانت تقول :

— اني لا انظر الى ابن قسيئة وهو يضربها على عاتقها وكان اعظم جراحها
ولقد داوته سنه !

وفي اليوم الثاني بعد الرجوع من معركة احد نادى منادي النبي (ص)
الى حمراء الاسد ، فشددت عليها تروم الخروج للحرب مع الرسول (ص)
فما استطاعت من نزف الدم ولقد مكثنا ليلنا نكمد الجراح حتى اصبحنا
فلما رجع الرسول (ص) من الحمراء . ما ان وصل الى بيته حتى ارسل اليها
عبدالله بن كعب المازني - يسأل عنها فرجع اليه بخبره بسلامتها فسر
النبي (ص) بذلك^(١) .

وحدث ابن ابي سيرة عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن عبدالله بن زياد
« ابن ام عمار » قال :

— جرحت يومئذ - يعني يوم احد - جرحا في عضدي اليسرى ضربني
رجل كأنه الرفل « النخلة الطويلة » ولم يعرج علي ومضى عني ، وجعل
الدم لا يرفأ .

فقال رسول الله (ص)

— اعصب جرحك ، فتقبل امي الي ومعه عصاب في حقوبها قد اعدتها
للجراح فربطت جرحي والنبي (ص) واقف ينظر . ثم قالت :

(١) - الواقدي - المغازي - ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠

— انهض يا بني فضارب القوم !!

فجعل النبي (ص) يقول :

ومن يطق ما تضيقن يا ام عسارة •

وبعد ان جرحت ام عسارة والنبي (ص) ينظر ويبتسم فنظر الى جرح
بامي على عاتقها فقال :

امك - امك اعصب جرحها

بارك الله عليكم من اهل بيت (١)

فان ام عسارة قد خرجت الى المعركة مسبقا وهي تحمل معها العصائب
وما يضد به الجراح - ولم تنس كذلك ان تقاتل عندما تدعو الحاجة الى
ذلك • وهذا ما نشاهده اليوم حيث ان الجصابات الطبية تعالج الجرحى
وتسعفهم وتخليهم ويحصلون اسلحتهم ويقاثلون بها عند الضرورة • وهي
الام تعصب جرح ابنها بنفسها وبعد ان تكمل عصابة الجرح تصيح به ان
انهض وفاجز القوم - أي انهض وقاتل القوم - ولم تؤثر عليها غريزة
الامومة • وخوفها على ابنها - ان تجد له عذرا بعد ان جرح جرحا بليغا في
دراعه الايسر وانما بعثت به النخوة والحماس وهي تهتف به - ان انهض
وفاجز القوم - أي انهض وصارع القوم •

وعندما تجرح هي - يهتف الرسول الكريم بأبنها يأمره بأن ينتبه الى
جراح امه ويطلب منه ان يعصب جراحها •

وكثيرهم الذين جرحوا في معركة احد منهم :

أسيد بن حضير جرح جرحين، ضربه احدهما ابو بردة ومايدري - يقول:
خذها وانا الغلام الانصاري !

(١) - الواقدي - المغازي - ج ١ ص ٢٧٠ ، ٢٧٢

قال وكر ابو زعنة في حومة القتال فضرب ابا بردة ضربتين ما يشعر ، به

ليقول

- خذها وانا ابو زعنة - حتى عرفه بعد ، فكان اذا لقيه قال :
- انظر الى ما صنعت بي فيقول ابو زعنة :
- انت ضربت اسيد بن حضير ولا تشعر ، ولكن الجرح في سبيل الله فذكر ذلك رسول الله (ص) فقال (ص) وهو في سبيل الله ، يا ابا بردة لك اجره حتى كأنه ضربك احد من المشركين - ومن قتل فهو شهيد^(١)

فذكر ذلك رسول الله (ص) فقال (ص) وهو في سبيل الله ، فلما فرغ رسول الله (ص) من دفن اصحابه دعا بفرسه فركبه وخرج المسلمين حوله ، عامتهم جرحى ومعه اربع عشرة امرأة كنّ مكلفات بعلاج الجرحى وحمل الماء والطعام . وقال رسول الله (ص) يخاطب سعد بن معاذ وهو يقود عنان دابته :

- يا ابا عسرو ان الجراح في اهل دارك قاسية وليس مجروح الا ياتي يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان اللون لون دم والريح ريح مسك .
- فمن كان مجروحا فليقر في داره وليداوي جرحه ، فتخلف كل مجروح . فباتوا يوقدون النيران ويداوون الجراح ، وان فيهم من بني عبدالاشهل ثلاثين جريحا^(٢) .

وجاء في موضع اخر « رجع من رجع من اصحاب رسول الله (ص) وعامتهم جريح ورجع عبدالله بن عبدالله بن ابي وهو جريح فبات يكوى الجراحة بالنار حتى ذهب الليل^(٣) ومن جرح في معركة بدر عبدالرحمن بن عوف حيث جرح عشرون جرحا

(١) - الواقدي - المغازي - ج ١ ص ٢٣٣

(٢) - الواقدي - المغازي ج ١ ص ٣١٦

(٣) - الواقدي - المغازي ج ١ ص ٣١٧

أو أكثر وبعض جراحه قد اصاب ساقه وترك اثر عرج دائم في مشيته^(١) .

ان ما جاء بتوجيهات القائد العام لجيوش المسلمين النبي محمد (ص) بأن من كان مجروحاً فليقر في داره وليداو جراحه وبهذا توجيه ونصيحة لجرحى المسلمين بالاهتمام بمعالجة جراحهم وعدم تركها واهمالها - ولجأوا في معالجتها بتنظيفها وغسلها بالماء الحار المغلي واشعال النيران وكى تلك الجراح - وان في كى الجراح فائدة مضاعفة حيث ان كى الجرح يقطع النزيف من الاوردة والشرابين وكذا ينفع الجروح من تلوث بالجراثيم وقد عرفوا ذلك بالحدس والتخمين والممارسة ومتابعة جراحهم في حروبهم وغزواتهم السابقة . حتى من الله على جميع الجرحى بالشفاء وبأسرع ما كان حتى ان اغلبهم خرج مسرعاً عندما سمعوا مؤذن الرسول يدعو لملاحقة المشركين في غزوة حمراء الاسد .

حيث نادى بأمر من الرسول الكريم :

« ان رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا الا من شهد القتال بالامس » . فخرج سعد بن معاذ راجعاً الى داره يأمر قومه بالمسير والجراح في الناس فاشية عامة وبني عبدالاشهل كلهم جرحى ، فجاء سعد بن معاذ فقال :

ان رسول الله (ص) يأمركم ان تطلبوا عدوكم .

وقال قائل آخر ان اسيد بن حضير وبه سبع جراحات وهو يداويها فأخذ سلاحه ولم يعرج على تدوي جراحه .

فوثبوا الى سلاحهم وما عرجوا على جراحاتهم ، فخرج من بني سليمة اربعون جريحاً ، وكان بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً وبخراش بن

(١) - العافظ شمس الدين الذهبي - تحقيق فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم - دول الاسلام ص ٢٦

الصمة عشر جراحات وبكعب بن مالك بضعة عشر جرحا وبقطبة بن عامر ابن حديد سبع جراحات فلما نظر رسول الله (ص) اليهم والجراح فيهم فاشية قال :

اللهم ارحم بني سليمة

ان المقاتل المسلم وهو مثخن بالجراح ، في بعضهم سبع جراح أو تسع أو ثلاثة عشر جرحا أو اكثر ويقضي الليل يداوي جراحه وعندما يأتي نداء الواجب بسواصلة السير واللاحق بالعدو لقتاله يتحامل على نفسه ويرتفع فوق الام تلك الجراح ، فأبي مقاتلين كانوا ، واية معنويات كانوا يحصلون ، واية عقيدة رسخت في عقولهم ، ليس هذا فحسب فان قصة الاخوين : كما رواه الواقدي وكما ذكر في سيرة ابن هشام والطبري . عبدالله بن سهل ورافع بن سهل من بني عبدالاشهل ، حين رجعا من احد وبهما جراح كثيرة وعبدالله اثخنهم جراحا ، فلما اصبحوا وجاءهم سعد بن معاذ يخبرهم ان رسول الله (ص) يأمرهم بطلب عدوهم : هذا ما رواه (الطبري)

اما ما جاء في سيرة ابن هشام ، انهما لما سمعا اذان مؤذن رسول الله (ص) بالخروج في طلب العدو وقال احدهما :

— قلت لآخي وقال لي :

— اتفوتنا غزوة مع رسول الله (ص)

— والله ما لنا من دابة نركبها وما لنا الا جريح ثقيل وما ندرى كيف نصنع !

قال عبدالله : انطلق بنا !

قال رافع : لا والله ما بي مشي

قال اخوه

— انطلق بنا — نجاز ونقصد !

فخرجوا يزحفان . فضعف رافع فكان عبدالله يحمله على ظهره عقبه ويشي الآخر عقبه حتى اتوا رسول الله (ص) حيث انتهى اليه المسلمون ، عند العشاء وهم يوقدون النيران عند منطقة تسمى حمراء الاسد ، وهي من امدينة على ثمانية اميال . فقام بها ثلاثا ثم رجع الى المدينة .

وقد خرج رسول الله (ص) في غزوته هذه وهو مجروح في وجهه اثر الحلقين ومشجوج في جبهته في اصول الشعر ، ورباعيته قد شظيت وشفته قد كست من باطنها .

قال : طلحة

فأخرج اعدو فالبس درعي واخذ سيفي واطرح درقتي في صدري ، وان بي لتسع جراحت ولأنا اهم بجراح رسول الله (ص) مني بجراحي .^(١) وبهذه الروح وهذه المعنويات حارب المسلمون الكفار كما نعبده الله ورافع اخوين قد اثقلتهما الجراح ولا يستطيع احدهما على السير فيقدم الاخ الافضل حظا والاخف جراحا على حمل اخيه حتى لا تفوتها غزوة مع رسول الله (ص) — وهكذا كانا يسيران حقبة من الزمن ويحمل احدهما الآخر حقبة اخرى حتى ادركا رسول الله بجمع المسلمين واغلبهم قد جرح في المعركة السابقة .

وفي غزوة الاحزاب — غزوة الخندق — حيث رمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه — كما جاء بسيرة ابن هشام عن عاصم بن قتادة ، حبان بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لؤي فلما اصابه قال :

(١) — الطبري — ٢ : ٥٣٥

الواقدي ج ١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٨

— خذها مني وانا ابن العرقة • فقال سعد :

— عرق الله وجهك في الناس • اللهم ان كنت ابقيت من حرب قرش شيئاً فابقني لها ، فإنه لا قوم احب اليّ ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه واخرجوه ، اللهم وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فأجعله لي شهادة ولا تستني حتى تقرر عيني من بني قريظة^(١)

وفي معركة الخندق هذه حيث يرام اصحاب رسول الله والمشركون عبر الخندق وقال قائل :

وثاب الينا اصحابنا وثاب اليهم اصحابهم وكثرت الجراحة بيننا وبينهم
وقد رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب منه الاكل^(٢) وجعل عمرو بن عبد ود ، يدعو الى البراز ويقول :

ولقد بحثت من النداء لجبعكم هل من مبارز ؟

وعمره يومئذ منفل للبراز وبخاصة انه موتور من معركة بدر - حيث قد شهد بدرا فارتث جريحا ولم يشهد أحداً وجاء الى غزوة الخندق وهو حاقق للثأر لما ناله من معركة بدر وربما شعر بالخجل والخذلان لانه لم يشهد احداً لاصابته بالجراح التي ائخنه المسلمون بها يوم بدر وخرج اليه ليث المسلمين - الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فقضى عليه^(٣)

وعندما اصيب سعد بن معاذ بالسهم وقطع منه الاكل ونقل بأمر من الرسول (ص) الى خيمة رفيدة^(٤)

(١) - سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٨

(٢) - الواقدي - المغازي - ٢ : ٤٦٧

(٣) - الواقدي - المغازي - ٢ : ٤٧٠

(٤) - الطبري ٢ : ٥٧٥

وهي امرأة من اسلم - يقال لها رفيدة - اوريدة - اتخذت من خيمة لها في مسجد الرسول مقرا ومنتجعا ومشفى للمسلمين - كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضعة من المسلمين •

وكان رسول الله (ص) قد قال لقومه حين اصاب السهم معاذ بالخنق - اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب^(١)

وكان ذلك في سنة « ٥٥ هـ - ٦٢٧ م »^(٢)

وتعتبر هذه الخيمة اول خيمة طبية في الاسلام أو انها محطة تضييد متقدمة أو انها محطة اخلاء خسائر - أو انها نواة لوحداث الميدان والمستشفيات العسكرية الحالية •

وفي ذلك دليل واثبات على اهتمام المسلمين بجرحاهم وعلاجهم واخلائهم من ساحة المعركة وعدم تركهم نهبا للاهمال والتلوث والتسمم والنزف حتى الوفاة •

وكان في ايام رسول الله (ص) اطباء من حي انمار ودخل احد اصحابه وبه جرح فقال للطبيين :-

— ايكما أطب ؟

فقال احدهما : انا يا رسول الله

فقال فدونك اذن (اي تقدم وباشر العلاج)^(٣)

وقيل له يا رسول الله أفي الطب خير ؟

(١) - الطبري - تاريخ الطبري ٢ : ٥٨٧

(٢) - عمر فروخ ٢٩١

القاموس ١ : ٢٩٥

(٣) - ابن جلجل - تحقيق فؤاد سيد - طبقات الحكماء ص ٥٥

قال : نعم - انزل الدواء من انزل الداء (١)

وفي غزوة سرية بشير بن سعد الى فذك في السنة السابعة للهجرة في شهر شعبان الى بني مرة - حيث قاتل بشير قتالا شديدا حتى ضرب كعبه - وقيل - فدمت - وامهل بشير بن سعد وهو في القتلى فلما امسى تحامل حتى انتهى الى فذك فاقام عند يهودي بفذك - اياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة . (٢)

ان يسكت جريح بين القتلى ويترك من قبل اصحابه واعدائه فلا بد وان يكون اصابته بليغة ونزفه كثيرا ولكنه يتحامل على نفسه ويسكت عند رجل اخر ويتداوى ويشفى - مهسا كان الدواء بسيطا والعلاج اوليا فانه ساعد على الشفاء وبأيام معدودة يتسكن بعدها من الرجوع الى المدينة سالما .

وثمة قصة مغايرة اخرى حيث يصاب المجاهد عبدالله بن ابي بكر في حصار الطائف - حيث رمى ابو محجن وهو مشرك يوم الطائف رمية بسهم اصاب عبدالله بن ابي بكر الصديق (رض) . فدخل الجرح حتى تقيح . وخرج السهم من الجرح فأمسكه ابو بكر عنده ، وتوفي عبدالله بن ابي بكر في خلافة ابي بكر (رض) بعد ان مكث منه جريحا لفترة طويلة .

وتقيح الجرح ومكوث عبدالله جريحا لفترة طويلة لا بد ان الجرح قد تلوث بالجراثيم - حيث لم تكن مكتشفة حينئذ والظاهر لم تجد الادوية والعلاجات المعروفة في حينه من السيطرة على تلك التقيحات والتلوثات حيث اضررت بجسده اما من انتشار الجراثيم في بقية اعضاء الجسم او ان السموم الجرثومية اثرت على الكلى ووظيفتها - أو ان الجراثيم امتدت الى المفاصل

(١) - ابن جليل - تحقيق فؤاد رشيد - طبقات الحكماء ص ٥٥

(٢) - الواقدي ج ٢ ص ٧٢٣

والعظام وقبحتها - فهناك الكثير من التفسيرات العلمية - الحديثة والتي لا مجال للخوض فيها ووضع فرضيات لا حاجة اليها هنا .

وفي الحروب الحديثة زاد الاهتمام الكبير بالصحة العامة في الميدان ووقاية القطعات من ان تفتك بها الاوبئة مما يؤثر على قدراتها القتالية - ويضعف قواها ومعنوياتها وما يروى عن نابليون بأنه كان يهتم كثيرا في اختيار معسكرات جيوشه - وهو الذي يقول :

« اني لأجازف بخوض اشد المعارك قساوة من ان اترك جنودي يعكرون في ارض غير صالحة للعسكر »

وفي الحرب العالمية الثانية والاولى ان ما خسرتة الجيوش المتحاربة من جنودها نتيجة لانتشار الامراض والاوبئة اكثر من خسائرها في القتال - وسجلت كتب التاريخ الكثير من جيوش قوية فتكت بها الاوبئة وأدت الى خسارتها قبل خوض المعارك . وبخاصة المياه الملوثة وغير الصالحة للشرب والعسرة حيث نرى اهتماما كبيرا في وقتنا الحاضر بطرق الوقاية وفحص المياه وتعيمها وتصفيتها قبل السماح للقطعات استعمالها للشرب أو الطبخ أو الاغتسال ولم يهمل الاسلام منذ بداية نشر العقيدة الاسلامية هذه الناحية المهمة في الحفاظ على صحة القطعات وصحة المقاتل المسلم .

فقد ركز الاسلام على الوقاية والاهتمام بالصحة العامة والاهتمام بالماء الذي يشربه المقاتل أو يغتسل به أو يتوضأ أو يطبخ منه طعامه .

فقد جاء عن ابي هريرة - وهو يتحدث عن غزوة تبوك ويقول :
لما مررنا بالحجر استقى الناس من بئرها وعجنوا فنادى منادي النبي
(ص) .

— لا تشربوا من ماءها ولا تتوضؤوا منه للصلاة وما كان من عجين فاعلقوه
الابل . فتوقف المسلمون من استعمال ماء ذلك البئر واعطوا العجين

الى بعض الابل وكانت الابل التي علفت من العجين اضعف الركاب .
وقال :-

وبعدها تحول المسلمون الى بئر صالح عليه السلام فجعلنا نستقي من
الاسقية ونغتسل منها حتى ارتويننا^(١)

وفي هذا المثل الحي على اهتمام النبي محمد (ص) بالماء الصالح للشرب
وعدم استعمال الماء من البئر غير الصالحة للشرب او الاغتسال أو طبخ الطعام
دليل على الحفاظ على صحة الجند وحمايتهم .

ومن وصية الخليفة الاول « ابو بكر » (رض) لخالد بن الوليد ، حين
وجهه لقتال اهل الردة :-

« سر على بركة الله ، فأذا دخلت ارض العدو فكن بعيدا عن الحملة
فاني لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالادلء ، و لا تقاقل
بمجروح فأن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فأن العرب غره ، واقل
من الكلام فاننا لك ما وعي عنك ، واقل من الناس علانيتهم . وكلهم الى
الله في سرائرهم ، واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه » .^(١)

فما جاء بوصية الخليفة الاول انها تشمل شيئا مهما في تحمل الجند
وهو ان يتزود بالزاد والطعام للحفاظ على قوة جنده وقدرتهم على القتال
اذا ما طال بهم السفر ، وانقطعت عنهم الامدادات والاهم من ذلك وصيته
بعدم القتال بمجروح - لان فيه ضعفا واننا الوصية بالمجروح ان يترك
بالمقرات الخلفية وان يعالج ويشفى وترجع اليه صحته وقوته .

وحادثة اخرى تشير الى اهتمام الجيوش الاسلامية بالاسعافات الاولى
وضماد الجروح وشفاء المجروح كما حدث - لمالك بن الحارث الاشتر :

(١) - الواقدي ج ٢ ص ١٠٠٧

(١) - ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ١ ص ١٢٩

وذلك انه لما ارتدت العرب في ايام ابي بكر الصديق (رض) وعزهم
الله سبحانه تعالى له على قتالهم . جهز العساكر الى قبائل العرب المرتدين . فكان
ابو مسيكة الايادي مع بني حنيفة وكانوا اشد العرب شوكة . وكان مالك
الاشتر في جيش المسلمين - فلما توافقوا برز مالك بين الرصفين وصاح :

— « يا ابا مسيكة ! » فبرز له ، فقال :

— ويحك ! يا ابا مسيكة بعد الاسلام وقراءة القرآن رجعت الى الكفر ؟
— فقال :

— اياك عني يا مالك ! انهم يحرمون الخمر ولا صبر لي عنها .

— فقال :

— فهل لك في المبارزة ؟

— قال : نعم

فالتقيا بالرماح والتقيا بالسيوف . فضربه ابو مسيكة فشق رأسه .
وشر عينه وبتلك سمي الاشتر .

فرجع وهو معتنق رقبة فرسه الى رحله واجتمع له قوم من اهله
واصدقائه ليكون فقال لاحدهم :

— ادخل يدك في فمي !

فادخل اصبعه في فمه فعضها مالك .

والتوى الرجل من الوجع . فقال مالك :-

— لا بأس على صاحبكم ، يقال اذا سلمت الاضراس سلم الرأس .
احشوها « يعني الضربة » سويقا وشدوها بعمامة ، فلما حشوها
وشدوها قال :-

— هاتوا فرسي !

قالوا : الى اين ؟

قال : الى ابي مسيكة !

قبرز بن الصفيين وصاح

— يا ابا مسيكة — فخرج اليه مثل السهم • فضربه مالك بالسيف على
كتمه فشققها الى سرجه فقتله •

ورجع مالك الى رحله فبقى اربعين يوما لا يستطيع الحراك • ثم ابل
وعوفي من جرحه ذاك^(١)

فأن استعمل السويق في الجرح الحاد — ربما احتوى على بعض المعققات
أو انه يحرق قبل ان يطحن وبذا يكون معقنا — أو فيه مادة تساعد في وقف
النزيف — واستعملوا العمامة لتضميد الجرح •

وبهذا الضاد وتعصيب الجرح بعد ان حشي الجرح بالسويق ضمان
النزيف • ولمنع التلوث وربما ساعد على سرعة شفاء الجروح وكذا يمنع
تعرضها للسلالات الخارجية — من اتربة وذباب واوساخ وفي ذلك ضمان من
تعرضها للجراثيم وتقيحها — وتأخر شفائها •

وكذا استعمل العرب ومن قديم الزمان القهوة بشكلها المطحون الناعم
في معالجة الجروح وفي تلك نفس الخاصة اي ان القهوة وخاصة بعد حرقها
انها تصبح معقمة عازلة للجرح عن التلوث •^(٢)

وقد انزل الله في كتابه المبين على نبيه الامين امر المسلمين بالجهاد في
سبيل الله — وفي سبيل نشر الدعوة الاسلامية وتحرير العقول المصادرة في
الجاهلية من خرافاتها ومعتقداتها القديمة •

(١) — اسامة بن منقذ — الاعتبار — ص ٣٧

(٢) — زنجريد هونكه — شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٢١

وليس تغير مفاهيم الانسان وتحريره من ضلاله وما اعتاد عليه بالامر السهل • وانتشرت الدعوة الاسلامية والعقيدة المساوية في ربوع الجزيرة العربية شرقيها وغربيها - وسارت الجيوش الاسلامية لحماية هذه الدعوة - وخاض المسلمون الغزوات المتلاحقة والحروب المتكررة •

وصاحب هذه الجيوش الاطباء والمرضات والآسيات

وكان في هذه المعارك والحروب شهداء وجرحى ودماء زكية نزت من اجل العقيدة ومن اجل ارواء الارض العربية لتحريرها من رجس الطامعين الفرس والبيزنطيين •

هكذا املت الضرورة على المسلمين في عصر النبوة وصدر الاسلام - الحروب والفتوحات اللاحقة ان يهتموا بالجرحى والمصابين - وجاء ذكر ذلك في كتب السير والتاريخ هنا وهناك على هيئة حوادث وامثلة وطرائف ومن تلك الاحاديث والقصص والامثلة نستدل على اهتمام المسلمين بالجرحى والشهداء والمصابين في الحروب والغزوات •

وذكر ابن اسحاق في السيرة انه :

« كان رسول الله (ص) قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لأمرأة من اسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضعة من المسلمين • (١)

ففي معركة احد وحدها بلغ عدد جرحى المسلمين (١٥٠) جريحا وعدد الشهداء سبعين وهو اكبر عدد اصيب به المسلمون في جميع غزواتهم في عهد الرسول (ص) •

وطبق المسلمون في علاج جراحتهم مبدأ الطهارة في هذه المعركة التي امر

(١) - د ياسين خليل ص ٦٢

ابن هشام السيرة ج ١ ص ٦٨١

بها الاسلام في تطهير الجروح فكان من اوامر رسول الله (ص) الى المسلمين قوله :-

« طهروا هذه الاعضاء طهركم الله وخللوها بالماء »

(رواه الطبري)

وقد امر الرسول (ص) المسلمين بغسل جراحهم بالماء المحروق (اي المغلي سابقا) وبفضل مبدأ الطهارة والنظافة كانت جراح المسلمين تشفى بسرعة مذهلة .

وعلى النقيض من ذلك كانت اوربا المتحضرة الان والى امد ليس بالبعيد لا تهتم بهذه الناحية اطلاقا وكان من الاطباء ومن يدعي الجراحة يدخلون غرفة العمليات وفي ايديهم بقايا الطعام - وكانت الممرضة تداوي الجرحى وفي ايديها بقايا القمامة والافساخ ...

بل والى فترة قريبة كانت الجراحة محرمة من الكنيسة في عموم العالم المسيحي .

وعندما طالب طبيب امريكي لأول مرة في تاريخ الغرب زملاءه بغسل ايديهم قبل العمليات سخروا منه وحسبوه مخبولا^(١)

بينما جاء الاسلام بمبدأ الطهارة قبل الغرب باربعة عشر قرنا من الزمان « ان الله يحب الثواين ويجب المتطهرين »^(٢) وهناك مثل دارج :-

« الجراحة وليدة الحرب »

وهكذا جاءت انجازات المسلمين في الجراحة والتخدير مذهلة ، وبما ادخلوه من تجديد وابتكار في علمي الجراحة والتخدير بالرغم من تركيز جل

(١) - الدكتور احمد شوقي الفنجري - الطب الاسلامي ومؤتمره الاول - الوعي

الاسلامي العدد ١٩٥ - يناير ١٩٨١م ربيع الاول ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) - سورة البقرة الاية ٢٢٢

جهدهم العلمي في الطب والفلسفة . حيث يعتبر ان المسلمين اول من اكتشف التخدير الكامل في الجراحة - ولذلك قصة طريفة :- (في العصر الجاهلي وما قبل الاسلام لم تكن الانسانية تعرف اي دواء مخدر أو مغيب الوعي قبل اجراء العملية ، فمن الاساليب الشائعة انهم احيانا يضربون المريض على رأسه



آلات طبية وجراحية عثر عليها في خرائب القسطنطينية

حتى يفقد وعيه . أو يستقونه كمية من الخمر حتى يخفف الألم - أو انهم يشدون وثاقه ويختارون اقوى رجال العشيرة للقيام بهذه المهمة - وما لهذه الاساليب من اخطار جسيمة ومردودات بشعة تأبأها النفس الانسانية .

ويروى ان قد ذهب وفد من الاطباء الى رسول الله (ص) يسألونه عن
الطب والاسلام . طلب بعضهم منه ان يأذن لهم باستعمال الخسر كمخدر قبل
الجراحة فنهاهم الرسول وقال لهم :-

« انها داء وليست دواء وما جعل الله شفاء امتي فيما حرمه
عليها »

ومن بعد ذلك اللقاء ابتدأ المسلمون البحث والتقصي عن دواء مخدر
يعني عن الخسر - فكانوا اول من اكتشف النبات المسمى (القناب العربي)
والمستعمل في الجراحة .

وقد ذاع صيت السيوف العربية واشتهرت في التاريخ بصلابة معدنها
وحدة شفرتها - وهذا يدل على تفوق المسلمين في صناعة الصلب والمعادن وهذا
ما ساعدهم على التفوق في تصنيع الالات الجراحية .

ومما يشهد للطب الاسلامي في صدر الاسلام وتفوق الجراحة في علاج
المقاتلين ما جاء على لسان القائد العربي المسلم خالد بن الوليد عندما ادركته
الوفاة قولته المشهورة :

« لقد دخلت عشرات المعارك وما في جسدي موضع الا فيه اثر ضربة
من سيف او طعنة من رمح ... ومع ذلك فما انذا اموت على فراشي كما
يموت البعير » وقد احصى بعض الصحابة الجراح في جسم خالد بانها قرابة
الاربعين جرحا ... بعضها يسع قبضة اليد ... فاذا كان خالد بعد هذا كله
قد توفاه الله على فراشه في ميتة طبيعية فأنا يدل ذلك على تقدم الطب
والتسريض في عصر الاسلام الاول وبخاصة طب وجراحة الحرب وفي مقدمتها
مبدأ الطهارة وغسل الجراح وتنظيفها والذي امر بها الاسلام - وكذا كيها
أو تضميدها ورش الذرور عليها حتى كانت تشفى دون تعقيد أو مضاعفات

(١) - الدكتور احمد شوقي الغنجري - الوعي الاسلامي ٨٩١م - ١٤٠١هـ
ص ١٢٨ - ١٢٩

التمريض في الحضارة الاسلامية

« نايتنغيل » امرأة انجليزية حققت شهرة واسعة وانتشر اسمها في عالم الطب والتمريض العسكري - ويحيط اسمها هالة من الفخر والتقدير في العالم الغربي ، وبدأ يمتد نحو عالمنا الاسلامي والعربي وكتب عنها الكثير واطلق اسمها على ردهات ومستشفيات وشوارع ونصب تخليدا لذكراها ومفاخرة بأعمالها الانسانية أنها امرأة ثائرة - شقت طريقها من حصار الطبقة النبيلة لترفع مشعل نورها داعية الى التمريض واعتباره عملا شريفا - وبخاصة التمريض العسكري وشاركت في بعض الحروب التي خاضتها الجيوش الانجليزية الغازية في أواخر القرن التاسع عشر •

والعرب المسلمون يعرفون الكثير عن هذه المرأة البريطانية الجنسية وربما شعروا بالفخر والزهو بأعمالها الانسانية وتدرس تأريخ حياتها في كتب المدارس - ولا ضير ولا اعتراض على ذلك فمهنة التمريض وبخاصة التمريض العسكري مهنة انسانية عالمية - ولكن - ومن الحق والعدل والمنطق ان تدرس وتدرس ونفخر ونعتز - بالرهط الكبير من الاسيات - أو

المرضات العربيات - المسلمات اللاتي سبقن « نايتنغيل » بمئات السنين عندما خرجن من خدرهن وتحفظهن بل وتزمت القبيلة والعشيرة والعائلة ليساهمن مساهمة جادة في التمريض العسكري في صدر الاسلام •

لقد ساهمت المرأة العربية المسلمة في الخدمات الاجتماعية والحروب والاعلام الحربي والشعر واثارة الحماس في القتال وتوجت مجدها وخدماتها الاجتماعية باعمالها الانسانية في صدر الاسلام حيث ساهمت مساهمة جادة وفاعلة في مشاركة الجيوش الاسلامية وهي تحارب الشرك وتبدد غيوم الجاهلية وحملت عدة التمريض والاسعاف المعروفة انذاك من لفائف وعصائب وذرور وسويق - وما يلزمها لاداء مهامها الانسانية

كان هذا سائدا وبدرجة محدودة قبل الاسلام - وافر الاسلام عمل النساء هذا ورعاه وشجعه وطبق عمليا في غزوات وحروب الرسول الكريم (ص) •

اطلق العرب اسم الآسيات واواسي على النساء العربيات المسلمات اللاتي عملن في تضييد الجراح وجبر العظام وايقاف الدماء النازفة من جراح المقاتلين وغير ذلك من الاسعافات الاولى المعروفة •

وقد سمين بهذا الاسم لانهن كن يعالجن جراح الجريح ويؤاسينه وكن يخرجن الى المعارك مع الرجال جنبا الى جنب حاملات الماء والسويق والاغذية الجافة وكل ما يحتاجه المقاتل الجريح من اللفائف والجبائر واذا ما دعت الحاجة فانهن يشتركن في القتال

وكانت لهن مواقف خالدة ومواقع مشهودة سجلها التاريخ بأحرف ناصعة ولا بد لنا في هذه الدراسة من ان نقف وقفة تأمل واعادة ذكرى لبعض منهن تذكيرا لجيلنا وتعريفا لطلابنا ومشاركة لمؤرخينا بالقاء بصيص من نور على اعمالهن وخدماتهن ومواقفهن - حتى تكون الواحدة منهن منارا

لجينا الحاضر مضيئاً من خير عطائهن مما يدفع بنات جيلنا المساهمة
الجادة في ميدان تمريض المقاتلين البطل وهم يخوضون حروباً متواصلة
من اجل قدسية وكرامة امتنا العربية وازدهار مجدها •

رفيدة الانصارية : اول ممرضة في الاسلام

رفيدة بنت سعد الاسلمية الانصارية من بني اسلم احدى قبائل الخزرج
... كان ابوها انصاريا من بني اسلم اسمه سعد •

وقد جاء في بعض المصادر كعنية بنت سعد .. وفي مصادر اخرى
« رنيدة » ولكن تغلب تسميتها في اكثر المصادر على انها « رفيدة » آسية
وطيبة متميزة بالجراحة وكانت من فضليات عصرها ولدت في يثرب ..
وكانت سبقة الى الاسلام وهي بين نساء الانصار اللائي استقبلن النبي
محمد (ص) عند هجرته من مكة الى المدينة بالمزامير والزغاريد •

وبعد ان استقر الامر للاسلام في المدينة المنورة تفرغت رفيدة لمهنة
التمريض التي ورثتها عن ابائها - وربما عن نساء القبيلة •

وكانت في ايام السلم تحتسب بنفسها على من به علة من المسلمين واذا
ما بدأ القتال وغزوات الرسول تشترك رفيدة في علاج واسعاف الجرحى
فشاركت في بدر واحد والخندق وخيبر وسائر غزوات رسول الله (ص)
في غزوة الخندق - وقد حاصرت قريش وحلفاؤها المدينة - وحفر المسلمون
الخندق - وشارك الرسول في خط الدفاع هذا عن المدينة واتخذ المقاتلون
اماكنهم في مواجهة كل الاحتمالات - وشد الرماة اقواسهم بقوة وترقب
لرمي المشركين اذا ما سولت لهم انفسهم محاولة الهجوم ومغبة المفاجأة ...

وانصرفت رفيدة الى واجبها ومهنتها واقامت خيمتها قرب ميدان القتال
في جامع رسول الله (ص) ويصاب سعد بن معاذ بسهم من الاعداء - قد
غار في جسده واصاب منه الاكل - ويأمر القائد العام لجيش المسلمين ان

انقلوا - اخلوا - « سعد بن معاذ » الى خيمة ربيعة - واتت دورها على
الوجه الاكسل حيث اخرجت السهم واوقفت النزف واشرفت على تريضه •
وكان رسول الله (ص) يسر على الصحابي الجليل الجريح في خيمة ربيعة
عدة مرات في اليوم •

ويمكن اعتبار خيمة ربيعة تلك - على انها أول خيمة طبية نصبت في
الاسلام او انها اول مستشفى ميدان متنقل او في اقل تقدير فانها اول محطة
تضيد متقدمة من ساحة المعركة •

وفي غزوة خيبر - والجيش الاسلامي يستعد ويتأهب للزحف على من
خان العهد ونقض الاتفاق ••

جاءت ربيعة متطوعة الى رسول الله (ص) على رأس فريق كبير من
المتطوعات من نساء الصحابة كانت ربيعة قد دربتهم على فنون الاسعاف
والتمريض واستأذن رسول الله (ص) قائلات :-

« يا رسول الله اردنا ان نخرج معك الى وجهك هذا » الى خيبر «
فنداوي الجرحى ونعين المسلمين ما استطعنا » •

— فقال الرسول الكريم لهن :

— « على بركة الله »

وكانت تقسمهن الى كراديس اي الى فرق بعضهن للعمل في الاسعاف
في الميدان وتحت سنابك الخيل - وفريق اخر للاسعاف في مركز قيادة الرسول
وفريق ثالث في خيمة الميدان •

وفي هذه الغزوة ابلى فريق التمريض بلاء حسنا وقمن بجهد عظيم •
مما جعل الرسول (ص) يقسم لربيعة من الغنائم بسهم رجل مقاتل شأنها
في ذلك شأن الجندي المقاتل بسيفه وفرسه • كما اعطى المتفوقات منهن قلادة

شرف تقديرا للجهود التي بذلتها في اسعاف الجرحى في المعركة وقندهن بيده
الكريمة في اعناقهن •

وكانت الواحدة منهن تعتر بهذه القلادة وتقول :-

« والله لا تفارقني ابدا في نوم ولا يقظة حتى الموت »

ثم توصي ان تدفن معها اذا ماتت •

وبهذا تكون رفيدة أول من اقام مستشفى ميدان متنقل تشرف عليه
مرضات متدربات في تاريخ الانسانية وكان رسول الله (ص) اذا ما جرح
احد اصحابه يقول :-

— انقلوه الى خيمة رفيدة لكي تسعفه ريشا اعوده^(١)

وقد تناولها بعض الشعراء في قصائدهم ومنهم الشاعر احمد محرم
في ملحسته الاسلامية الذي قال يناجيها وهو يصف مشهدا من مشاهد قتال
المسلمين يوم الاحزاب .. ومطلع هذا الجزء :-

رفيدة علمي الناس الحنانا وزيدي قومك العالين شأنا
خذي الجرحى اليك فأكرمهم وطوفي حولهم آنا فانا
ومن هذا يستدل على اهتمام النبي محمد (ص) بالجرحى وأنه أول
من امر بالمستشفى الميداني وعناية الاسلام بأسعاف وعلاج رجال الحرب قبل
ان يعرف ذلك ابناء اوربا^(١)

نسبية بنت كعب المازنية

امراة جليلة ومؤمنة صادقة ومجاهدة شجاعة كانت سباقة للاسلام -
وشاركت الرسول في اغلب حروبه وغزواته ان لم تكن اجمعها • اشتركت
في معركة بدر وخرجت ايضا يوم احد ومعها زوجها وولداها وهي تحمل الماء

(١) - مجلة الوعي الاسلامي ، ١٩٨٠ ، عدد ١٧٦ ص ٨٠

والضمد والسويق ، اخذت تسقي العطشى وتضمّد المقاتلين ، وبلغت بها الشجاعة والجرأة والعزيمة الصادقة وهي ترى ابنها وفلذة كبدها يجرح فتقدم عليه آسية وطبية وممرضة في آن واحد وما ان تكمل الضمد والاسعاف الا تهتف به :-

— « قم يا بني وناجز القوم »

هذه هي المرأة العربية المسلمة المؤمنة صاحبة العقيدة الصادقة ترى ابنها يصاب ويجرح تنسى الامومة وتتصرف كأسية وطبية وبعد ان تكمل الضمد تهتف به مشجعه ان انهض وناجز القوم اي قم وقاتل القوم (الاعداء)

وبعد ان رأت نسيبة ان الحرب تسير الى غير صالح المسلمين وايقت بدنو الهزيمة وتفرق المسلمون بين شهيد وجريح وحائر فلم تطق الاكتفاء بالمؤاساة والمعالجة - بل انتضت سيفها واحتمت قومها وذهبت تصول وتجول وحولها نقر قليل من الابطال بينهم ولداها وزوجها فكانت من اظهرهم حماسة واعظمهم موقفا حيث شرعت السيف واخذت تضرب به ولا ترى الخطر يدنو من رسول الله (ص) حتى تكون سداًده .

وهي التي قال فيها رسول الله :-

— ما التفت يمينا ولا شمالا الا وانا اراها تقاتل دوني ، وكذا قال :-

— ومن يطيق ما تطيقنه يانسيبة^(١)

لقد بقيت تجالد القوم حتى جرحت وخارت قواها وارتمت على الارض

(١) - احمد شوقي الشطي - العرب والطب وزارة الثقافة والنشر دمشق ص ١٩٧٠

٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

الاصابة لابن حجر ، اسد الغابة لابن الاثير

وفي رواية اخرى عن مقتل مسيلمة الكذاب ان قاتله كان وحشي قاتل حمزة وقد اراد عمر بن الخطاب (رض) قتله يوم اسلامه فمنعه الرسول (ص) قائلاً له ، مامعناه لعل الله ان ينصر به المسلمين في يوم ما ، فكان يوم الحديقة واخرج وحش حربته التي قتل بها حمزة وهزها وارسلها الى مسيلمة فكانت ان اصابته منه مقتلاً . (صدق رسول الله)

صريعة وثبت رسول الله وانجلي من الغمرة ما انجلي ، وتساءلوا عن نسيية
فإذا هي ملقاة يفور دمها من جرح بكتفها ، ضدوا جرحها وسقوها الماء
وبرئت نسيية :-

امراة تصاب في هذا اليوم بثلاثة عشر جرحا ، واحد هذه الجراح
يتسع لكف اليد ، ومن ثم تسعف وتعالج ويتم شفاؤها كاملا وتعيش بعد
ذلك عمراً مديداً مما يدل على حسن التدبير الجراحي ، وتواجد الاسعاف
الجيد ..

وفي عهد الخليفة الاول ابي بكر الصديق (رض) اقسمت ان تشارك
في محاربة ابي مسيلمة الكذاب ، وهو الذي قتل ابنها ومثل به ، بعد ان
ارسله ابو بكر الصديق (رض) رسولاً ليهديه الى جادة الصواب ويثبته
عن غيه وكذبه ،

وكانت نسيية قد جاوزت الستين من عمرها ، وخرجت للجهاد مع
القائد خالد بن الوليد واشتركت مشاركة مقاتل اضافة الى عملها في مؤاساة
الجراحي وتضميد الجراح ،

وقد روت هي حادثة قطع يدها في هذه المعركة (نادت الانصار خلصونا)
فاخلصت الانصار ..

فكنت معهم حتى انتهينا الى حديقة الموت فاقتتلنا حتى قتل ابود جانة
على باب الحديقة ودخلتها وانا اريد عدو الله مسيلمة ، فيعترض لي رجل
منهم فضرب يدي فقطعها ، فوالله ماكانت لي ناهية ولاعرجت عليها حتى وقعت
على الخبيث مقتولا وابني عبدالله بن زياد المازني يمسح سيفه بثيابه
فقلت ... قتلته ؟ فقال : نعم •

فسجدت شكراً لله •

ورجعت الى المدينة بساعد واحد ، بعد ان عولجت يدها بغمسها بالدهن
المغلي - امراة لله درها - تحملت الجهاد بهذا العمر وتحملت الآم الاصابة
وبتر الساعد ومن ثم حرق الجرح بالدهن المغلي •

ليس هذا بدليل آخر على تواجد الطب والجراحة التي اسعفت الذراع
انقطوعة من غير مضاعفات ولا تلوث وتعيش صاحبة هذه الذراع المقطوعة
لتموت بعد سنوات عديدة من مرض آخر ...
الربيع بنت معوذ بن عفراء الانصارية

سيدة جليلة • اسلمت وبايعت رسول الله (ص) ورافقته وغزت معه
فكانت تداوي الجرحى وترد الشهداء الى المدينة وروت عن النبي واحداً
وعشرين حديثاً وروى لها البخاري ومسلم • توفيت سنة ٤٥هـ^(١)
ام رمثة بنت عمر بن هاشم بن عبدالمطلب

اسلمت وبايعت النبي (ص) وشهدت معه فتح خيبر وشاركت مع نساء
المسلمين في اسعاف وتضيد الجرحى واطعمها رسول الله (ص) اربعين
وسقاً تمرًا وخمسة ارسف شعيراً وروى عنها القعقاع بن الحكيم^(٢)

* * *

— وعن نجدة بن عامر الحروري ، انه كتب الى ابن عباس يسأله عن
خمس خصال :-

« اما بعد فأخبرني هل كان رسول الله (ص) يغزو بالنساء ؟ وهل كان
يضرب لهن سهماً ؟ وهل كان يقتل الصبيان ؟
فكتب اليه ابن عباس :-

— قد كان يغزوهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة^(٣) ، واما بسهم
فلم يضرب لهن

وقتل الصبيان ممنوع البتة •

« اخرجهم مسلم ، وابو داود ، والترمذي »

— وعن ام عطية قالت :-

(١) — عمر كحالة — اعلام النساء ج ١ ص ٣٨ الاصابة لابن حجر ، طبقات ابن
سعد

(٢) — كحالة — اعلام النساء ج ١ ص ٣٩٤ طبقات ابن سعد •
الاصابة لابن حجر

(٣) — يحذين — اي يعطين من الغنيمة

جئت رسول الله (ص) في نسوة من بني غنار . فقلنا :-
— انا نريد يا رسول الله ان نخرج معك الى خيبر فنداوي الجرحى ونعين
المسلمين بما استطعنا فقال رسول الله (ص) :
— على بركة الله

قالت :-

— فخرجنا معه وكنت جارية حديثا سني فاردفني رسول الله رحله .
فلما فتح الله لنا خيبر واخذ القلادة التي ترينها في عنقي فاعطانيها
وعلقها بيده في عنقي فوالله لا تفارقني ابدا . فكانت في عنقها حتى
ماتت وأوصت ان تدفن معها .

بعيثة بنت العارث

اسلمت وبايعت الرسول (ص) وشاركت في غزوة خيبر وقسم لها (ص)
من خيبر ثلاثين وسقا وروت الحديث^(١) .
امية بنت قيس ابي الصلت الغفارية^(٢)

اسلمت وبايعت بعد الهجرة وشهدت مع رسول الله (ص) خيبر
فقالت :-

غزوت مع رسول الله (ص) سبع غزوات وكنت اخلفهم في رحالهم
اصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى واقوم على المرضى .

« اخرجهم مسلم »

(١) - كحالة - اعلام النساء ج ١ ص ٢٩٤

(٢) - عمر كحالة - اعلام النساء ج ١ ص ١٠١

ام العارث الانصارية

من ربات الشجاعة والفروسية شهدت حيناً مع رسول الله (ص) ولم تنهزم يوماً فبين انهزم وانما ثبتت وقاتلت الى ان تجمع شمل المسلمين وروى عنها عمارة بن غزية (١) •

حملة بنت جعشة

اسلمت في مكة المكرمة بداية نشر الدعوة الاسلامية وهاجرت الى -
المدينة المنورة وبايعت الرسول (ص) وشهدت احدا فكانت تسقي العطشى
وتداوي الجرحى •

وكذا شاركت في غزوة خيبر وابلت بلاء حسنا في الاسعاف وسقي
الجرحى واطعمها الرسول (ص) ثلاثين وسقا وروت الاحاديث عن
النبي (ص) (٢) •

ام زياد الاشجعية

غازية غزت مع النبي (ص) يوم خيبر وهي سادسة ست نسوة قد
سبقن في التطوع للخروج مع المسلمين لعلاج الجرحى وسقي العطشى •
فبلغ النبي (ص) خبرهن فبعث اليهن وقال :-

(١) - عمر كحالة - اعلام النساء ج١ ص ١٠١

(٢) - عمر كحالة - اعلام النساء ج١ ص ٣٤٩

— بأذن من خرجتن ؟

فقلت له :

— خرجنا ومعنا دواء نداوي الجرحى وتناول السهام ونسقي السويق
ونغزل الشعر ونعين في سبيل الله •

فقال لهن (ص) : اقمن

اي قمن مع جيش المسلمين •

فلما فتح الله عليه خير قسم لهن كما قسم للرجال^(١)

سلمى مولاة محمد (ص)

قابلة وممرضة كانت تقبل خديجة ام المؤمنين ومارية ام ابراهيم بن
رسول الله (ص) وفاطمة بنت النبي • ومرضت السيدة فاطمة في مرضها
الذي توفيت فيه • وشهدت خير مع رسول الله (ص) وروت عن النبي
وعن فاطمة الزهراء •

وروى عنها ابن عبيدالله بن علي بن ابي رافع^(٢) •

ام سليلط

من المسلمات الاول - من الانصار الذين اسلموا وبايعوا رسول الله -
وهي من فضليات نساء عصرها بايعت النبي (ص) وحضرت معه يوم احد •

(١) - عمر كعالة - اعلام النساء ج ٢ ص ٤٣

اسد الغابة لابن الاثير

(٢) - عمر كعالة - اعلام النساء ج ٢ ص ٢٥٦ صحيح البخاري

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

وفي خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قسم الخليفة عمر الفاروق مروطاً بين نساء المدينة فبقي مرط جيد فقال له بعض من عنده •

— يا امير المؤمنين اعرف هذا ابنة رسول الله (ص) التي عندك يريدون ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب فقال عمر العادل :

— ام سليط احق وام سليط من نساء الانصار ممن بايعت رسول الله (ص) وانها كانت تسخر لنا القرب يوم احد^(١)

ام سنان الاسلمية

مسلمة مؤمنة ومجاهدة جليلة ، جاءت النبي (ص) متطوعة لما اراد الخروج الى خيبر فقالت له :-

— يا رسول الله اخرج معك في وجهك هذا افرز السقاء وادايوي المرضى والجرحى ، ان كانت جراح والا تكون فأنصر الرجل •
فقال رسول الله (ص) :-

— اخرجي على بركة الله تعالى فإن لك صواحب قد كلمني ، واذنت لهن من قومك ومن غيرهم فإن شئت فمع قومك وان شئت معنا :
فقالت ام سنان :-

— معك

فقال رسول الله (ص)

(١) - عمر كعالة - اعلام النساء ج٢ ص ٢٥٥ صحيح البخاري شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد .

— تكونين مع أم سلمة زوجتي

فكانت معها وشهدت فتح خيبر •

وكانت تخرج مع رسول الله (ص) الى الجمعة والعيدين •

وروت عنها ثبيرة بنت حنظلة الاسلمية

أم سليم ملعان بن خالد

قد اشتهرت بكنتيتها واختلف في اسمها ف قيل ان اسمها سهلة ورميلة
ومليكة والغيصاء والرميصاء وهي مجاهدة جليلة ذات عقل ورأي اسلمت
مع السابقين الى الاسلام وبايعت رسول الله (ص) فغضب مالك بن النضير
غضباً شديداً من اسلامها وقال لها :-

— اصبوت ؟

فقالت

— ما صبوت ولكني امنت بهذا الرجل ، ثم جعلت تلقن انسا وتشير اليه
بقولها :-

— قل لا اله الا الله قل اشهد ان محمدا رسول الله •

فكان مالك يقول لها :-

— لا تفسدي علي ابني :

فتقول :

— لا افسده

ثم خرج مالك يريد الشام فلقية عدو فقتله ، فلما بلغها قتله قالت :-

— لا افطم انسا حتى يدع الثدي •

فحطمها أبو ملححة وهو مشرك فأبت وقالت له :-

— يا أبا طلحة الست تعلم ان الهك الذي تعبد هوحجر لا يضرك ولا ينفعك او خشبة تأتي بها النجار فيخرجها لك ، هل يضرك ؟ افلا تستحي من عبادتك هذه فان اسلت لا اريد صداقا غير اسلامك •

فوقع الاسلام في قلب ابي طلحة ونطق بالشهادتين ، فتزوجته وكان الصداق بينهما الاسلام •

وشهدت يوم احد وسقت فيه العطشى وداوت الجرحى ، ثم شهدت يوم حنين وابلت فيه بلاء حسنا فحزمت خنجرا على وسطها وهي حامل يومئذ بعبد الله بن ابي طلحة فقال ابو طلحة :
— يا رسول الله هذه ام سليم معها خنجر !

فقال أم سليم :

— يا رسول الله اتخذ ذلك الخنجر ان دنا مني احد من المشركين بقرت بطنه واقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فأنهم لذلك اهل !!

فقال لها رسول الله (ص) :

— يا أم سليم ان الله قد كفى واحسن • وروت عن النبي (ص) اربعة عشر حديثا وروى عنها انس بن مالك - ابنها - وعبدالله بن عباس ، وزيادة بن ثابت وافرد لها البخاري حديثا ومسلم حديثا •

هكذا كانت أم سليم مؤمنة سبابة الى الاسلام داعية من دعائه الصادقين ، رفضت ان تتزوج مشركا وهي المسلمة الصادقة في ايمانها وجعلت من اسلام الخاطب صداقا لها ، لم تطلب المال ولا الذهب ولا الجمال وانما طلبت من خاطبها ان يثوب الى عقله ورشده ويترك الشرك ويقدم للايمان وهكذا كان - وتخرج مع الرسول (ص) لعلاج الجرحى ، راعية

أمرضى ومقاتلة ان كانت هناك حاجة للقتال ، وتضرب بخنجرها من يفرعن
رسول الله •

ومن ثم فهي العالمة الراوية للحديث (١) •

أم ايمن (بركة بنت ثعلبة)

هي حاضنة الرسول (ص) التي عاشت تحت حنانها ورعايتها في حياة
والدته ومن ثم بعد وفاة والدته ، كانت من المصدقات الاول لنبوته ودعواه ،
اسلست وهاجرت الهجرتين الى الحبشة في الاولى والى المدينة في الثانية •

وهي ام المجاهد البطل الشاب اسامة بن زيد الذي ولاه الرسول (ص)
امارة الجيش لغزو بلاد الروم قبل انتقاله الى جوار ربه •

كانت بركة حاضنة الرسول (ص) تقوم على خدمته ورعايته والاعتناء
به صغيرا والحدب عليه ، وكان يجد لديها الصدر الحنون والحب الكبير
والكلمة الطيبة وهو يناديها :-

— يا أمه

حيث كانت له بمثابة الام وهي التي تدير شؤونه وتدير اموره •

وكان كلما نظر اليها تذكره ايام طفولته - وذكر معها ما رافق تلك
الطفولة من احداث فيضع يده عليها مربتا قائلا :-

— هذه بقية اهل بيتي •

وكان الرسول يزورها وفاء منه لأنها كانت له اما بعد امه -

يزورها ليطمئن عليها ويأنس لاحاديثها •

(١) - عمر كحالة - اعلام النساء ج٣ ص٢٥٦
محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ص١٠٩
تاريخ الطبري - سيرة ابن هشام - طبقات سعد

وكانت (رض) تخرج مع الرسول (ص) في اكثر غزواته ومهسها في تلك الغزوات ان تقوم على سقاية الماء للعطاش من المجاهدين ومداواة جراحهم والاعتناء بهم •

شهدت « احداً » و « خير » و « حنينا » وكان النبي (ص) يخصها ببعض العطاء تعويضا لها ومكافأة على ما تقدمه من جهد وجهاد في اسعاف الجرحى واسقاء العطشى من المقاتلين المسلمين •

ولما مرض النبي (ص) كانت ام ايمن تعوده وتواسيه وتذرف الدموع •

ولما قبض النبي (ص) بكت ام ايمن

فقال لها !

— ما يبكيك ؟

فقلت :-

— ابكي على غضب السماء •

وكذلك بكت لما قتل عمر بن الخطاب (رض) فقل لها :-

— ما يبكيك ؟

فقلت :-

— اليوم وهن الاسلام • (١٧)

صفية بنت عمر بن الخطاب

من فضليات نساء عصرها شهدت غزوة خيبر مع رسول الله (ص)

(١) — عمر كحالة : اعلام النساء ١١٧

محمد عمر الداوق محمد علي قطب — سلسلة الابطال ٦٠
تاريخ الطبري — طبقات ابن سعد ١٠٧ ، صحيح البخاري

وشاركت في تضييد واسعاف الجرحى وسقي الماء للعطشى واعداد الطعام للمجاهدين . (١)

أم الضحاك بنت مسعود الانصارية

مسلمة مؤمنة سباقة للاسلام ، وشاركت في غزوات الرسول (ص) في سبيل الله ، فشهدت مع النبي بعض الغزوات واسهم لها سهم رجل (٢) .

أم منيع بنت عمرو بن عدي بن سنان

من خيرات نساء عصرها اسلمت وبايعت الرسول (ص) وشهدت معه خيبر (٣)

معاذة الغفارية

من فضليات نساء عصرها كانت انيسا برسول الله (ص) تخرج معه في الاسفار وتقوم على المرضى وتداوي الجرحى . (٤)

ليلى الغفارية

مجاهدة غازية تخرج مع النبي (ص) في مغازيه فتداوي الجرحى وتقوم على المرضى ، ولما خرج علي بن ابي طالب الى البصرة خرجت معه واتت عائشة ام المؤمنين فقالت :-

— هل سمعت من رسول الله (ص) فضيلة في علي ؟

قالت :-

— نعم

(١) - عمر كحالة - اعلام النساء - ج ٢ ص ٣٤٨
اسد الغابة لابن الاثير

(٢) - عمر كحالة - اعلام النساء - ج ٢ ص ٣٥٨ ، اسد الغابة لابن الاثير

(٣) - عمر كحالة - اعلام النساء - ج ٥ ص ١١٧

(٤) - عمر كحالة - اعلام النساء - ج ٥ ص ٦١

دخل على رسول الله (ص) وهو معي عليه جرد قطيفة فجلس بيننا ،
فقلت :-

— اما وجدت مكانا هو أوسع لك من هذا ؟

فقال النبي (ص) :-

— دعي لي اخي فإنه اول الناس اسلاما وآخر الناس بي عهدا وأول
الناس لقيا يوم القيامة^(١) .

(١) — عمر كحالة — اعلام النساء — ج ٤ ص ٣٣٦

« الخدمات الطبية في معركة اليرموك »

معركة اليرموك - معركة حاسمة من معارك المسلمين الكبرى - بعدها انهارت القدرة القتالية لجيوش الرومان وفي هذه المعركة توحدت الجيوش الاسلامية التي ارسلها الخليفة الاول (ابو بكر الصديق) (رض) لتحرير ارض الشام وفلسطين بقيادة ابي عبيدة عامر بن الجراح وشرجيل بن حسنة وعمر بن العاص ، وعكرمة ابن ابي جهل ، ويزيد بن ابي سفيان - وقدم القائد العبقري خالد بن الوليد من العراق على رأس مدد من جيوش العراق .

ووجد القيادات ونظم صفوف القطعات بما يلائم طبيعة الارض وتحشد قطعات العدو الذي يزيد عددهم على المئة والعشرين الف مقاتل بينما لم يتجاوز تعداد جيش المسلمين بعد توحيدها الثلاثين الفا . جيش المسلمين اقل عددا ولكنه ارسخ عقيدة واكثر تصميمًا على القتال وتحقيق النصر لان هدفهم لا ينحصر في خوض المعركة فحسب وانما هناك اهداف اسمى واغلى منها نشر الدعوة الاسلامية والتبشير بالعقيدة السماوية التي اثارت وسط

شبه الجزيرة العربية فلا بد ان تنشر ضيائها واشعتها الى حدود شبه الجزيرة العربية - قبل ان تنشر وميضها الى مختلف بقاع العالم - وتحرير الارض العربية من تدنيس المستعمرين الرومان من الغرب والفرس من الشرق •

خرجت النساء مع الرجال في هذه الجيوش وكان لهن دور مميز في هذه المعارك •

في هذه المعركة ابلى المسلمون - وقاتلوا قتالا شديدا واستبسل الرجال - وكان للنساء نصيب وافر في حث الرجال على القتال - اضافة الى واجباتهن الرئيسية في اعداد الطعام وسقي المقاتلين ومداواة الجرحى ودفن الشهداء • واصيب من وجوه المسلمين اكثر من ثلاثة الاف مجاهد استشهدوا الا من برا منهم •

واتى خالد بعد المعركة بعكرمة جريحا فوضع رأسه على فخذه وبعمرو بن عكرمة ووضع رأسه على ساقه وجعل يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء في حلقيهما (١) •

واستشهد في هذه المعركة عكرمة بن ابي جهل وابنه عمرو وعمه الحارث ••••• واثبت خالد بن سعيد ولا يدري اين مات بعدها • وكذا جرح جندب بن عمرو والطفيل بن عمرو ضرار بن الازور اثبت وشفى (٢) • اما النساء فقد خرجن باعداد كبيرة يوم اليرموك وكان هدف حضورهن الى ساحات المعارك لبث الحساس في هم المقاتلين واعداد الطعام واستقاء العطشى وحمل الضاد واللفائف ومعالجة الجرحى - ولكن في هذه المعركة شاركن مشاركة فعالة في القتال - كما فعلت الفارسة والبطلة المشهورة خولة بنت الازور وجويرة بنت ابي سفيان في جولة اخرى وكانت مع زوجها (واصيبت)

(١) - محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاري - ايام العرب ص ٢١٩

(٢) - اثبت - اي جرح جرحا عميقا

بعد قتال شديد . وكذا اصببت عين ابي سفيان بسهم فاخرج السهم من عينه
أبو حشمة^(١) .

ولم يسجل التاريخ عن هذا الرجل شيئاً في كتب الطب أو التاريخ
حديثاً أو ذكراً عن ابي حشمة فمن هو ؟ وما هو ذكره - وما هي معرفته
بالطب واخراج السهام والتعامل معها - أي ممارسة جراح الحرب أو الطب
العسكري - والا لماذا لم - يتعامل مع هذا السهم وقد اصاب به رجل معروف
من وجوه قريش في الجاهلية - والاسلام . فلماذا لم يخرج به مثلاً ابنه معاوية
أو يزيد احد قادة الجيوش - أو خالد بن الوليد - القائد العام - أو عمر بن
العاص . فلا بد وان هذا الرجل « أبو حشمة » له معرفة وخبرة في التعامل
مع السهام واخراجها . وكانت الاصابة بليغة في العين وفقدت قوة الابصار
فيها ولكنه عاش بعدها فترة طويلة وكان يرى جيداً بالعين الاخرى .

وكذا اصاب المغيرة بن شعبه في معركة اليرموك في عينه وفقدتها -
واصبح كريم العين ولكن هذا لم يمنعه من اللحاق في جيوش العراق
والمشاركة في معركة القادسية ، ومن ثم قاد بعض قطعات الجيوش الاسلامية
في العراق وفتح ميسان وهمدان وسوق الاسواق - ومعركة نهاوند -

ليس هذا بدليل على تمكن الجراحين العرب من معالجة العيون
المتابة واخراج السهام بيسر وسهولة من غير مضاعفات أو تلوث والتهاب ؟
وشاركت في معركة اليرموك ، اميمة بنت ابي بشر ابن زيد اطول
مجاهدة فاضلة قاتلت مع المسلمين مرارا وشهدت اليرموك مع بعلمها عبدالله
بن قرط الازدي فكانت تعرض على القتال وتسعف الجرحى^(٢)

وشهدت اليرموك كذلك معالجة للجرحى ومشجعة للمقاتلين ولكن

(١) - الطبري تاريخ الطبري - ٣ : ٤٠١

(٢) - عمر كعالة - اعلام النساء ج ١ ص ٧٥

ما لبثت ان اشتركت في القتال هي واسماء بنت يزيد فقاتلت وقتلت يومئذ
تسعة من علوج الروم بعمود خبائها^(١)

ومن المجاهدات الجليلات اللاتي كن يرافقن الجيوش الاسلامية لبث
الحماس في عزائم الرجال واحضار الطعام واسعاف الجرحى ودفن الشهداء
هي ام حبيب بنت العاص القرشييه • مجاهدة جلييلة ادركت عصر النبي (ص)
وشهدت معركة اليرموك وشجعت الرجال على الصمود والقتال وذلك لما شدة
طرف من الروم على عمرو بن العاص فانكشف هو واصحابه حتى دخل اول
المعسكر وهم في ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا ولوا منها الظهر فنزلت
النساء من التل بعمد الخيام يضربن وجوه الرجال، وام حبيب تقود النساء وهي
تنادي بأعلى صوتها قائلة :-

— قبح الله رجلا يفر عن حليلته وقبح الله رجلا يفر عن كريمته ••
فترادد المسلمون وزحف عمرو واصحابه حتى عادوا الى قريب
موقفهم^(٢) •

ومنهن من اشتهرن بأصالة التفكير وحسن التدبير والشجاعة ومصاحبة
ازواجهن في القتال •

— ام حكيم بنت الحارث المخزومية :-

مجاهدة شجاعة شهدت معركة احد مع زوجها عكرمة بن ابي جهل
قبل ان يسلم وتسلم •

ثم اسلمت يوم فتح مكة، واستأمنت لزوجها عكرمة فأمنه الرسول (ص)

(١) - عمر كحالة - اعلام النساء ج ١ ص ٥٣

تهذيب التهذيب - لابن حجر ، اسد الغابة لابن الاثير

(٢) - عمر كحالة - اعلام النساء - : ٢٠٠

تاريخ ابن عساكر

وخرجت في طلبه وقد هرب الى اليمن فادرسته في ساحة من سواحل تهامة
وقد ركب البحر واخذت تناديه وتخطبه وتقول :-

— يا بن عم جئتك من اوصل الناس وابر الناس وخير الناس ، لا تهلك
نفسك وقد استأمنت لك منه فامنك • فقال :-

— انت فعلت ذلك ؟ فقالت :

— نعم انا كلمته فامنك •

فرجع معها ، وقدم عكرمة فاتتهى الى باب رسول الله (ص) وزوجته
معه ، حيث سبقته واستأذنت على رسول الله (ص) فدخلت •

واخبر عمر رسول الله (ص) بقدم عكرمة فاسلم وشهدت أم حكيم
وقعة اليرموك مع زوجها عكرمة ابن ابي جهل ، وقد استشهد زوجها خير
شهادة في معركة اليرموك - لانه وقف وقفة البطولة والفداء في ساحة المعركة
بعد ان انكشف عنه اكثر الفرسان ولكنه وقف صامدا يقاتل الروم مع قليل
من اعوانه ، واستشهد في ساحة المعركة واستشهد معه ابنه عمرو وعمه
الحارث •••••

وابلت ام حكيم بلاء حسنا في معركة اليرموك فقاتلت فيها اشد القتال
في وقعة « مرج الصفر » حيث خرجت بعمود القسطنطين وقتلت سبعة من
تلوج الروم^(١) ومن اللواتي شهدن معركة اليرموك

ام موسى بن نصير :-

من ربات الرأي والعقل شهدت مع زوجها اليرموك ، فقتلت فيها علجا
واخذت سلبه وذلك انها كانت في جماعة من النساء اذ جال الرجال جولة -

(١) - عمر كعالة - اعلام النساء ١ : ٢٣٨
فتوح البلدان للبلاذري - تاريخ الطبري - سيرة ابن هشام

فأبصرت علجا يجز رجلا من المسلمين فأخذت القسطاط ودفنت منه فشدحت
رأسه وأقبلت تسلبه^(١)

والى ارض الشام ومرافقة للمجاهدين ونساء المسلمين خرجت كمن
خولة بنت الازور الكندي لتقوم بما تقوم به نساء المسلمين من رعاية
لشؤون القتلى في نظافة ملابسهم وطهي طعامهم وسقيهم الماء ومعالجة
الجرحى ودفن الشهداء... ومع هذا امتازت بالشجاعة والفروسية - وبعد
ان سعت بجرح واسر اخيها ضرار بن الازور - تركت عدة الضماد جانيه
وتركت لفائف الجراح لغيرها من النساء وامتظت صهوة جوادها واستت
سينها وحملت رمحها واندفعت نحو صفوف الروم وهي تشد :

أبعد اخي تلذ الغض عيني	فكيف ينام مقروح الجصور
سأبكي ما حيت على شقيق	اعز عليّ من عيني اليمر
فلو اني لحقت به قتيلا	لهان علي اذ هو غير هور
وانا معشر من مات منا	فليس يموت موت المستكين

وادهشت بشجاعتها وبسالتها قائد الجيش خالد بن الوليد وبقية قادة
الجيش الاسلامي وهم يحسبونها احد فرسان المسلمين وكانت اسبق
المشركين من بقية الفرسان فزعزعت جنودهم وحطمت مواكبهم واخرقت
صفوفهم مما اثار قلق المسلمين - وخرجت وسانها ملطخ بالدماء من الروم
وقد قتلت وجندات رجالا وفرسانا - ومن ثم مالت مرة اخرى واخرقت
القوم غير مكرثة بهم ولا خائفة فقلق عليها المسلمون وقال رافع بن عيرة :
— ليس هذا الفارس الا خالد بن الوليد - ثم اشرف عليهم خالد .

فقال رافع :

(٢) - عمر كعالة - اعلام النساء - ٥ : ١٢٣
الاصابة لابن حجر

- من الفارس الذي تقدم امامك فقد بذل نفسه ومهجته ؟
فقال خالد :
- والله انني اشد انكارا منكم له ولقد اعجبني ما ظهر منه ومن شمائله :
فقال رافع :
- ايها الامير انه منغرس في عسكر الروم يطعن يميننا وشمالا •
فقال خالد :
- معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله •
فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله
ويظهر شجاعته على الاعداء اكشف لنا عن لثامك •
فمال عنهم ولم يخاطبهم • فقالوا :-
- ايها الرجل الكريم اميرك يخاطبك وانت تعرض عنه ، اكشف عن
اسمك وحسبك لتزداد تعظيما • فلم ترد عليهم جوابا ، فلما بعدت عن
خالد سار اليه بنفسه وقال له :
- ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك من انت ؟
فلما الح خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقالت :
- انني ايها الامير لم اعرض عنك الا حياء منك لانك امير جليل وانا من
ذوات الخدور وبنات الستور !
فقال لها : من انت ؟
- فقالت : انا خولة بنت الازور ، واني كنت مع بنات العرب وقد اتاني
بان ضارا اسير فركبت وفعلت ما فعلت •
قال خالد :

— نحمل بأجمعنا ونرجو من الله ان نصل الى اخيك فنفكه •

وقال عامر بن الطفيل :

— كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة امامه وحمل
المسلمون ، وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا :-

— ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم طاقة •

هكذا كانت نساء المسلمين - يخرجن الى القتال مع ازواجهن
واخوانهن وآبائهن وهن يحملن الطعام والسويق والماء واللفائف والضماد -
وتنصب لهن الخيام جانبا في مؤخرة الجيش - ليكون دورهن اشعال نار
الحساس في همم الرجال - وتحضير الطعام - وسقي الماء والاعتناء بالجرحى
والمصابين والمرضى من المسلمين ونقل ودفن الشهداء - ولكن عندما يشتد
وطيس المعركة وتسمو النخوة في النفوس تأبى نفوسهن الا ان يشاركن في
حمل الرماح والسيوف وعماد الخيم - والاشتراك الفعلي في القتال •
وخلدت كتب التاريخ من سيرة المقاتلات البطلات في الحروب اكثر واعم
من تخليد ذكراهن كطبيبات أو آسيات أو معالجات للجرحى وساهرات على
المرضى من المسلمين ، وقد اهتم الاسلام بالوقاية الصحية والنظافة العامة
ونظافة الجسد والاعتسال المستمر وجاء في الحديث الشريف :-

« اذا سمعتم بالطاعون بارض واتم خارجها فلا تدخلوها ، واذا وقع
في ارض واتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه »^(١)

وكثيرا ما كانت الاوبئة تفتك بالجيوش وتفني المقاتلين اكثر ما يفتك
بها الاعداء •

(١) - ناجي معروف - اصالة الحضارة العربية ٣٤٣

وقد اولى الاسلام الوقاية الصحية والعناية بصحة المجاهدين وبالجيوش
الاسلامية - ونظافتها واختيار آبار المياه الصالحة للشرب وطبخ الطعام ..
ومع هذا وبعد ان كثر القتل من جيوش الروم وطال امد الحصار لبعض
القلاع والمدن - انتشرت بعض الاوبئة ومنها الطاعون - الذي اودى بحياة
نخبة من قادة المسلمين - الصحابة - وكان ما سمي « بطاعون عمواس »
نكبة حلت في ارض الشام وفلسطين - فمات به قائد الجيوش الاسلامية في
بلاد الشام - ابو عبيدة عامر ابن الجراح (رض) ، واستخلف عياض بن غنم
على حصص وما والاها من قنشرين ، ومعاذ بن جبل على الاردن ، ولم يلبث
معاذ بن جبل الا اياما حتى توفي ، ومات يزيد بن ابي سفيان ، وشرحبيل بن
حسنه فأقر الخليفة عمر بن الخطاب معاوية على عمل يزيد - ومات في تلك
السنة في طاعون عمواس خمسة وعشرون الفا سوى من لم يحص منهم^(١) .

ومن اساليب الوقاية ما امر به الخليفة عمر بن الخطاب ببناء القلاع
والثغور على حدود الصحراء لتكون بمنجى عن تلوث بيئة المناطق الزراعية
والانهار والمستنقعات ...

حيث لاحظ بأن المجاهدين من ابناء الحجاز والصحراء قد ذبل عودهم
واصفرت سحتهم عندما مكثوا لفترة طويلة في المناطق الزراعية الاهلة
بالسكان والوفيرة بالمياه والمستنقعات

(١) - اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي - ج ٢ ص ١٤٠

حروب العراق

خاضت الجيوش الاسلامية سلسلة من المعارك في العراق بدأ بها
المثنى بن حارث الشيباني - وتبعه خالد بن الوليد - ومن ثم غادر خالد
العراق لنجدة جيوش المسلمين في بلاد الشام وتركت القيادة مرة اخرى الى
المثنى - واستمرت المناوشات والمعارك المحدودة غير الحاسمة هنا وهناك -
وجميع هذه المعارك افرزت الجرحى والشهداء •

ففي معركة البويب - كثر الشهداء والجرحى بشكل يزيد على المعارك
السابقة - وكان دور النساء في المعركة كبيرا في اسعاف الجرحى ودفن
الشهداء - وبعد ان اشتد وطيس المعركة وارثت مسعود بن الحارثه اخو
المثنى يومئذ وجماعة من قادة المسلمين - وبأصابة مسعود بن حارثه تضعف
من معه فقال :-

— يا معشر بكر - ارفعوا رايتكم رفعكم الله ، ولا يهولنكم مصرعي^(١)

(١) - ايام العرب ص ٢٣٨

هكذا وبهذه الروح العالية والمعنويات السامية والتضحية الفذة صمد المسلمون امام جيوش الفرس التي تفوقهم عدة وعددا .

وفي اعقاب معركة البويب مات اناس من الجرحى من اعلام المسلمين منهم خالد بن هلال ومسيود بن حارثة - ولم تجد نفعا الاسعافات - والعلاجات التي اعطيت لهم - اما لان الاسعافات لم تكن جيدة أو ان الاسباب كانت بليغة .

ولا نعرف الكثير عن ماهية الاسعافات والعلاج التي قدمت للجرحى - واننا لنظن بأنها كانت بسيطة ولا تتعدى - التنظيف والضمادات والاعشاب التي سبق وذكرناها - والكي بالنار والتي توارثها عن عراف وكهان واطباء القبائل .

وفي معركة الجسر وبعد استشهاد ابي عبيد الثقفي وحمل اللواء المثنى بن حارثة الشيباني - وعبر الناس والمثنى يقاتل دونهم . ويحول هو ورجاله بين الفرس وبينهم .

واصاب المثنى - وهو في موقعه ذاك ضربة رمح جرحته - واثبت فيه حلقا من درعه

وعولج المثنى من ذلك الجرح - وعاش بعده فترة طويلة - « في بعض المصادر » وفي مصادر اخرى قد استمر مرضه بعد تلك الطعنة ولم تتحسن واستشهد بعد ذلك بأسابيع^(١)

في تلك الفترة التي كان فيها الناس تستعد لملاقاة الفرس قبل التجحفل في ارض القادسية - ووصول سعد بن ابي وقاص الى العراق - مات المثنى متأثرا من جراحاته يوم الجسر^(٢) .

(١) - محمود شلبي - حياة عمر ص ١٠١

(٢) - ايام العرب ص ٢٣٧

اين تلك الاصابة أو الجراحات - حيث اختلفت باختلاف المصادر - كما اختلف ان كان استشهاده بسبب تلك الاصابة - أو انه توفي لمرض اصابه ولا علاقة له بالجراح - فالارجح ان توفي متأثرا بالجرح الذي يكون قد تلوث مؤديا الى مضاعفات تسمية في جسده ولم تغن العلاجات والاسعافات التي قدمت له .

وعن شعيب عن سيف عن مجالد وعمر باسنادهما وسعيد بن المرزبان - قالوا بعث عمر الاطبة^(١) . الى العراق من ضمن الامدادات التي ارسلها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى الجيوش الاسلامية في العراق جاء ذلك في تاريخ الطبري وهو يتحدث عن ارسال الامدادات والرجال للعرب ضد الفرس في العراق

ولكن لم تشر المصادر الرئيسية عن هذه الامدادات وانما ذكرت في المصادر والكتب الثانوية الى هؤلاء الاطبة اعتمادا على تاريخ الطبري نفسه - وكذا لم يشر هذا المصدر - ولا المصادر التي اخذت عنه - الى عدد هؤلاء الاطبة - وقد جمعهم جمع قلة - ومن هم ؟ وماذا فعلوا - وكيف كانوا يعالجون جراح السيوف واصابات الرماح واخراج السهام

هذا ما لم يشر اليه اي مصدر من المصادر التي وقعت تحت نظري لتكون كدليل على تواجد الاطباء في مرافقة الجيوش أو معالجة الناس المدنيين من الاشارات العابرة اليهم في بعض المصادر - وهي تذكر - فلان - الطبيب ، أو ابن الطبيب في انتساب الاشخاص - والرجال منهم خاصة - كما جاءت الاشارة الى عبدة بن الطبيب التميمي - وهو عبدة بن يزيد « الطبيب » بن عمرو بن علي من تميم من المخضرمين - شهد الفتوح وقاتل الفرس مع

(١) - تاريخ الطبري ٣ : ٤٨٩

المثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن بالمدائن وغيرها وهو صاحب المريسة المشهورة التي يقول فيها :-

وما كان قيس هلكه ملك واحد ولكنه بنيان قوم تهتما
وتوفي نحو سنة ٢٥ هجرية (١)

اذن كان عبدة بن الطبيب التميمي مع المثنى وربما كان طبيا استمد المعرفة عن والده الذي لقب « بالطبيب » وقد يكون هو الذي اشرف على علاج وتبريض جراح المثنى بعد وقعة الجسر وكان قد استقر في سيرا في انتظار قدوم سعد .

ومرض المثنى مرضا خطيرا ، ويقول بعض الرواة ان الجراحة التي جرحها يوم الجسر انتفضت عليه ، وان رفض بعض الاطباء ذلك التشخيص والتأويل وهم يعتمدون بسرور عام على معركة الجسر (٢)

والتعليل الاول محتمل كما يجوز التفسير الثاني فان الجراح قد اندملت ظاهريا ولكن قد حدثت مضاعفات وتقيحات داخل الجرح وامتدت بجراثيمها أو بسمومها الى بقية اجهزة واعضاء الجسم .

وتسلم سعد بن ابي وقاص القيادة العامة لجيوش المسلمين في العراق وانضمت اليه قوات المثنى وكان فيها « المعنى » اخو المثنى وزوجة الشهيد الراحل - السيدة سلمى - فخطبها سعد لنفسه تكريما لها وتكريما لزوجها الراحل الذي جاهد بنفسه من اجل عقيدة الاسلام وكرامة العرب وتحرير الارض .

(١) - اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي ص ٢٢٣

(٢) - فتوح البلدان - البلاذري ٦٢٣

احمد عادل كمال - القادسية - دار النفائس ص ٢٨

وكانت من عادة العرب اثناء القتال - وعندما يقتل القائد ويترك زوجته يخطبها القائد الجديد لنفسه تكريماً لها وحفاظاً على مركزها الاجتماعي والسياسي •

واختار القائد العام للجيش الاسلامي محلاً مناسباً للخدمات الطبية حيث انزل سعد نساء المسلمين بالعذيب ووضع معها خيلاً ترعاها وتحميها وانضم اليهم حماة كل الحريم وامر عليهم غالب بن عبدالله الليثي وبالإمكان اعتبار « غالب بن عبدالله الليثي » أول امر طبابة جيش أو امر طبابة فيلق بالنسبة لمسمياتنا في الوقت الحاضر • (١)

وربما انزل الاطبة في هذا الموضع - العذيب - حيث اشرفت النساء بمعاونة الاطبة على اسعاف الجرحى وتضميد الجرحى •

لقد كانت معنويات المسلمين تزداد علوا ورسوخا كلما احتاج الامر الى ذلك وهنا نستطيع ان نقول ان النصر في هذه المعركة كانت العقيدة ركيزته والايمان عدته والتضحية اداته •

عبدالله بن ام مكتوم القرشي • صحابي رسول الله (ص) كان كفيفاً ضريراً وهو الذي انزل الله فيه قوله تعالى :

« عبس وتولى ان جاءه الاعمى » (٢)

وشريعة الله لا تفرض الجهاد على اعمى •

« ليس على الاعمى حرج » (٣)

عبدالله الذي ملأ قلبه الايمان - لم يمنعه فقد بصره ولم يمنعه العذر الرباني - ولا العذر الطبي من ان يتخلف عن الجهاد • عبدالله شهد القادسية

(١) - احمد عادل كمال - القادسية ص ٤٩

(٢) - سورة عيسى الاية ٢

(٣) - سورة الفتح الاية ١٧

- وهو كفيف - وهو لا يرى ولا يبصر بعينه - ولكنه يبصر بعقله الذي تفتح للايمان •

قال احد المقاتلين :

« رأيت يوم القادسية عبدالله بن ام مكتوم » الاعمى وعليه درع يجر اطرافها وييده راية سوداء •

ف قيل له اليس قد انزل الله عذرك ؟ (١)

قال :

— بلى ولكنني اكثر المسلمين بنفسى (٢)

وحادثة اخرى - وشهادة اخرى على عظمة رجال القادسية وتضحيتهم وعلو همتهم - قيل :-

مر المسلمون على رجل يوم القادسية وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يفحص الارض ويقول :-

— « مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن اولئك رفيقا » •

فقال له رجل :-

— « من انت يا عبدالله ؟ »

قال :

— رجل من الانصار !! (٢)

(وهو لا يريد ان يفصح بأسمه ترفعا عن الفخر أو الرياء)

(١) - احمد عادل كمال - القادسية ص ١٨٨

(٢) - احمد عادل كمال - القادسية ص ١٨٨

هكذا كان ايمان القوم وعقيدتهم وتضحيتهم ... رجل اعى له
عذر مساوي مشروع بان لا يخرج للقتال - ولكنه وهو يرفع الراية حتى
يكثر المؤمنين بنفسه ومعنوياته العالية .

ورجل تقطع اطرافه الاربعة وهو يلبي نداء ربه ولا يفصح عن اسمه
وانما ينتسب الى عموم الانصار الذين ناصروا النبي وآزروه .

في يوم عماس قتل من المسلمين الفان من رثيث وشهيد - ومن المشركين
عشرة الاف من رثيث وميت .

وقال سعد وهو يصدر توجيهاته :-

« من شاء غسل الشهداء ومن شاء فليدفنهم بدمائهم »

واقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم
واقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم الى المقابر . ويلغون الرثيث الى
النساء وحاجب بن زيد على الشهداء

وكان الصبيان والنساء يحفرون القبور في اليومين التاليين - يوم
اغواث ويوم ارماث ...

وفي يوم اغواث ، وهو اليوم الثاني من المعركة فدفن الفان وخمسائة
من اهل انقادسية عدا الايام الاخرى كان معسكر النساء بالعذيب
« خلف الجبهة بنحو خمسة كيلو مترات^(١) وكانت الحاجة ماسة
الى كل رجل ، فقامت نساء المسلمين بتمريض الجرحى وحفر قبور الشهداء
عجيب لهذه المرأة المسلمة ، تحفر قبراً لا تدري من يدفن فيه بعد قليل زوج
أو أخ أو ابن أو قريب ، يكفي انه شهيد في حين ترك المجوس قتلاهم في
ارض المعركة .

(١) - د . احمد كمال - العربي ص ٢٤٩ - ٦ أغسطس ١٩٧٩

فدفن القان وخمسائة من اهل القادسية عدا الايام الاخرى
فمر حاجب وبعض اهل الشهادة وولاة الشهداء في اصل نخلة بين القادسية
والعذيب وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها • فكان الرثيث اذا حملوه فاتتهى بهم
اليها واحدهم بعقل - أي ان اصابته وان كانت بليغة - فإنه يدرك مايحيط به -
سألهم ان يققوا به تحتها يستروح الى ظلها •

فكانت هذه النخلة وظلها اشبه بمحطة - موقع اسعاف الوحدة أو محطة
جمع الخسائر - بالمفهوم الحديث • ومن هؤلاء الجرحى الذين خلدوا هذه
الشجرة يدعى بجيرا واخذ يقول وهو مستظل بظلها :-

الا يا اسلمي يا نخلة بين قادس وبين العذيب لا يجاورك النخل^(١)
وجاءوا برجل اخر من بني ظبة أو بني ثور يدعى - غيلان - فانشد :-
الا يا اسلمي يا نخلة بين جرعة يجاورك الجمان دونك والرغل
وانشد جريح من بني تيم الله يقال له ربعي حيث قال :-

الا نخلة الجرحاء يا جرعة العدى سقتك الغواصي والغيوث الهواطل
وقال جريح اخر يدعى الاعور بن قطبة :-

ايا نخلة الركبان لا زلت فانظري ولا زال في اكناف جرعائك النخل
وقال جريح رابع يقال له عوف بن مالك التميمي :-

ايا نخلة دون العذيب بتلعه سقيت الغواصي المدجنات من النخل

هذه لمحات عابرة من معنويات واقوال الجرحى من المسلمين وهم
يمرون في هذه المحطة للراحة - محطة جمع خسائر - أو موقع تضييد متقدم
لراحة الجرحى واستقائهم واطعامهم وربما تنظيف الجروح - وهم في
طريقهم الى منطقة العذيب حيث يستقبلهم الاطبة والنساء ليكملوا مداوي

(١) - الطبري - تاريخ الطبري ٣ : ٥٥٠ ، ٣ : ٥٥١

الجمان والرغل - نبتتان

جراحهم وأسعافهم - ولم يتركوهم في ساحة المعركة ليلاقوا مصيرهم البأس
كما كان يفعل الفرس في تلك المعركة بالذات •

ولم يتح للمسلمين منذ صباح امس - يوم عماس - حتى بعد ظهر
اليوم - يوم القادسية - ان يجمعوا شهداءهم لقد رفعوا من ساحة المعركة
في الايام السابقة الفين وخسمائة شهيد • اما في الايام عماس وليلة الهرير
ويوم القادسية فقد استشهد منهم ستة الاف - استقبلتهم ملائكة الرحمن
بالبشرى والسلام - حيث دفنهم اخوانهم بين خندق سابور ووادي مشرق •
فقد خرج صبيان المسلمين ونساؤهم ومعهم الاداوي « اوعية الماء »
فانحدروا من العذيب مع العشاء يستقون من به رمق من المسلمين ويقضون
على من به رمق من المشركين^(١)

ولهذا يسكن اعتبار العذيب - محطة خليفة للاخلاء اقرب ما تكون الى
منظومة - وحدة ميدان طبية - في المفهوم الحديث •

وفي اليوم الثالث « يوم اغواث »

اصبح الناس • والجيشان في مواقتهما وبين الصفيين من القتلى والجرحى
من لم يتمكن الطرفان من اخلائهم - الفان من المسلمين وعشرة الاف من
الفرس - وكانت نساء المسلمين يعنين بالجرحى ويمرضنهم ويبدلن من
صنوف العناية ما يرفه عنهم وينسيهم الام جراحهم - ويقمن باعمال التمريض
والتطبيب فقد اشتركن في هذه المعركة الحاسمة باعداد كبيرة منهن فكان
لهن فضل كبير سجله الشعراء وخلدته كتب التاريخ^(٢)

وقد قالت شاهدة لهذه المعركة امرأة فاضلة من نساء المسلمين -
المجاهدات وهي « أم كثير » زوجة همام بن الحارث « شهدنا القادسية مع

(١) - احمد عادل كمال - القادسية ص ١٩٦

(٢) - محمود شلبي - حياة عمر ص ١٣١ ، ١٢٧

ازواجنا فلما اتانا ان قد فرغ من الناس نعي توقف النزال شددنا علينا ثيابنا واخذنا الهراوي ثم آتينا القتلى فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، وما كان من المشركين ، اجهزنا عليه وتبعنا الصبيان نوليهم ونصرفهم به^(١) .

فاذا اخذنا بعض ماورد في هذه الحوادث من نصوص واشارات وقارناها بتطبيقاتنا الحديثة لامكن اعتبار الصبيان والنساء وبعض الرجال هم حملة النقالات الذين يفرزون الشهداء - والجرحى ومن به رمق - الرثيث - وهم ينجزون اعمالهم بعد ان توقف الحرب اوزارها وينسحب المقاتلون من ساحة المعركة فينتشر الصبيان والنساء وبعض الرجال لنقل الشهداء الى حيث يوارى عليهم الثرى - ويحملون الرثيث والجرحى الى الخيم المعدة لاستقبالهم حيث الاطبة والمرضات من النساء لاسقائهم ومداولتهم والاعتناء بهم .

وفيء النخلة هو محطة جبع خسائر أو موقع اسعاف وحده أو محطة تضسيد متقدمة - وبالمقابل يسكن اعتبار منطقة العذيب مقر وحدة ميدان طبية أو المنطقة الادارية للجيش وفيها مقر الخدمات الطبية للجيش .

وعلى هذا السياق والمنطق يسكننا اعتبار الثغور التي امر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) باقامتها بانها محطات القيادة الخلفية وهي مراكز عسكرية ثابتة من الجيش النظامي في مواقع سوقية مهمة تسيطر على خطوط المواصلات والتي تربط مركز الخلافة بالبلاد المفتوحة وكانت في اول اقامتها عبارة عن ثكنات عسكرية لاقامة الجند ثم تحولت مع الزمن الى مدن مهمة .

وبكل تأكيد وان لم تذكر كتب التاريخ الشيء الكثير حول المراكز الطبية فيها - فلا بد وان تواجدت مراكز طبية بشكل من الاشكال لمعالجة المرضى الجند والسهر على الجرحى ممن تزامن معهم اثار الجراح وكذا معالجة

(١) - محمود شلبي - حياة عمر ص ١١٣

عوائلهم واطفالهم - والاشراف على الجرحى الذين ينقلون الى
المحطات الخلفية .

نشأت هذه المدن - بعد ان بعدت ساحات المعارك ومناطق تجمع النساء
والاطفال - في المناطق الادارية والطبية - وان دور خطوط المواصلات
والمعسكرات التي تؤمن للجيش قاعدة خلفية للراحة واعادة التنظيم ومعالجة
الجرحى والمرضى وهكذا برزت فكرة انشاء الثكن - ومفردها - ثكنة -
بضم الثاء وسكون الكاف وهي المراكز التي بدأ فيها الخلفاء الراشدون
والامويون ومن ثم تبعهم العباسيون .

وقد بدأت كمعسكرات متعددة لاقامة جيوشهم الزاخرة ولتأمين راحتهم
- ولحماية المناطق التي تم الاستيلاء عليها في صدر الاسلام .

البصرة

بناها القائد عتبة بن غزوان سنة ١٤هـ في عهد الخليفة عمر بن
الخطاب (رض) .

الكوفة

مصرها القائد سعد بن ابي وقاص سنة ١٧هـ في عهد الخليفة عمر بن
الخطاب (رض) .

القسطاط

اسسها عمرو بن العاص سنة ٢٢هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

القيروان

بناها عقبة بن نافع الفهري سنة ٤٥هـ في عهد الخليفة الاموي معاوية
بن ابي سفيان .

الموصل

اخطها هرثمة بن عرفة الازدي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

(رض) سنة ٢٠هـ في الجانب الغربي من دجلة ما يقابل مدينة نينوى القديمة وتوسعت في العهد الاموي^(١) . وهكذا جاءت جميع هذه الثكن والتي اصبحت فيما بعد مدنا مهمة بناها وانشأها القادة العسكريون لتكون مقرا خلفيا لراحة جندهم واعادة تنظيم جيوشهم ومستقرا ومنتجعا لمرضاهم وجرحى حروبهم

ينالون فيها العلاج والاستشفاء ودور النقاهاة الى ان يلوا من جراحاتهم ليعودوا الى الجهاد مرة اخرى .

واحد العوامل المهمة التي دفعت بالخليفة عمر بن الخطاب (رض) لاقامة هذه المعسكرات - اضافة الى الاسباب الاخرى انه تخوف ان تتفشى الامراض بين الجنود وتسري العدوى اليهم - حيث رأى سنة ١٧هـ ان العرب قد رقت بطونها - وجفت اعضاؤها وتغيرت ألوانها - فسأل عن السبب ف قيل له ، انهم قد تأثروا بوخامة الهواء ، فكتب الى سعد .

— ان ابعث سليمان وحذيفة رائدين فليرتادوا منزلا برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر .^(٢)

أليس هذا التفاتا رائعا الى احدث اسلوب من اساليب الوقاية الصحية والاحتراس من تلوث البيئة وتأثيرها على صحة البدوي العربي الذي اعتاد شمس الصحراء وسعة افقها ورحابة ارضها ونقاء هوائها بعيدا عن اوبئة المدينة وتلوث هوائها - وبخاصة ان الجيوش عندما تعمم الاراضي الجديدة وما فيها تغير كلي عما اعتادوه عن هواء الصحراء ، وما يتواجد فيها من حيوانات ناقلة للأمراض وحشرات - وامراض معدية قد تفتك بالجيوش اكثر ما تفتك بها اسلحة الاعداء .

(١) - بلدية الموصل ص ٤ ، وكتاب البلدان محمد بن ابي بكر المسمر قندي
(٢) - الشهيد المرحوم رائد ركن نعمان ثابت - الجندية في الدولة العباسية
ص ١٧ - الكامل - لابن الاثير ج ٢ ص ٢٠٤

الخدمات الطبية في جيوش الدولتين الاموية والعباسية

في اواخر خلافة الراشدين وحيث تضاعفت الجيوش الاسلامية وامتدت شرقا وغربا وشمالا وهي تخوض المعارك المتلاحقة لتحرير الارض العربية من ادناس المستعمرين ونشر العقيدة الاسلامية واشعاع نورها السماوي خارج تخوم الجزيرة العربية بعد ان عم نورها اواسط الجزيرة العربية •

في هذه الفترة وفي الدولة الاموية والدولة العباسية دخل تنظيم الجيوش على اسس ثابتة ووزعت الواجبات والمسؤوليات ونظم على الاسس الاتية :

امير الجيش : وهو القائد العام للجيش ويأتي بعد الخليفة •

خليفة الامير : وهو الذي يتولى المسؤوليات والاناابة عن الامير عند غيابه أو جرحه أو استشهاده وهو منصب نائب القائد العام

امراء التعبئة : وهو من يتولى قطعة تجمع كردوسين أو اكثر •

امراء الكراديس : والكردوس يحتوي على عدة سرايا .
العرفاء : وهم من تكون تحت امرتهم عدة من الحظائر (الاعشار) .
امراء الاعشار : وهم امراء الحظائر .
النقباء : وهم رؤوساء للجماعات وقد تكون للخدمات الادارية
وغير الادارية .
الرواد : الرائد - وهو الذي يرتاد المواضع - الموافقة لنزول
الجيش .

الوازع :

السعاة :

الاطباء : لمداواة الجرحى - حيث ذكرهم الطبري كما اسلفنا ص ١٢٤

بالاطبة - وجمعهم جمع قلة لقلة عددهم انذاك .

ومع هذا فهي اشارة واضحة ومؤكدة على تواجد هؤلاء الاطبة
لمرافقة الجيوش الاسلامية وان لم يذكر الاساليب التي استخدموها في
العلاج واسعاف الجرحى ولكن وبكل تأكيد لا تخرج عما تعلموه وتوارثوه
عن اطباء وعراف القبائل .

الصيدلة : لتركيب الادوية واعدادها وحفظها .

البيطرة : لمداواة الخيل التي يركبها الفرسان . والبغال التي تحمل
المشافي السيارة والتي تنقل محامل العيال والنساء والجرحى^(١) .

والجمال التي هي الاساس في حمل اثقالهم لما لها من قوة وصبر على
الجوع والعطش وكانت الناقة تباع بحفنة من الذهب ايام القادسية . وان

(١) - نعمان ثابت - الجندية في الدولة العباسية ص ١٢٣

النسوة في صدر الاسلام ونسوة بني امية كن يتدربن على اعمال الحرب -
ومنهن اللائي يفسدن الجرحى ويحصلن لهم الادوية ويسرضن المرضى ويعتنين
بصحتهم كما تفعل الممرضات الان .

ليس هذا فحسب فانهن ينقلن الماء للمحاربين ويعددن لهم الطعام
ويشجعن المقاتلين ويضربن وجوه الخيل والرجال بالعدا اذا انسحبوا ومن
ثم واذا مادعت الحاجة فانهن يباشرن القتال .^(١)

ومن شهيرات النساء في الطب والجراحة وطب العيون في اواخر العصر
الراشدي وأوائل العصر الاموي الطيبة زينب طيبة بني اود .

وقد كانت عارفة بالاعمال الطبية خيرة بالعلاج وان اشتهرت بمداواة
آلام العين فأنها كانت على معرفة واسعة واطلاع بمعالجة الجراحات ومشهورة
بين العرب .

وقد نقل صاحب الاغانى عن كناسة عن ابيه عن جده انه قال :-

— أتيت امرأة بن بني اود لتكحيلي من رمد كان اصابني فكحلتني ثم
قالت :

— اضطجع قليلا حتى يدور الدواء في عينيك فاضطجعت قليلا ثم تمثلت
قول الشاعر :-

امخترمي ريب المنون ولم ازر طيب بني آود على الناءى زينبا
فضحكت ثم قالت :-

— اتدري فيسن قيل هذا الشعر ؟
قلت : لا !

قالت : في - وانا زينب طيبة بني آود

(١) - نعمان بن ثابت - الجندية في الدولة العباسية ص ٢٥٢ سيرة ابي بكر -
ص ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٥

ثم قالت : اتدري من قاله ؟

قلت : لا

قالت : قاله عمك ابو سناك الاسدي^(١) .

وان الوليد بن عبد الملك هو الذي انشأ البيمارستان للمرضى ودار الضيافة فاذا ما علمنا بأنه في عهد الخليفة الوليد هذا كثرت الفتوحات الاسلامية وانطلق القادة شرقا وغربا لفتح الامصار وسارت الجيوش الاسلامية حتى وصلت تخوم الصين ، وعبرت مضيق جبل طارق لتمتد في سهول الاندلس ووديانها - وهكذا الزمت كثرة الفتوح هذه الى الاهتمام الكبير بالعناية بالجرحى مما جعلت الخليفة يهتم كل الاهتمام ببناء المستشفى الرئيس في دمشق وربما المستشفيات الاخرى في بقية الامصار^(٢)

وجاء في بعض المصادر بان الجاحظ قد روى في كتابه « البيان والتبيين » وان لم نستطع الاهتداء الى هذه الاشارة - بأن الحجاج كان اول من وضع المحاميل لنقل الجرحى^(٣) .

ويروي ان الخليفة الاموي عمر بن عبدالعزيز كتب الى امصار الشام :-
« ان ارفعوا الي ، كل اعشى في الديوان ، أو مقعد ، أو من به فالج أو من به زمانه تحول بينه وبين القيام الى الصلاة فرفعوا اليه ، فأجر لكل اعشى بقائد وأمر لكل اثنين من الزماني بخادم^(٤) » .

هذا التفات رائع ورعاية انسانية مثالية الى العجزة والمقعدين والمعوقين

(١) - عمر كحالة - اعلام النساء ج٢ ص ٥٧

ابن ابي اصيبعة - عيون الانباء ج١ ص ١٦٦ ، ١٣٣

(٢) - ناجي معروف - اصالة الحضارة العربية ص ١١٦

- الجاحظ - البيان والتبيين ج٢ ص ٢٣ ؟

(٤) - ميرة عمر بن عبدالعزيز ص ١٥٤

ناجي معروف - اصالة الحضارة العربية ص ٣٤٤

قد اخذ بها الخليفة المصلح عمر بن عبدالعزيز - وحتم ان الكثير من هؤلاء المقعدين هم من ضحايا الحرب التي خاضتها الجيوش العربية الاسلامية في صدر الدولة الاموية جعلت ان يأمر الخليفة لكل اعسى بقائد ولكل عاجزين بخادم يسهر على خدمتها وقضاء حاجاتها ويساعدهما في انجاز متطلباتهم اليومية اهتماما منه الى الكفالة الكاملة لمعيشتهم وسكناهم .

وباتساع الفتوح بطلت عادة خروج النساء مع الجيوش (وقد كن عند خروج الجيش يقسن بعناية الجرحى) ومن ثم اصبحت معالجة الجرحى من واجبات جماعات خاصة متخصصة لهذا الغرض^(١)

ولا نعرف الشيء الكثير عن هؤلاء الجماعة الخاصة المتخصصة - من هم وكيف كانوا يعملون وكيف يوقفون النزف أو يضمّدون الجراح - أو يعقّسونها أو ينعّسون عنها الجراثيم والتلوث - وبكل تأكيد انهم اخذوا بالمبادئ الاولى التي كانت معروفة بين القبائل وعرفهم وكهنتهم - ومن ثم اخذوا بوصايا التطهير والنظافة وغسل الجروح وكيها والتي امر بها الاسلام .

ومن ثم اضافوا اليها من معارفهم وتجاربهم الخاصة وتجارب الآخرين ونضرب مثالا : على سعة اطلاع الاطباء وحيلتهم العلمية في معالجة الجروح والنزيف بما يروى - عن الطبيب - الحكم بن ابي الحكم الدمشقي الذي عاش في العصر الاموي - انه سار وابنه في شوارع دمشق فمرا بحجام قد اجتمع عليه الناس وامامه رجل ينزف الدم من ذراعه نزفا شديدا وقد استنفد الحجام وغيره كل حيلة في ايقاف الدم فلم يتوقف - لقد استعمل الرفائد ونسيج العنكبوت - والوبر فلم ينقطع الدم

واستعمل الطبيب اخيرا نصف حبة فستق ولف فوقها الرفائد وغمسها في الماء البارد الى اليوم الثاني وانقطع النزيف وسقطت نصف الفستقة بعد

(١) - الجيش العربي في صدر الدولة العباسية ص ١٣

ايام تاركة وراءها النسيج الذي بناه الجسم وفي هذه القصة تلاحظ مهارة
الاطباء في ذلك العصر والحيلة الجيدة في وقف النزيف واستعمال اساليب
لا تزال يلجأ اليها احيانا^(١) .

وبعد افول نجم الدولة الاموية - وتسلم الدولة العباسية مقاليد
الحكم وغدت بغداد بعد دمشق عاصمة للعالم العربي والاسلامي - ومركزا
للاشعاع الحضاري والعلمي - وكثر عدد الاطباء وتنوعت اختصاصاتهم -
وزادت مهاراتهم - واهتمام الخلفاء بالعلوم ونقلها وترجمتها والاضافة اليها
ابتداءً بأبي جعفر المنصور - وهاون الرشيد والمأمون - والمعتصم -
والمقتدر ...

وانشئت المستشفيات العامة والخاصة والمتخصصة - وشملت تلك
النهضة العلمية الطبية العسكرية والاهتمام بصحة المقاتلين والاعتناء
بالجرحى والمصابين .

فكان العباسيون اذا جهزوا جيشا ارفقوا معه الاطباء لمداواة الجرحى
والمرضى وارفقوا معه الصيادلة لتركيب الادوية واعدادها .

وكان عدد الاطباء عظيما جدا - حتى ان في بغداد وحدها كان من
الاطباء في خلافة المقتدر في أول القرن الرابع للهجرة ٨٦٠ طبيباً . ومن
هؤلاء الاطباء من هو مختص بالجند يقيم معه اذا قام ويرافقهم في جميع
اسفاره وخدماته . وكان للجيش العباسي مستشفيات سيارة يحملونها على
الجمال والبغال وترافقه في تنقلاته وحروبه اينما حل أو ارتحل .

فقد كان في معسكر السلطان محمود السلجوقي مستشفى يحمله

(١) - راجي عباس التكريتي ، طرائف الاطباء

١٩٧٨ ص ٦٣

(٤٠) جبالا يصحب العسكر حيثما توجهوا^(١) .

كما اشارت كتب التاريخ التي سردت حوادث مفصلة عن الملحمة البطولية في معركة عسورية بأنه كانت هناك محامل خاصة تنقلها البغال محصنة لحمل الجرحى^(٢)

وكان الجيش العباسي بوجه عام يتألف من الفرسان والمشاة أو الرجالة والمجنبيين والنشايين والنفاطين والزرايين والدبايين والعيارين - كما كان من تنظيمات الجيش شموله على المهندسين والاطباء والبيطرة .. كما كان هناك اهتمام كبير بصلاحية الجند للخدمة العسكرية وتقرر بعد اختيار دقيق يشرف عليه جماعة من كبار القادة^(٣)

وقد جاءت ادلة وبراهين على خروج الاطباء مع الجيوش الاسلامية على هيئة قصص وطرائف متناثرة في بطون كتب التاريخ ولم ينفردهم بالحديث عنها مؤلف معين أو كتاب خاص .

ومن هذه الادلة التي تناقلتها كتب التاريخ على خروج الاطباء مع الجيوش الاسلامية وتضلعتهم بالمعرفة والعلوم الطبية ومهارتهم حيث كان الاطباء في العصور السابقة ملينين باكثر فروع الطب والجراحة - يضاف الى ذلك فانه فيلسوف " وفقيه " واديب " ...

فقد حكى نظامي العروضي السمرقندي - وكان ينتمي الى الغور أنه وقعت سنة ٥٤٧هـ موقعة بين جيوش « سلطان العالم » سنجر السلجوقي

(١) - ابن ابي اصيبعة - طبقات الاطباء ج١ ص ٢٢٢

ابن خلكان - وفيات الاعيان ج١ ص ٢٧٤

الجندي في الدولة العباسية ص ١٦٤

(٢) - الجندي في الدولة العباسية ص ٢٧٤

(٣) - حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام ج٤ ص ٣٦٠

تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص ١٣ ، ١٤

وجيوش علاء الدين الحسين الغوري وان الدائرة قد دارت على الغور
الذين تعرضوا لحقد السلاجقة وحنقهم واضطهادهم .

وقد اختفى نظامي العروضي - الطيب - عن انظار السلاجقة في
مدينة هراة ؛ حيث دعاه احد الاهالي لتناول العشاء في داره - ثم عبر له عن
حزنه لمرض ابنته الوحيدة والتي كانت مصدر بهجته وسروره - وقال انها
في ايام الحيض تنزف عشرة أو خمسة منا من الدم حتى تخور قواها وقد
استشار كثيرا من الاطباء الذين تولوا علاجها ولكن دون جدوى - وقال ان
الاطباء اذا اوقفوا الدم انتفخ بطنها وزاد المها ، واذا تركوه نزف وظهر عليها
الهزال وتعرضت للهلاك .

وطلب نظامي عروضي الى الرجل ان يخبره حين يعود الحيض الى
ابنته . ومن ثم تولى علاجها وتم شفاؤها كاملاً^(١)
واورد هذه القصة لابرهن على شيئين :-

أولهما على تواجد الاطباء العسكريين في الجيوش الاسلامية المتحاربة
وثانيهما على مهارة الاطباء العسكريين ومقدرتهم في ذلك الزمان وحتى في
الامراض النسائية والتي قد تعتبر خارج نطاق دائرة معارفهم .

وكان الخلفاء من بني العباس عندما يعدون جيوشهم أو يخرجون
لقيادتها يخرج معهم الاطباء لعلاجهم وعلاج قادة الاجناد ومعالجة
الجرحي ...

ومن هذه القصة التي تناقلتها كتب التاريخ والسير انه في احدى
غزوات هارون الرشيد الى بلاد الروم - وفي بلاد الاناضول - طلب طبيب
الخليفة المرافق للجيش ان يزور قبر جالينوس والذي اصبح قريبا من مسار
الجيش فاذن له الخليفة وارسل معه خمسين فارسا لحمايته .

(١) - الدكتور حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام ج٤ ص ٥١٧ ، ٥١٨

وكذا عندما كان الخليفة هارون الرشيد في عسكره وهو في بلاد فارس ومرض المرض الذي مات فيه - وقد ثقل عليه المرض فاجتمع حوله الاطباء ولم يجدوا لانقاذه سبيلاً واطهروا بأسهم منه وكان فيهم جبرائيل بن بختيشوع^(١) وفي هذا اشارة واضحة ودليل ثابت على خروج الاطباء مع الجيش وقادته وملوكه عندما يخرجون للحرب •

وعندما اشتدت دعوة الخوارج وقوت شوكتهم بقيادة الوليد بن طريف الشاري زعيم الخوارج وفشل الكثير من قادة بني العباس في التغلب عليه وقد حصل العكس فقد كان يفتك بهم ويشتت شملهم ••

وبعدها اتدب الخليفة هارون الرشيد القائد العربي يزيد بن يزيد الشيباني •

وفي أول خميس من شهر رمضان عام/١٧٩هـ الموافق ٧٩٥م - التقى الخصمان من آل شيبان • وبعد قتال عنيف ونزال مرير تبارز القائدان وانتصر يزيد وقتل الوليد وكتب النصر للجيش العباسي على جيش الخوارج ••• وأول عمل قام به القائد العباسي ان جسع جرحى جيشه وفيهم ابنه (اسد بن يزيد) وارسلهم جميعاً « قبله الى بغداد - وارسل معهم رأس الوليد وتوجه هو بعدهم ودخل بغداد منتصراً » (٢) •

وهذا دليل اخر على الاهتمام بجرحى المعركة واعطائهم الاسبقية بالاخلاء الى العاصمة لايصالهم بسلام ومعالجتهم في المستشفيات التي كانت متوفرة بكثرة آنذاك •

ومن طب وجراحة الحروب مما يذكر عن الرازي انه أول من استخدم « فتيلة الجرح » وامعاء « مصارين » الحيوانات بخياطة الجروح وأول من

(١) - الدكتور عبد الجبار الجومرد - هارون الرشيد ج ٢ ص ٥٦١

(٢) - الدكتور عبد الجبار الجومرد - هارون الرشيد ج ٢ ص ٤٠٥

استخدم الرصاص الابيض في مراهم الجروح^(١)

وفي حرب بابل^(٢) ، خرج الافشين^(٣) وحصل المال والزاد ولم يبق في المعسكر بغل الا وضع عليه محمل للجرحى واخرج معه المتطبين وحصل معه الكعك والسويق وغير ذلك وجميع ما يحتاج اليه^(٤)

وبعد ان وقعت الحرب - وبعث الافشين بالبغال التي كان قد جاء بها معه وعليها المحامل ، فجعلت فيها الجرحى ومن كان به وهن من الحجارة ولا يقدر على المشي^(٥)

وهذه ايضا اشارات واضحة ونصوص صريحة الى اعداد الخدمات الطبية المرافقة للجيش الاسلامي في حلها وترحالها واعداد العدة مسبقا لنقل الجرحى بعد اسعافهم ومن ثم اخلاؤهم الى الاماكن الامينة حيث تتوفر فيها الراحة والخدمات الطبية المتسكنة من علاجهم واسعافهم ومما جاء في كتب التاريخ - قال يوسف بن ابراهيم ، حدثني زكريا بن الطيفوري^(٦) قال :-

كنت مع الافشين في معسكره وهو في محاربة بابل فأمر بأحصاء جميع من في عسكره من التجار وحوانيتهم وصناعة كل رجل منهم فرفع ذلك اليه فلما بلغت القراءة بالقارىء الى موضوع الصيادلة قال لي :-
يا أبا زكريا اضبط هؤلاء الصيادلة عندي اولى ما تتقدم فيه • فامتحنهم

(١) - عمر فروخ ص ٢٧٨

(٢) - بابل - احد المنشقين في بلاد فارس على الخلافة العباسية

(٣) - قائد عباسي مشهور له حروب كثيرة اشتهر فيها وحارب بابل وانتصر عليه •

(٤) - الطبري - تاريخ الطبري ٩ : ٤١

(٥) - الحجارة - بقصد حجارة الطريق والمسير الشاق

(٦) - طبيب كانت له شهرة ومواقف طبية ومعروفة في بغداد في العصر العباسي •

حتى نعرف منهم الناصح من غيره ومن له دين ومن لا دين له فقلت :
— اغز الله الامير ان يوسف لقبوه الكيسائي كان يدخل على المأمون
كثيرا ويعمل بين يديه فقال له يوما : ويحك يا يوسف ليس في الكيساء
شيء !!

فقال له :

— بلى يا امير المؤمنين وانما افة الكيساء الصيادلة !

— ويحك وكيف ذلك ؟

فقال له :

— يا امير المؤمنين : ان الصيدلاني لا يطلب منه انسا ذ شيئا من الاشياء
كان عنده او لم يكن الا اخبره بانه عنده او دفع اليه شيئا من الاشياء
التي عنده وقال له هذا الذي طلبت . فان رأى امير المؤمنين ان يضع
اسما لا يعرف ويوجه جماعة الى الصيدالة في طلبه ليبثاعه فليفعل .
فقال له المأمون .

— قد وضعت الاسم وهو « سقطيئا » !

(وسقطيئا) ضيعه تقرب من مدينة السلام ووجه المأمون جماعة من
الرسل يسألهم عن (سقطيئا) فكلهم ذكر انه عنده - واخذ الشن من الرسل
ودفع اليهم شيئا من حانوته .

فصاروا الى المأمون باشياء مختلفة فمنهم من آتى ببعض البذور
ومنهم من آتى بقطعة حجر ، ومن آتى بسوبر - فاستحسن
المأمون نصح يوسف عن نفسه واقطعه ضيعة على النهر المعروفة بنهر الكلبة
فهي في ايدي ورثته . فان راي الامير ان يستحق هؤلاء الصيادلة بمثل محنة
المأمون فليفعل .

فدعا الافشين بدفتر من دفاتر « الاسرو شتيه » فاخرج منها نحووا من
عشرين اسما ووجه الى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مساة بتلك الاسماء .

فبعضهم انكرها وبعضهم ادعى معرفتها واخذ الدراهم من الرجل ودفع
اليه شيئا من حانوته فامر الافشين باحضار جميع الصيادلة فلما حضروا كتب
من انكر معرفة تلك الاسماء منشورات اذن لهم فيها بالمقام في معسكره ونفى
الباقيين عن المعسكر ولم يأذن لاحد منهم في المقام ، ونادى المنادي بنفيهم
وبأباحة دم من وجد منهم في معسكره^(١) . وتؤكد هذه القصة بان المأمون
سنة ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م قد امتحن كافة الصيادلة في معسكرة وكذا فعل
المعتصم .

وتورد هذه القصة على ما فيها من طرافة لدل على تواجد الاطباء في
المعسكر في مرافقة الجيش وبخاصة كطبيب مثل ابي زكريا الطيفوري وهو
من اطباء بغداد المشهورين والتي تناقلت كتب التاريخ والسير والطب سيرته
وحياته وطرائقه ويتواجد هذا الطبيب العالم يؤكد على تواجد عدد كبير اخر
من اطباء الجيش ومنهم من له شهرة وبراعة في عمله .

وهذا دليل اخر على تواجد الصيادلة في المعسكر والاهتمام بمراقبتهم
ومحاسبتهم ونفي من يجهل اصول المهنة والتزامها الادبي - وطبعاً لا يمكن
ان يتواجد هكذا عدد كبير من الصيادلة دون ان يتواجد عدد اكبر من
الاطباء والجراحين والعاملين بصناعة اليد .

(١) - ابن ابي اصيبعة - عيون الانباء ٢ : ٩٢
الحكيم راجي عباس التكريتي - طرائف الاطباء الطبعة الاولى ص ٧٤
عمر فروخ ٠ ص ٢٩٥

الجراحة والحرب

منذ بدء الخليفة على ارضنا هذه والحياة بكاملها في صراع مستمر :
الوحوش مع بعضها ... والانسان مع اخيه الانسان من جهة
ومع الوحوش المفترسة من جهة أخرى .. مما يستوجب معرفة معينة لمعالجة
اثار هذا النزاع أو ذلك الصراع لتخفيف الالم أو لقطع النزيف أو خياطة
جرح ...

وهكذا بدأت الجراحة في اولى اساليبها - الجراحة العامة أو جراحة -
الحرب بالمعنى الاوفى ...

والعرب - دولها القديمة - وعشائرها وقبائلها كانت في صراع مستمر
وغزو متواصل مع اعدائها ومع بعضها ومن هذا الصراع والنزاع المتواصل
والغزو الدائم كثر الجرحى والقتلى مما استوجب العلاج لهذه الجراح
وقطع النزيف وتخفيف الالام - ومن هنا برز صناع اليد العرب ...
الجراحون - ولكن ليس بالعدد والنبوغ الذي برز فيه الاطباء ... ربما
كان سبب ذلك لتأثرهم بجيرانهم الرومان - والفساسنة - والاحباش الذين

اعتنقوا الديانة المسيحية - وكانت الكنيسة والى عصور قريية تحرم الجراحة - واخراج الدم من جسم الانسان

والسبب الثاني - انه نوع من الترفع وبخاصة ما امتاز به العرب من شيوخ وافقة جعلهم يترفعون عن الجراحة في ايامهم الاولى وتقليلهم من شأنها يرجع الى انهم كانوا يعتبرونها صناعة يدوية - اما الطب فكان عندهم من نتاج العقل والعقل اعلى منزلة من اليد^(١)

فمن اقدم الكتب الطبية التي كتبت باللغة العربية هو كتاب « فردوس الحكمة » للطبري وقد خصص جزءاً واحداً فقط تحدث فيه عن الجراحة . وكذا اشار الرازي الى معلومات مهمة في الجراحة وبشتى انواعها في موسوعته الطبية « الحاوي » ولكن ليس بالقدر الذي تحدث فيه عن الامراض الباطنية والعيون - والصدر - والامراض المعدية وبقية فروع المعارف الطبية .

وكذا اختصت المقالة السابعة من كتابه « المنصوري »^(٢) وان فضل استعمال خيط الشعر في العمليات الجراحية في القرون الوسطى يرجع الى الرازي^(٣) .

ولا يمكن للجراحة ان تزدهر وتتطور ما لم يتطور ويزدهر علم اخر ملازم لها - وهو علم التخدير - وكان للعرب فضل كبير على هذا العلم هو في غاية الاهمية - واطلقوا عليه اسم المرقد (المخدر) العام في العمليات الجراحية .

(١) - د ياسين خليل - الطب والصيدلة عند العرب ص ١٢٣

(٢) - د ياسين خليل - الطب والصيدلة عند العرب ص ١٢٤

(٣) - لا يزال البدو - العرب الرحل في منازعاتهم وحروبهم وخياطة جروحهم يستعملون خيوط الشعر - يقطعونها من رؤوس فتياتهم ذوات الشعر الطويل حيث يخبطون بها تلك الجراح .

وكم كان التخدير العربي فريداً في نوعه صادقا في مفعوله رحيماً بمن يتناوله^(١) فقد استخدم العرب في الجاهلية المخدرات كالحشيش والافيون والزؤان وست الحسن (هيو سيامين) وهم الذين اخترعوا الاسفنجة المخدرة والتي لم تكن معروفة قبلهم وانما هو فن عربي خالص .

حيث كانت توضع هذه الاسفنجة في عصير من الحشيش والافيون والزؤان وست الحسن ثم تجفف في الشمس واذا ما اريد استعمالها ثانية ترطب وتوضع على انف المريض فتمتص الانسجة المخاطية المواد المخدرة ويذهب المريض في نوم عميق يحرقه من اوجاع العملية الجراحية^(٢) .

واستعانوا بالخياط المصنوعة من امعاء الحيوانات في خياطة الجروح .

في ذلك الوقت بالذات كانت الجراحة نفسها محتقرة في اوربا وينظر الى الجراحين نظرة مقيتة - وهي متروكة تمارس من قبل الحلاقين . والمدارس الطبية تتحاشى تعليم الجراحة - ففي سنة ١٦١٣م اصدر مجلس (تورس البابوي) قرارا يفرض على المدارس الطبية إهمال تعليم الجراحة في حين كان العرب يحترمون الجراحة الطبية بوصفها قسما من الطب قائما بذاته بعد ان فهموا روح الاسلام فيها دقيقا واوصى بها الرسول الكريم (ص) في مناسبات عدة .

وعرف العرب بطريق التجربة ان الجراحة في بعض الحالات اجدى ونسيلة في حسم الداء مما جعلهم ان يزيدوا من اهتمامهم بالطب الجراحي^(٣) ومن عبق معرفتهم بالتخدير كعلم وتقديرهم له مما يسر لهم العمل

(١) - زنفريد هونكة / شمس العرب تسطع على الغرب ٢٧٩ ، ٢٨٠

(٢) - ابو الفتوح التوانسي / من اعلام الطب العربي مذاهب وشخصيات ص ٥٠

عيون الانباء في طبقات الاطباء

الجراحي وساعد كثيرا في تطور علم الجراحة ومن العوامل المهمة التي ساعدت على نجاح وتطور علم الجراحة لدى العرب المسلمين هو اهتمامهم بالتعقيم والنظافة وغسل الجراح بالماء المغلي مما سهل عملية شفاء تلك الجراح - بشكل سريع وجعلهم يعتمدون عليها كثيرا .

وشددوا على منع التلوث وعلاقة ذلك بالاوساخ والذباب الذي ينقل الكثير من الجراثيم - وان لم تكن الجراثيم مكتشفة انذاك ولكنهم قد عرفوا فعالها وتأثيرها في الجراح وتقيحها واثاروا اليها بشكل غير مباشر حتى تداولوها بنصائحهم واشعارهم .. وفي هذا الصدد قال شيخ اطباء بغداد في وقته - ابو الحسن هبة الله ابن التليذ وهو يعطي الحكمة والنصيحة ويضرب بذلك المثل لما تحدثه الذبابة من تأثير سيء على الجرح وما تركه من اثار ضارة قد تؤذي الانسان اكثر من اذى الاسد بقوته وسطوته وشراسته حيث قال :-

لا تحقرن عدوا لان جانبه ولو يكون قليل البطش والجلد
فللذبابة في الجرح المديد تنال ما قصرت عنه يد الاسد^(١)

انها لملاحظة علمية دقيقة الى تأثير الذبابة على الجرح الطري وما تحدثه فيه من اضرار قد تقصر عنه يد الاسد بقوته ووحشيته .

وقد لاحظ اطباء العرب ان الفساد الذي يصيب احد الاعضاء مثل الاطراف قد يسري ويلحق ضررا بالغا باليد كلها أو بالرجل كلها . ولذا فاذا اصاب العفن احد الاطراف ولم تنجح معه جميع الادوية والعلاجات فان افضل سبيل هو قطع ذلك العضو الذي اصابه العفن وبسرعة لئلا ينتقل

(١) - ابن ابي اصيبعة ١٩٥٦ ، دار الفكر - بيروت ج ٢ ص ٢٨٢

العفن الى سائر اجزاء العضو ، وان يكون القطع الى الحد الذي انتهى اليه
الفساد^(١)

فالجراح الاندلسي الكبير ابو القاسم الزهراوي والمتوفى عام ١٠١٣م
قد ادخل تجديدات كثيرة ليس على علم الجراحة عامة بل ايضا في مداواة
الجروح ، وفي التشريح واجراء العمليات^(٢)

فاذا وصف الزهراوي طريقة العمل في قطع العضو الذي اصابه العفن
والفساد فانه يصف الاسلوب الذي يجب ان يتبع قبل البدء في العملية
الجراحية .

« وصفة قطع العضو او نشره ان تشد رباطا في اسفل الموضع الذي
تريد قطعه وتشد رباطا اخر فوق الموضع ويمد خادم الرباط الواحد الى
الاسفل ويمد خادم اخر الرباط الاعلى الى فوق وتجرد انت اللحم بين الرباطين
بمبضع عريض حتى ينكشف اللحم كله ثم يقطع أو ينشر . وينبغي ان تضع
من جميع الجهات خرق الكتان لئلا يمس المنشار الموضع الصحيح فيعرض
للعليل الم زائد وورم حار ، فان حدث نزف دم من خلال عملك فاكو الموضع
بسرعة أو احمل عليه بعض الذرورات القاطعة للدم ثم عد الى علاجك حتى
تفرغ ثم اربط العضو المجروح برباط يصلح له وعالجه حتى يبرأ^(٣)

وصف دقيق لممارسة الجراح عمله في ربط اسفل واعلى موضع القطع -
وكذا محاولة تجنب ان يذهب الجراح كثيرا الى الموضع السليم - ومداراة
النزف الافضل بعدم حدوثه وان حدث فلاسراع بالكي بالنار - والآن يلجأ
الجراحون الى نفس الفلسفة الكي ولكن بتيار الكهرباء ويبقى الكي هو

(١) - ابن سينا - القانون في الطب - ج ٣ ص ١٨٥ .

(٢) - شمس العرب - ص ٢٧٧

(٣) - د . ياسين خليل ص ١٤٩

الكي سواء بعمود من الحديد قد احسي بالنار أو بقطب حديدي موصل بالكهرباء ويتم كي الاوعية الدموية حتى ينقطع النزيف واذا لم يجد الكي نقعا فعندئذ هناك يسع النزف وربما كانت تصلح كسعقات ، وليس هذا فحسب - وانما اشترط الزهراوي معرفة الجرائحي لعلم التشريح ليقف على منافع الاعضاء ومعرفة العظام والاعصاب والعضلات والعروق وغير ذلك فمن غير معرفة بالتشريح لا يسكن للجراح ان ينجز عمله بالشكل الصحيح بل لا يسكن ان يكون جراحا فلا يمكن للانسان ان يهتدي بطريقه في الظلام الدامس أو يسير وسط الزحام وهو معصوب العينين وقد ذكر الاطباء العرب بعض المحاذير الجراحية في مؤلفاتهم الطبية عند الكلام عن صناعة اليد « علم الجراحة » وابرز هذه المحاذير والشروط :

اولا : ان يتجنب الجرائحي عند الفصد او البط او وصل شق من اصابة عصب أو شريان بضرر ، لان ذلك يؤدي الى عطب يصيب المريض أو يودي في حالة النزف الشديد الى الموت .

ثانيا : ان ينظر الجرائحي في الجروح والاورام غير الخبيثة فلا يقدم على خياطة جرح اصابه قيح وتهيج والتهاب الا بعد ازالة هذه الاعراض بوساطة الادوية لتنقية الجرح .

ثالثا : ان يتجنب الجرائحي القيام باعمال الجراحة لعل لا يمكن شفاؤها لكي لا يخاطر بسمعته من جهة ، ولا يسرع في موت المريض عند اجراء العملية من جهة اخرى .

رابعا : ان يتجنب الجرائحي وقوع اوساخ أو مواد غريبة في شق الجرح لان ذلك يسع شفاء الجرح بسرعة .

هذه الشروط والتعليمات التي سطرها الاطباء العرب المسلمون - لا تزال من الشروط الحية الفعالة التي يارسها الجراح ويلتزم بها اذا

مارغب في اسراع شفاء عملية الجراح الحربية منها وغير الحربية • وطبعاً غدت
الآن أكثر حيوية وأهمية بعد أن اكتشفت الجراثيم التي تعبت فساداً بالجروح
أما ما ذكره الأولون فكان اعتسادهم على ملحوظاتهم الدقيقة واستقراءهم
للحالات واعتسادهم على المنطق العلمي السليم •

وكما ذكر الجراح الدمشقي « ابن القف » في كتابه « العمدة في
صناعة الجراحة » •

« أن يحترز الجرائحي من وقوع شيء بين شفتي الجراحة فإنه يمنع
التقاءهما وذلك الشيء إما شعر أو دهن أو غبار »

وإذا حدث في الجرح عفونه تسرع من خياطته ومعالجته فعلى الجرائحي
عندئذ أن يقطع الجزء المتعفن ثم يعالج الجرح بعد ذلك • وفي كل الأحوال
يجب المحافظة على الجرح من التلوث • لأن الجرح الذي يسيل منه القيح
لا يندمل حتى تخرج منه الرطوبات المتعفنة^(١)

لم يذهب (ابن القف) بعيداً بل كان قريباً كل القرب من المنطق العلمي
المعاصر عن تلوث الجروح وسبب القيح في تأخير شفاء تلك الجروح ، وأن
الشعر والدهن والغبار وخيوط القماش - إذا دخلت في أعناق الجرح فأنها
تعيق عملية الشفاء وبخاصة إذا كانت تلك المواد غير معقمة أي أنها ملوثة
وتحمل بين ثناياها الجراثيم المسببة للقيح ، وقد لجأ الطبيب الجرائحي إلى
معاملة الجروح بالمداواة أو الخياطة سواء كانت هذه الجروح ناتجة عن
ضربة سيف أو آلة قاطعة أو كانت بسبب شق إجراء الطبيب في عملية جراحية
مثل إخراج الحصى من المثانة وغير ذلك •^(٢)

(١) - د • ياسين خليل ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠

(٢) - د • ياسين خليل ص ١٣١

وبعد ذكر الشروط التي يجب ان تتوفر في العمليات الجراحية سواء تلك الناجمة من ضربة سيف ام فمعة رمح ام التي شقها الجراح بسكينة ..

وما يجب توفره من وقاية واحتراس من تلوث الجرح أو من دخول الاوساخ وخيوط الشعر ، والأتربة بين شقيه - يتناول الاطباء العرب المسلمون خياطة الجروح ويصفون الاساليب التي يجب ان تتبع في هذه العملية المهمة حتى لا تؤثر على سرعة شفاء تلك الجروح . ويذكرون في ذلك ان لخياطة الجروح بصورة عامة اربعة شروط اولها يتصل بنوعية الخيط وثانيها بالمسافات بين الغرزات ، وثالثها بالبعد والقرب من حافة الجرح ورابعها بنوع الابرة المستخدمة .

وهذه الشروط على التوالي :-

« احدها ان يكون الخيط معتدلا في الصلابة واللين فان الصلب ربما خرق الجلد واللين سهل القطع سريعه . وثانيها ان تكون الغرز معتدلة في القرب والبعد بعضها من بعض فان البعيدة لا تضبط الاحشاء على ما ينبغي والشديدة القرب كثيرة الالم .

وثالثها ان لا يكون مغرز الابرة قريبا من حافة الجرح فتخرم ولا بعيدة عنه فيتعذر انضمام الشفتين .

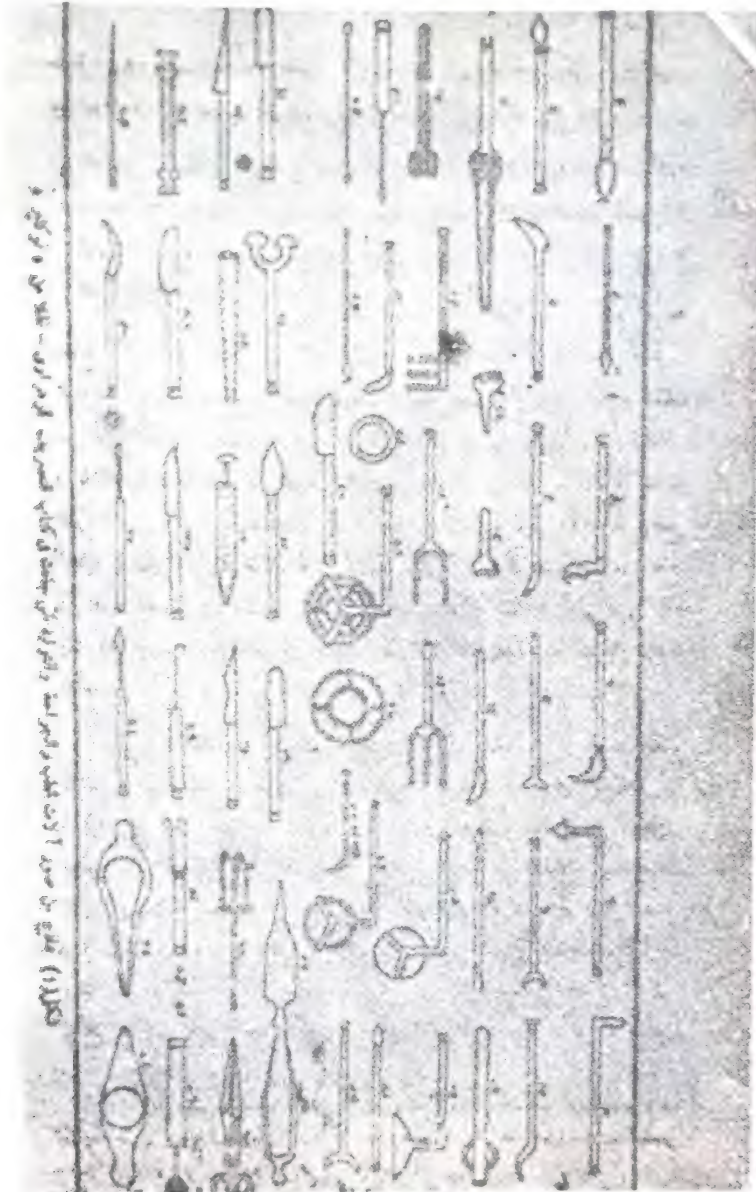
ورابعا ان تكون الابرة لرأسها ثلاثة حدود وهي التي يخطط بها الفراء فان مثل هذه الابرة تكون سهلة الدخول في الجلد» (١)

ومن وصف الابرة والخيط المستعملين في خياطة الجرح ووصف كل منهما - نخرج الى الالات والادوات الجراحية التي كان يستعملها الجراحون وهي كثيرة ومتنوعة وافضل من عددها ووصفها وادخل الكثير من التحسينات

(١) - د . ياسين خليل ص ١٣٢

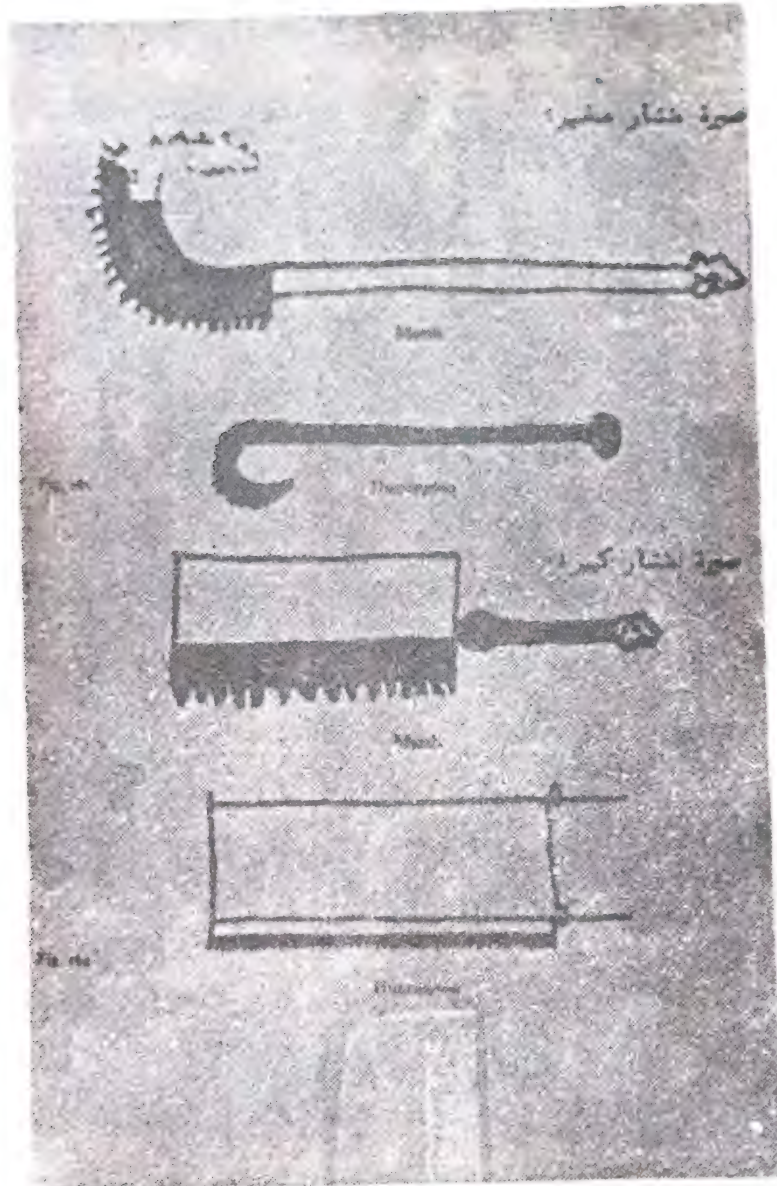
ابن القف ص ١٢٧

اليها بل ادخل الكثير منها لأول مرة في عالم الجراحة هو الجراح العربي أبو القاسم الزهراوي الاندلسي - الطبيب والجراح والمؤلف وقد اشتمل مؤلفه



على أكثر من مائتي شكل للالات والادوات - الجراحية التي كان العالم يستعملها في ممارسة اعمال الجراحة .
والزهراوي أول من لجأ الى ربط الشرايين لمنع النزيف وأول من وضع -

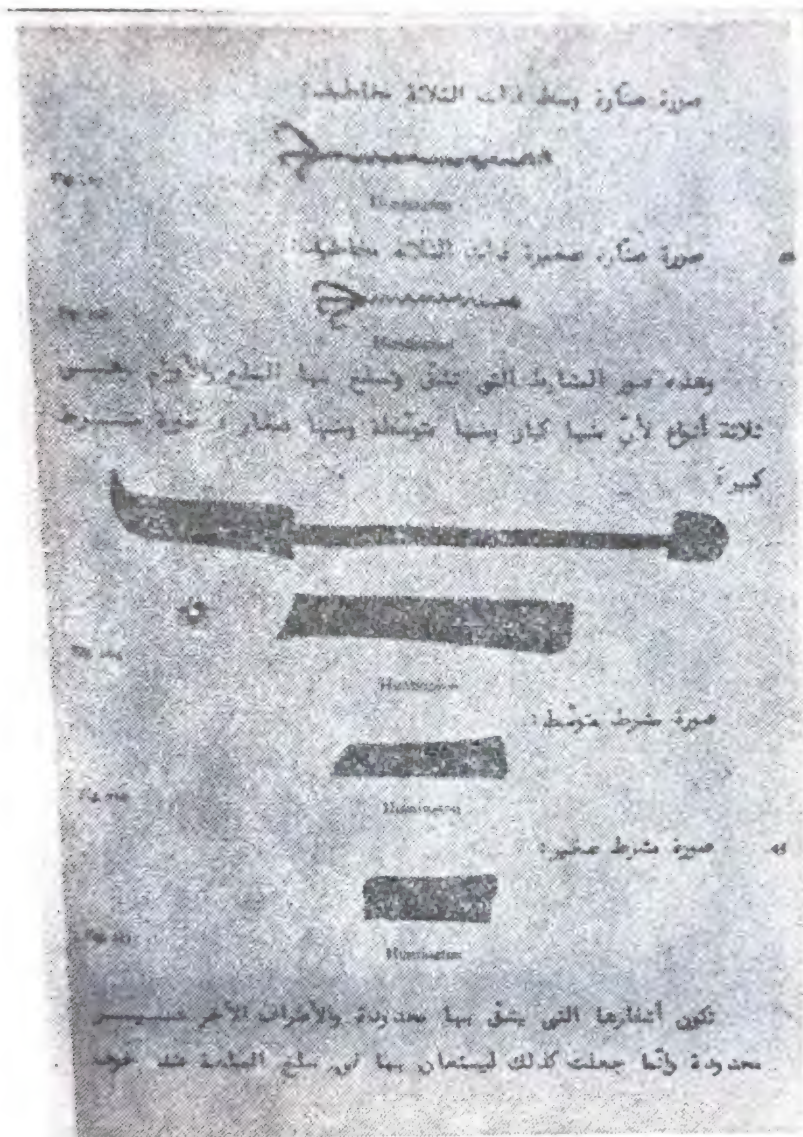
اصول علم الجراحة حتى ساعدت مؤلفاه الجراحية على وضع الاساس
للجراحة في اوربا (١)



وقد جاء في الفصل الرابع والثمانين في علاج الجراحات من كتاب
الزهرابي « التيسير لمن عجز عن التأليف »

(١) - زكريا هاشم زكريا - فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم
ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .

« ان الجراحات تختلف بحسب الشيء الذي يكون به الجراحة وبحسب
الموضع الذي يقع عليه الجرح فالاشياء التي تكون بها الجراحات كبيرة
كصكة حجر أو قطع سيف أو طعنة رمح أو عود أو سهم ونحو ذلك ...



« واما الجراحات بحسب المواضع من الجسم فكالجرح الذي يقع على
الرأس أو العنق أو الصدر أو البطن أو الكبد ونحوها من الاعضاء (١)

1- Spink, M.S. & Lewis, G.L. Albucasis, on Surgery and instrument
1973 P. 525.

فإن كان الجرح كبيرا وكان من قطع سيف أو نحوه ولم تجتمع شفتاه بالرفائد فاجمعه بالخيامة على ما اتا واصفه في خيامة جراح البطن . فإن كان الجلد كشف العظم وتعلق ولم يكن إمساكه الا في معلاق يسير فاقطعه



ثم عالج الجرح بادوية تجبر لحما صلبا عوض الجلد فان حدث في الجلد عفن ولم يلصق بالعظم فاقطع المتعفن كله وارم به ثم عالجه » فإن كان في هذه

الجراحات شريان أو عرق ينزف ولم ينقطع بالادوية فقتل على الشريان فان
اصبه لم يترفا بتره بالمصنع واربطه وان دعت الضرورة اذا لم ينفع ما ذكرناه فاكوه
حتى ينقطع الدم فان كانت هذه الجراحات صغارا بساطا فأمرها سهل هين .
يكتفي بعلاجها بان تذر عليها هذا الذرور وهي بدمها قبل ان يغيرها
الهواء .

وصفه هذه الذرور ان يؤخذ من اللبان جزء ومن الشيان جزءان ومن
الجير المطفأ أو غير المطفأ ثلاثة اجزاء يسحق الجميع وينخل ويحشى به
الجرح ويشد شدا جيدا حتى يلصق عليه لصوقا جيدا وينعقد الدم «^(١)
لم يكن انذاك هناك ادنى معرفة بالمضادات الحياتية ولا السلفا ولا أي
شيء من المراهم والمعقمات التي انتجتها الشركات التجارية والمراكز العلمية
وانما كانت هذه الذرورات والتي هي مزيج من الكيمايات التي تشكل
طبقة عازلة - وربما معقمة وفي نفس الوقت قاطعه للنزيف من الاوعية الدموية
الدقيقة .

هذا اذا كانت الجروح حديثة وبعد الاصابة مباشرة اما اذا كانت
الجروح قد مضى عليها بعض الوقت وقد لعبت بها الجراثيم في وقت لم تكن
الجراثيم مكتشفة وانما كان يعزى ما يحدث في الجروح من تعفن وتقيح
الى الهواء .

« واما ان كانت قد غيرها الهواء بعض التغير ولا سيما اذا كان في
زمن الصيف فليس في وضع هذه الذرور معنى ومعالجة بما ذكرنا بان تحمل
عليه بعض المراهم المنضجة أو تحمل عليه عصيدة من دقيق الشعير مصنوعة
بالماء والعسل حتى يند القيق ثم تعالجه بسائر العلاج حتى يبرأ »^(٢)

1- Spink & Lewis P. 529.

2- Spink & Lewis P. 531.

وممدا منطق علي علي سليم حتى يومنا هذا فاذا ما تلوث الجرح
ونعق الصيح في علق الجرح فليس من المنطق العلي في شيء ان تضع فوقه
الدرور أو الدهون حتى المضادات القوية في وقتنا الحاضر قد لا تجدي نفعا
وانما الافضل ان تعامل لانضاج القيح وربطه واخراجه من علق الجرح ثم
يعالج الجرح بالتنظيف والتعقيم والمضادات المؤثرة .

ويذهب الى اسلوب علي حديث اخر . وهو ان كان الجرح صغيرا
أو عسيقا فلم ينصح بالخياطة وانما نصح بالخياطة ورتق الجرح عندما يكون
كبيرا ويصعب تضييده وجع حافتيه بالتخييط .

« واما ان كان الجرح كبيرا فاستعمل الخياطة أو ضم شفتيه بالرفائد
ثم عالجه حتى يبرأ فان كان للجرح غور وحدث فيه مخبأ في اسفله قد اجتمع
فيه القيح فبطه في اخفض مكان فيه ، فان كان قد انقطع في الجرح شريان
وادركت دمه ينزف فابتره أو اربطه أو اكوه إن دعت الضرورة الى
ذلك ... »

فان كان الجرح قد قطع بعض خرزات الحلقوم أو كله وسلست
الاواداج - فاجمع شفتي الجلد وردده على شكله الطبيعي ثم شده شدا
محكما - واتركه اياما ثم عالجه بالمراهم التي فيها قبض وتجفيف حتى يبرأ .
« فان كان الجرح قد اثر في العظم فقتشه فان كان فيه شظايا من العظم
فاجذبها كلها أو ما يسكن منها »⁽¹⁾

وهكذا يذهب الزهراوي بعيدا في الاسلوب العلي الصحيح في عدم
ترك الشظايا واجزاء العظم لانها تتعارض وعيلية الشفاء وانما واجب على
الجراح تفتيش دقيق للجرح واخراج ما يسكن اخراجه من تلك - الشظايا
قبل خياطته أو ضاده ولفه بالرفائد .

1- Spink & Lewis 533.

وفي جراحة الصدر وما بين الكتفين ، ان كانت طعنة من رمح أو سكين
ورأيت لها غورا فانظر فان خرج منها الريح اذا تنفس العليل فاعلم انه قتل فإلهم
يكن لها غور وكانت مزية بدنها فلا تجعل فيها من أول وهلة الذرور ولا



تشدها لئلا يحتبس الدم في غورها فيرتدع الى القلب فيقتل العليل ولكن
اجعل فيها مرها جذابا وحلّه في النهار مرتين فان لم يحضر كمرهم فاجعل

في فم الجرح قطنة بالية لتسحب ما يخرج منها من الرطوبات واجعل نوم العليل على الجرح ليسيل ما يجتمع فيه »

« فان كان الجرح من قطع سيف او سكين وكان بسيطا في سطح الصدر او الظهر فعالجه بما تقدم فان كان قد اثر في العظم وقطع منه شظايا ففتس الجرح وبادر باخراج تلك الشظايا ان كانت منبرئة فان لم تكن منبرئة فاتركها حتى يعفن الجرح فانه يسهل اخراجها^(١) »

وقد جاء في الفصل الخامس والثمانين في جراح البطن وخروج الامعاء وخیاطتها :-

« الخرق الذي يعرض للبطن قد يكون كبيرا وقد يكون صغيرا ووسطا فالكبير قد يخرج منه معاء او عدة أمعاء فيكون ادخالها وخیاطتها أشد واعسر والخرق الصغير ايضا قد يعسر من وجه اخر فيلزم ان يكون ردها اعسر ، والمعاء ان لم تبادر في ادخاله الى موضعه من ساعته انتفخ وغلظ فعسر ادخاله فلهذا صار افضل الخروق الخرق المتوسطة لانه لا يعسر معه رد المعاء كما يعسر في هذين النوعين * »

واعلم ان خیاطة البطن على اربعة وجوه الخیاطتان الاثنتان عاميتان تصلح في خیاطة البطن وفي سائر الجراحات الا انها اخص بخیاطة البطن وانا واصفها بـ ...

« فاقول انه اذا كان الجرح صغيرا وخرج منه شيء المعاء وعسر رده فذلك لاحد وجهين اما لصغر الخرق كما قلنا واما لان المعاء عرض له نفخ من قبل برد الهواء فاذا كان كذلك فينبغي ان تسخنه بان تغمس اسفنجة أو خرقة رطبة في الماء الفاتر وحده أو قد طبخ فيه اذخر وسعدى وسنبل وتنطل

1- Spink & Lewis, 531.

به الماء حتى ينحل النفخ وقد يفعل ذلك الشراب الذي قبض وهو افضل
من الماء وحده في تحليل النفخ ، فاذا رأيت النفخ قبل الماء بساء قد طبخ فيه
خضبي أو خبازي فانه يسلس بذلك دخوله بايسر سعي فان تعذر رجوعه بعدهذا
العلاج فسق في الخرق قليلا بالآلة التي تشق بها النواصير . والعلاج الاول
اذا تسكن افضل من الشق وانما يضطر الى الشق بعد الضرورة وعجز
الحيلة» (١)

واعلم ان الخرق اذا كان في وسط البطن فان خياطته اعسر من سائر
مواضع البطن . واما مداواة الجرح فحكمه في مداواته حكم سائر الجراحات
وذلك انك اذا ادركت الجرح طريا بدمه قبل ان يغيره الهواء وردت الماء
وخطته واحكمته فاحمل عليه الذرور الملحم فان كان الجرح قد غيره الهواء
فاحمل عليه بعض المراهم التي تحضرك حتى يقيح وتسقط الخيوط ويلتحم
الصفاق والمراق ثم تعالجه كعلاجك سائر الجراحات حتى يبرأ ، فان لم
تحضرك ادوية فاحمل عليه منذ يتدىء بالقريح القطن البالي وابدله مرتين في
النهار كما اعلستك يبرأ . فانك لا تحتاج الى علاج اخر في اكثر الاحوال
اذا كانت الجراحات بسيطة (٢)

هذا وصف جيد لمختلف جراحات البطن وكيفية التعامل معها ان كانت
صغيرة أو كبيرة وكيف تعالج الامعاء ان خرجت من تلك الجروح - وفيما
اذا اصابها التعفن والتغير وحيث كان يعزى السبب الى الهواء - بالرغم من
ان الهواء هو الذي يحمل الجراثيم وحيث لم تكن الجراثيم مكتشفة انذاك
كان التعليل ان الهواء هو الذي يسبب الفساد - واذا ما اصاب البرد تلك
الامعاء فتغس اسفنجة أو خرقة نظيفة بماء حار وحده أو ان توضع فيه

1- Spink & Lewis 537.

2- Spink & Lewis 547.

بعض النباتات التي تساعد في الحفاظ على دفء وحيوية تلك الامعاء ومن ثم يصف الاسلوب الاسهل والاتقع في ادخال الامعاء فيها اذا كان الجرح صغيرا أو كبيرا - ومن ثم يصف الاسلوب الامثل في خياطة جروح جدار البطن حسب الطبقات التشريحية لذلك الجدار - الصفاق - المراق والجلد .
وجاء في الفصل السابع والثمانين في قطع الاطراف ونشر العظام ..

(قد تعفن الاطراف اما من سبب من خارج واما من سبب من داخل فاذا عالجت ذلك الفساد بعلاج الادوية ولم ينجح العلاج ورأيت الفساد يسعى في العضو لا يردعه شيء فينبغي ان تقطع ذلك العضو الى حيث بلغ الفساد لينجو العليل بذلك من الموت أو من بلاء عظيم هو اعظم من فقد العضو)^(١)

وقد اشرنا في صفحات سابقة لوصف الزهراوي لافضل اسلوب في كيفية قطع العضو Amputation واذا اجتسع من العظم المكسور ورم أو جرح . فان على الجراح ان لا يستعمل الرباط في حالة الورم الى ان يهدأ كما يشترط ان يقطع النزف في حالة الجرح بالادوية ..
او بالكي اما اذا ظهر عفن فيجب معالجته واذا كان الجرح كبيرا فيجب ان تستعمل الخياطة بجسع شفتي الجرح ثم يتم علاجه بالادوية »

وقد فطن الاطباء العرب الى ان بعض الكسور يجتمع معها شظايا وجروح ، وفي هذه الحالات لا يجوز خياطة الجرح الا بعد استئصال الشظايا واستخراج العظام الصغيرة وفي بعض الحالات التي يكون فيها مع الكسر شظايا من غير ان يحدث جرح في العضو المكسور فينبغي ان ينظر المعالج هل هناك ضرورة لشق الجرح أو العضو واستخراج العظام الصغيرة او يكتفي بمعالجة الكسر وشده برفق لان الشد بقوة يؤدي الى ورم العضو

1- Spink & Lewis 577.

وعنونه وفي حالة شق العضو يكون على المعالج ان يستخرج الشظايا الصغيرة
أو ان يقطع تلك الاجزاء الناسخة ثم يسوي الكسر بعد ذلك ويعالجه^(١)

اسلوب علبي وعلبي غاية في الاهمية البحث عن الشظايا في موضع
الجرح سواء اكانت تلك الشظايا هي من خارج الجرح أم انها من شظايا
العظام المفتتة وان بقاء تلك الشظايا مما يعرقل عملية شفاء الجرح وربما اثر
حتى على التئام الكسور وسرعة انجبارها ولذا ركز الزهراوي على ضرورة
التخلص من هذه الشظايا كلما كان ذلك ممكنا .

ومن الامثلة العلية التي ساقها الزهراوي في كتابه من خلال تجاربه
في خياطة الجروح والنتائج التي حصل عليها .

« لقد خِطتُ جراحة عرضت لرجل في بطنه كان قد جرح بسكين وكان
خرق الجراحة ازيد من شبر وكان قد خرج من معائه نحو شبرين من المعاء
الاطول وكان الخرق في وسط - فرددته بعد ان اقام معاؤه خارجا من
الجرح اربعا وعشرين ساعة فالتحم الجرح في نحو خمسة عشر يوما وعالجته
حتى برىء وعاش بعد ذلك سنين كثيرة ، يتصرف في جميع احواله وكان
الاطباء يحكمون عليه انه لا يبرأ البتة .

ومن العجب اني لم اعالجه برهم لانني كنت في موضع لا يوجد فيه
شيء من الادوية فكنت اضع على الجرح القطن البالي مرتين في النهار واتعهد
غسله بماء العسل حتى يبرأ^(٢)

من الاسلحة الفتاكة في ذلك العصر والتي كانت تشكل معضلة
كبيرة للذي يصاب بها - هي السهام - بانواعها واشكالها
البسيطة منها والمركبة - السليمة منها والمسمومة المعقمة منها والملوثة

(١) - الدكتور ياسين خليل ١٥١

(٢) - الدكتور ياسين خليل ١١٣

ويناولها الزهراوي في كتابه التيسير .. في الفصل الرابع والتسعين في
اخراج السهام :-

« السهام قد تختلف بحسب انواعها وبحسب المواضع التي تقع فيها
من الجسم . واما اختلافها بحسب انواعها فان منها كبارا وصغارا ومنها
زجاج مجوف وزجاج مصسته ومنها ما لها ثلاث زوايا واربع زوايا ومنها مالها
السنة ومنها مالها شظايا »

أي ان الزهراوي يصف انواع واشكال تلك السهام والمادة المكونة
لها قبل ان يخوض باثارها الطبية وما تتركه في العضو من اثار وتخریب -
حيث من غير معرفة تلك الالة - لا يسكن الاستدلال على الاثر والجرح الذي
تحدثه في الانسجة - وحتى يومنا هذا تهتم الدول بعرفة انواع الاسلحة
وما تتركه من اثار في الجسم حتى انها تحاول جاهدة ان تحصل على اسلحة
العدو وتجربها على الحيوانات - وتفحص تلك الحيوانات لترى اثار ذلك
السلاح في الانسجة الرخوة والصلبة .

وقد كان الزهراوي سابقا لهذه الناحية المهمة في وصف السهام
والاسلحة التي تتحارب بها الجيوش في وقته ، ومن وصف السهام يعرج
لوصف التغيرات التي تحدث في الاعضاء الرخوة منها والصلبة :-

« واما التي تكون بحسب الاعضاء التي تقع فيها فتكون على ضربين :-

اما ان تكون الاعضاء من اعضاء رئيسة مجوفة مثل الدماغ والقلب
والكبد والرئة والكليتين والمعاء والمثانة ونحوها ، فمتى وقع سهم في احد
هذه الاعضاء وظهرت لك علامات الموت التي انا واصفها لك بعد ، فينبغي
تجنب اخراج ذلك السهم منه فان الموت يلحق صاحبها في اكثر
الاحوال) .

(وما لم تظهر لك هذه العلامات الرديئة ولم يكن السهم توارى في غور العضو فاخرجه وعالج الجرح • ومن علامات الدماغ فانه يعرض من ذلك صداع شديد وهدر ودوار وحرارة في العينين وحرارة اللسان وتشنج واختلاط عقلي وقذف مّره وربما خرج الدم من المنخريين أو الاذنين وربما انقطع الكلام وذهب الصوت وخرج من موضع الجرح رطوبة بيضاء تشبه العصيدة ويجري منها مثل مائية اللحم ، فان ظهر لك هذه العلامات فامسك عن علاج العليل واخراج السهم ان كان لم يخرج)

هذا وصف فيه من الدقة والشسولية والصحة والعلمية ما يجعله يطابق الوصف الحديث لاصابات الدماغ ، كما وانه يعطي تناذرا^(١) صائبا لهذه الحالات من اصابات الجمجمة والدماغ •

« واما علامات السهم اذا واقعت القلب وكان قريبا من الثدي - الايسر حس به كأنه قد انغرز في شيء صلب لا في شيء فارغ - وربما كانت للسهم حركة تشبه حركة النبض ويسيل من الجرح دم اسود ويتبع ذلك برد الاطراف وعرق بارد وغشي فاعلم ان الموت - نازل لا محال »

(وعلامة السهم اذا جرح الرئة خروج دم زبدّي من الجرح والالوعية التي في العنق تتورم ويتغير لون العليل ويتنفس تنفسا عاليا ويطلب استنشاق الهواء البارد ، فان واقع السهم الحجاب الذي في الصدر فانه يكون قريبا من الاضلاع الصغار ويكون التنفس عظيما مع وجع شديد وتنهد ويتحرك جميع اعضاء المنكبين) •^(٢)

« وان واقع السهم الكبد اتبع ذلك وجع شديد وخرج من الجرح دم يشبه الكبد في حرته • وان واقع السهم المعدة فربما خرج من الجرح شيء

(١) - تناذر - التنبؤ بمستقبل الحالة المرضية تناذر القوم : انذار بعضهم البعض شرا

2- Spink & Lewis, Albucasis P. 611.

من الغذاء شيء غير منهضم وامره ظاهر ، وان واقع السهم البطن ونشبت فيه وخرج شيء من البراز من الجرح أو الثرب أو معاء قد انخرق فلا مطمع في علاجه ولا في اخراج السهم .

فان كان السهم واقع على المثانة وخرج البول وبرز منها شيء الى الخارج واشتد الالم على العليل فاعلم انه هالك ..

واما سائر الاعضاء كالوجه والعين والحلق والكتف والعضد وفقار الظهر والترقوة والفخذ والساق ونحوها من الاعضاء فقد تسلم على الامر الاكثر متى لم يصادف السهم شريانا أو عصبا ولم يكن السهم مسموما ، وانا اخبرك ببعض هذه ما شاهدته من امر هذه السهام لتستدل لذلك على علاجك .. »

ويشرح ابن القف وهو الجراح العالم والممارس للطريقة العلمية انذاك في اخراج السهام والازجه .

« السهام تارة تتخذ من خشب وتارة تتخذ من قصب وهو اردى من الاول ، فان القصب لا يخلو من سميّه واما الازجة فانها تتخذ من جواهر مختلفة وذلك لانها تتخذ تارة من حديد وتارة تتخذ من نحاس وتارة تتخذ من رصاص وتارة تتخذ من قرن وتارة تتخذ من عظام وتارة تتخذ من حجارة وتارة تتخذ من قصب وتارة تتخذ من خشب »

فهو كجراح يصف جوهر المواد المصنوعة منها السهام حتى يسهل على الجراح المعالج التعامل معها وبعدها يتطرق الى اشكالها :-

« واما اشكالها فتارة تكون مستديرة وتارة تكون مبسوطة ثم هذه منها مالها شعبتان وما ليس لها شعب وتارة تكون مثلثة اي يكون لها ثلاث زوايا وتارة تكون مربعة اي لها اربع زوايا ومن الازجة ما يتحرك بشيء شبيه باللوب فاذا مدت الى خارج انبسطت وتعذر خروجها ثم من السهام

ما تكون الازجة مغروزة فيها ومنها ما تكون مداخله في الازجة وهو ان تكون اطرافها انبويية والسهم داخل الانبوب ، والمغروزة على نوعين .

منها ما يستوثق في تركيبه ومنها ما لا يكون كذلك فاذا جذب السهم الى خارج فارق السهم الازج وابقى في البدن ثم هذه منها ما تكون مسمومة ومنها ما لا تكون مسمومة ويعرف المسموم من لون اللحم الواقع فيه السهم فانه يكسد ويسود ويترهل وربما تغيرت رائحته «

واما كيفية خروجها فعلى نوعين :-

احدهما بالجذب والاخر بالدفع والاول تارة يكون باليد وهو اذا كان وقوعه في عضو لحمي ، فان لم يجب للخروج في حاضر الوقت فينبغي ان يترك اياما حتى يتعفن اللحم الذي حوله السهم ثم يجذب فانه يخرج بسهولة .

وان كان وقوعه في عظم أو كان السهم قد خرج وبقي الازج في اللحم فخروجه يكون حينئذ بالكلبتين المبردية الرأس وذلك ليشد مسكها للنصول وينبغي ان تراعي عند ذاك امرين :-

احدهما ان يهز الازج عند القبض عليه هزا يعرف به مقدار الغرازة وليكن هذا الهز الى الجهات الاربعة على استقامة يتسع على الازج الموضع ويتمكن من خروجه فان لم يخرج بهذا القدر فيترك اياما ثم يعمل ما ذكرناه فانه يخرج بسهولة .

والثاني :

ان يحتال في ان تكون هيئة الخروج حال خروج الازج كهيئته عند دخوله ، فان خروجه على هذه الصورة يكون اسهل وامكن فان كانت له السن يخاف منه ان تتشعب في الخروج فينبغي ان يدخل انبوبة في الازج

بحيث ان تتصل بالالسن وتسنعها من التشعب فان لم يكن هذا فيشق على
الالسن ثم يدخل الانبوب ويسك بالالسن ويجذب السهم مع مسك
الانبوب ثم بعد ذلك يداوى بسا يداوى الجروح .

فان كان الازج مسوما ويعرف بسا ذكرنا فينبغي تقوير اللحم الذي
حوله جسيعه والا يسرى السم الى ما هو اكثر من ذلك ثم بعد ذلك يخرج
الازج ثم بعد ذلك يلطخ الموضع جسيعه بالطين الارمني مذاب بساء الورد
وان كان بقي من اللحم شيء فيعفن ويخرج جسيعه ثم بعد ذلك يداوي بسا
يداوي به الجروح ويعطي العليل ما يقوي قلبه كبعض المفرحات أو - شراب
التفاح والنيوخر بساء ورد وماء الخلاف أو سكر لسان الثور أو يعطي شيئاً
من الترياق الكبير فهو اجود من الجميع أو ترياق الاربعة ان لم يتهياً
الكيرويلين طبعه بالحقن اللينة ويغذى بامراق الدجاج اللطيفة . واما
الدفع فتارة يكون باليد وتارة يكون بالادوية والنوع الاول هو المستعمل
في صناعة الجراحة واما النوع الثاني فكما حكى عن التيوس البرية ، انه
متى وقع فيها السلا والسهام اتت الى المشكطرا مشيع وهو نوع من الفوتنج
تأكل منه اكلا فان النصل عند ذلك يندفع من الباطن الى الظاهر ويخرج
ولذلك سمي النعنع التيسي .

واما الدفع باليد فهو اذا خرج الازج الى الجانب المقابل للعضو المجروح
وفي مثل هذه الصورة اذا كان السهم بعد طافيا فينبغي ان يدفع - طرفه دفعا
مستقيماً وان يضرب طرفه ببطرقة ضربا على الاستقامة فان الازج يخرج من
الجانب الاخر وحينئذ يجذب السهم ويخرج ويسك الازج بالكبتين
المذكورة ويجذب الى الخارج وان كان السهم قد سقط فيدفع الازج بشيء
اخر دفعاً مستويماً فاذا خرج يجذب كما ذكرنا فان كان الازج قد
غار في عضو لحسي كالفخذ فيفتش على طرفه باللس حيث حصل الالام عند
الغرز على الموضع فهناك رأس الازج ففي هذه المواضع ينبغي ان يشق

على ضرفه ويجذب بالكلبتين المذكورة ثم بعد ذلك تعالج بعلاج الجراحة ثم القروح ان احتجت الى ذلك والله اعلم^(١) »

وابن سينا بما عرف عنه طبيبا وشاعرا أو فيلسوفا وسياسيا لكنه لا يهمل ان يبحث هذا الموضوع وبنوع من الشسول والاسهاب حول الوخز والخزق واخراج ما يحتبس من الشوك والسهام والعظام :-

« الوخز والخزق متقاربان من حيث ان كل واحد منهما نفوذ من جسم حاد صلب في البدن وانما يختلفان في حجم الجسم النافذ فيشبه ان - الوخز لما دق وصغر الخزق « بالزاي معجبه » حجم وعظم ويشبه ان يكون الوخز مع صغر النافذ يقتضي فصد المنفذ كأنه لا يصدد الجلد ، ومثل هذه فانه خفيف المضرة ان لم يتعرض له • وترك صلح بنفسه ولو في ردىء اللحم ، اللهم الا ان يكون في شديد رداءة اللحم فانه ربما تورم موضعه وحدث به ضربان خصوصا اذا كان ذلك الغرز والوخز قد اشتد فصار نخسا فاصلا الى اللحم ومثل هذا اكبر علاجه ان يسكن ورمه ووجعه ولا يحتاج الى تدبير جراحة وتدبير الاورام ما فيه الكفاية^(٢) »

والذي لا بد ان يذكر في هذا الموضع من امر الوخز والخزق هو التدبير في اخراج ما احتبس في البدن من الشيء الواخز والخازق في البدن شوكا كان أو نصلا وما شابه ذلك وهذا الاخراج قد يكون بالالات - المنشبة بالشيء الجاذبة له وقد يكون بالعصر وما يشبهه ، وقد يكون بخواص ادوية جاذبة تخرج ما يعجز عنه الكلبتان وسائر الالات • فاما القانون فيما يخرج بالالات المنشبة مثل استخراج النصول بالكلبتين المبردية الرؤوس ليشتد تشوبها •

(١) - ابن القف العمدة في الجراحة ج ٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣

(٢) - ابن سينا (القانون) ص ١٦٠

فالقانون فيه ان يتوخى انكسار المقبوض عليه فيها ، وان يكون طريقها الى المزوع موسعا لا ينعج جودة المتسكن منه وان يطلب اسهل الطرق لخراجها . وان كان نافذا من جانبيه فيوسع الجانب الذي هو اولى بان يخرج منه توسيعا بقدر الحاجة واما الحيلة في ان لا ينكسر فهو ان لا يحرك حركتها قويا بغته بل يقبض عليه فيهرزها يعرف به قدر انغرازه وتشبثه وقلقه عنه ثم يجذب جذبا على الاستقامة وكثيرا ما يحتاج الى ان يترك اياما يتق فيه ثم يخرج^(١) ولم يكتف ابن سينا بسا عرفه من علوم طبية وفلسفية وانما يشير بكتاباتهِ الى علوم الآخرين وخبرتهم وتجاربهم وهو يقول :

وقد قال بعض العلماء بهذه الصفة قولاً نوردته على وجهه ان انتزاع السهم ينبغي ان يتعرف انواع السهام فان بعضها يكون من خشب وبعضها يكون من قصب وازجتها تكون من حديد ومن نحاس ومن الرصاص ومن لقرون ومن العظام ومن الحجارة ومن القصب ومن الخشب وبعضها يكون به ثلاث زوايا واربع زوايا ومنها ماله السن ، لسانان أو ثلاثة ومنها ما يكون به زج ومنها ما لا يكون له زج ، والذي له زج فربما كان زجه مائلا الى حنف لكي ما اذا مد الى خارج تعلق بالجسم وفي بعضها يكون الزج مائلا الى قدم ليندفع - ومنها ما تكون ازجته تتحرك بشيء شبيه بلولب فاذا مدت الى خارج تنبسط فتسنع السهم من الخروج وبعضه يكون ازجه عظيما . يكون له طرف قدر ثلاث اصابع وبعضها قدر اصبع وتسمى ذبائبة . بعضها يكون بسيطا وبعضها يكون قد زيدت عليه حدائد . فاق فاذا خرج السهم بقيت تلك الحدائد في عسق الاجسام ، بعضها يكون حه مغروزا في السهم وبعضها لزجه انايب تدخل في السهام وبعضها تستوثق في تركيبه وبعضها لا يستوثق منه فاذا ما جذب الى الخارج فارق السهم الزج فيبقى الزج في الجسد وبعضها يكون مسوما وبعضها لا يكون

١ - ابن سينا - القانون - ج ٣ ص ١٦٠

مسموما فالسهم يخرج على نوعين احدهما الجذب والاخر الدفع
ودلك ان السهم اذا نشب في ظاهر الجسد يكون اخراجه
بالجذب ويستعمل ايضا الجذب اذا نشب السهم في عمق
وكان يتخوف من المواضع التي تكون قبالة السهام ان جرحت عرض
الجسد يكون اخراجه بالجذب ويستعمل ايضا الجذب اذا نشب السهم
في عمق وكان يتخوف من المواضع التي تكون قبالة السهام ان جرحت عرض
منها نزع دم مهلك أو اذى شديد ويخرج السهم بالدفع اذا نشب في اللحم
وكانت الاجسام التي تستقبلها قليلة ولم يكن هناك شيء يمنع من الشق -
لا عصب ولا عظم ولا شيء اخر يشبه هذه الاشياء ، فان كان المجروح عظما
فانا نستعمل حينئذ الجذب فان كان السهم ظاهراً جذبناه وان كان خفياً
فينبغي كما قال ابقراط ..

ان امكن المجروح ان يصبر نفسه على الشكل الذي كان عليه عندما
جرح فينبغي ان يستدل به على السهم وان لم يسكنه ذلك فينبغي ان يستلقي
على ما يسكنه من الشكل وان يستعمل التفتيش والعصر وان نشب في اللحم
فليجذبه بالايدي أو بخشبتة ان كانت لم تسقط سيما ان لم تكن من قصب
فان كانت سقطت الخشبة فليخرج الزج بكلبتين أو بمنقاش وبالالة التي
يخرج بها السهام ..

وينبغي في بعض الاوقات ان تشق اللحم شقا اكثر اذا لم
يسكن ان يخرج الزج من الشق الاول، وان صار السهم الى قبالة العضو المجروح ولم
يسكن ان يخرج من الجانب الذي منه دخل فينبغي ان تشق تلك المواضع
التي قبالة ويخرج منها اما بالجذب واما بالدفع ان كانت خشبة الزج فيه
وان كانت الخشبة سقطت فليدفع بشيء اخر ويدفع به الزج الى خارج
وينبغي ان لا يقطع بدفعنا اياه عصا او شريانا وان كان للزج ذنب فانا نعلم
ذلك من التفتيش وينبغي ان يوضع ذلك الذنب في انبوب الالة التي بها

يدفع السهم ويدفعه بها فاذا خرج الزج ورأينا فيه مواضع محفورة ويمكن ان يصير فيها حدائد اخر دقائق فليستعمل التفتيش ايضا . فان اصبنا شيء من هذه الحدائد اخرجناه بهذه الحيل . فان كان للزج شعب مختلفة ولم تجب الى الخروج فينبغي لنا ان نوسع الشق ان لم يكن بالقرب من ذلك الموضع عضو تتخوف منه . حتى ان انكشف الزج اخرجناه برفق ومن الناس من يجعل تلك الشعب في انبوب لئلا يخرج اللحم .

ثم ان كان الجرح ساكنا ليس به ورم حار استعملنا الخياطة اولا ثم علاج الذي ينبت اللحم وان كان قد عرض للجرح ورم حار فينبغي ان نعالج ذلك بالتنظيل والاضمدة .

واما السهام المسمومة فينبغي ان تقور اللحم الذي قد صار اليه السهم ان امكن ويعرف ذلك من اللحم من تغيره عن اللحم الصحيح فان اللحم مسموم يكون رديء اللون كسدا وكأنه لحم ميت فان انغرز السهم في عظم اخرجناه بالالة فان منع من ذلك شيء من اللحم فينبغي ان تقوره أو تشقه فان كان السهم قد انغرز في عسق العظم فانا نعلم من ذلك من ثبات السهم وقلة حركته اذا نحن حركناه فينبغي لنا ان نقطع بثقب ثقبا حوله ان كان للعظم ثخن ويتخلص السهم بذلك . فان كان السهم قد انغرز في شيء من الاعضاء الرئيسية كالدماع أو القلب وفي الرئة أو البطن أو الامعاء أو الرحم أو الكبد أو المثانة وظهرت علامات الموت فينبغي ان نستنع من جذب السهم فانه يكون من ذلك قلق كثير ولئلا يصير علينا موضع كلام من الجهالة مع قلة ثقتنا للعليل . فان لم تكن ظهرت علامات رديئة اخبرنا بما نتخوف من العلاج فان كثيرا ممن اصابه ذلك سلم غير رجاء سلامة عجيبة وكثيرا ما يخرج جزء من الكبد وشيء من الصفاق الذي على البطن والشرب والرحم كلها فلم يعرض من ذلك موت على انا ان تركنا السهم ايضا في هذه الاعضاء

الرئيسية عرض الموت على كل حال ونسبنا الى قلة الرحمة وان انتزعنا السهم
قربنا سلم العليل احيانا .

في هذا الكلام لابن سينا يصف فيه شيخ الاطباء وصفا دقيقا في كيفية
التعامل مع السهام والازج التي تصيب مختلف الاعضاء الظاهرة منها
والباطنة وكذلك يحذر من ان تصاب الشرايين أو الاعصاب اذا اخرجنا
تلك السهام وهذا يشل ضنا ان يكون الجراح المعالج والذي يتعامل مع
السهام والازج على معرفة كاملة بالتشريح والا كيف له ان يعلم اذا ما دفع
السهم ليخرجه من الجانب الاخر بانه قد يقطع عصباً أو - شرياناً أو ان يتلف
عضواً مهماً ، وكذا يشير الى تفتيش المنطقة التي وقع فيها الازج . تفتيشا
دقيقا حتى لا تترك بعض من تلك الازج في منطقة الاصابة ليس هذا فحسب
وانما يسبق ذلك بوصف دقيق لمختلف السهام والازج وانواعها والمواد
المصنوعة منها واشكالها واحجامها وهذا ما يجعل الجراح متمكنا اذا ما
تعامل معها ، وكذا يصف علامات السهام المسومة وما تتركه في منطقة
الاصابة من تلف العضلات وتغير لونها وكيف يجب ان يكون تقوير منطقة
الاصابة حتى لا ينتشر السم الى بقية اعضاء الجسم .

وكذا يشير ويوضح الى العامل السلوكي في التعامل مع الجريح المصاب
بتلك السهام التي تصيب اعضاء حيوية يؤدي اخراج السهام الى موت
مفاجيء ومحقق وحتى لا يترك الكلام المجال لالسنة السوء من الجهال
التقول فانه ينصح بعدم اخراج السهام الا في الحالات التي يكون فيها
الجراح بحالة صحية جيدة فان اخراج السهام والازج تعطي نصيبا وان
كان قليلا من الحياة فعلى الجراح ان يقدم على اخراج تلك السهام أو الازج
واعطاء فرصة الشفاء للجريح من تلك الاصابة .

اما علي بن عباس وهو طبيب متسرس ومؤلف بارع ولم يعرف عنه

بأنه قد تعاطى صناعة اليد فهو يشير في كتابه « كامل الصناعة » في الباب الرابع والعشرين في كيفية اخراج الازجة والشوك والسلا :

« اما الازجة والشوك والسلا اذا دخلت في بعض الاعضاء وصارت الى موضع لا يمكن اخراجه بالحديد فينبغي ان يوضع على الموضع الذي قد دخل فيه الزراوند المدحرج مدقوقا ناعما معجونا بالاسق ويلزم ذلك اياما أو يؤخذ اصل القصب الفارسي الرطب ويسحق ناعما ويخلط بعسل ويلزم الموضع أو يؤخذ علك الاثياط وزخت ويذوبان ويخلط معهما آذان الفار مسحوقا ناعما فانه يجذبه ويخرجه الى حيث يمكن اخراجه بالكلبتين وغيرها ونحن نبين في الموضع الذي تذكر فيه العمل باليد كيف يكون اخراج ذلك بالكلبتين^(١) »

وهكذا فان علي بن عباس يتعامل مع السهام والازج تعاملًا طبيًا أكثر من تعامله جراحيا حيث يصف الادوية والمواد التي تساعد اخراج تلك السهام أو الازج ان تعذر اخراجها باليد أو الكلبتين المبردية الرأس أي الآلة الحادة الرقيقة التي تستطيع ان تمسك رأس السهم أو الازج فهو ينصح بالتعامل معها بوضع المراهم والمروخات التي تساعد في اخراجها •

ان الشيخ الطبيب الفيلسوف (ابن سينا) عرف عنه طبيا وفيلسوفًا ورياضيا وشاعرا وسياسيا ولكن لم يعرف عنه جراحا أو انه قد تعاطى الجراحة أو عمل صناعة اليد ، وقد جاءت بعض كتبه شارحة لبعض حالات الجراحات وكيفية معالجتها وربطها - ومعالجة النزف الذي قد يحصل عنها وأكثر ما ذكر ذلك في كتابه الموسوعة (القانون في الطب) حيث افرد لها بعض الفصول العلمية الواضحة الدقيقة في تعبيرها وعلميتها فهو يقول :-

« من الاعضاء - اعضاء اذا وقع فيها جراحة عظم الضرر وقتل في الاكثر وربما لم يقتل في النادر »

(كالمثانة والكلى والدماغ والامعاء والدقاق والكبد مع انه يمكن ان يسلم عليها اذا كانت خفيفة واما القلب فلا يتوقع السلامة مع حدوث جراحة فيه)^(١) .

« واكثر من يعرض له جراحة في بطنه فاذا عرض له تهرع » وتهوع « او فواق أو استغلال بطن مات »^(٢)

هذا وصف علمي دقيق لتناذر الحالات التي تصيب الاسلحة الاعضاء المختلفة المتعارف عليها سابقا من سيف أو سكين أو رمح أو ازجة ، واعطاء لمحة مستقبلية للجريح المصاب ، فاصابة القلب المباشرة قاتلة واصابة الاعضاء الاخرى حتى اصابة الدماغ قد لا تحمل بين ثناياها علامات الموت . وكذا المعدة اذا اصبحت مباشرة وتمزق داخل البطن فان الموت سيلحق بصاحبه المصاب . ومن ثم ينتقل بوصفه الدقيق لشكل الاصابات :-

« الجراحة اللحمية لا تخلو اما ان تكون شقا بسيطا مستقيما أو مدورا أو ذا اضلاع أو شقا من نقصان شيء من اللحم وقد يكون غائرا نافذا وقد يكون مكشوبا ولكل واحد تدبير ويشترك الجميع في حبس الدم وقد جعلنا له بابا وربما كان سيلان قدر معتدل من الدم نافعا للجراحة يسع الورم والتبثير والحمى فان من افضل ما يعني في الجراحات ان تمنع تورمها فانه اذا يعرض ورم تمكن من علاج الجراحة واما اذا كان هناك ورم أو كان رض أو فسخ اجتمع خلله مع الجراحة دم يريد ان يرم أو بتقيح لم يكن معالجة الجراحة ما لم يدبر ذلك فيتعالج الورم »^(٣)

(١) - ابن سينا القانون في الطب ج ٣ ص ١٤٧

(٢) - ابن سينا القانون في الطب ج ٣ ص ١٤٧

(٣) - ابن سينا - القانون في الطب ج ٣ ص ١٤٧

من هذه الاشارات الواضحة الصريحة نستدل على عمق وبعد التفكير ودقة المعرفة والملاحظة العلمية التي كان يتمتع بها الاطباء العرب المسلمون . وتأثير الورم والتقيح على سرعة أو عرقلة شفاء الجرح وكانوا حريصين كل الحرص على الحفاظ على الجراحة من غير ورم - واذا ما حدث الورم أي اذا ما حدث الورم ولعبت الجراثيم فعلتها والتي لم تكن معروفة ولا مكتشفة الا بعد ان اكتشف المجهر بعد ذلك بعدة قرون ولكن هذا الربط العلمي المنطقي الطبي بين الجرح - والورم - والتقيح والحمى وتعذر الشفاء - والى يومنا هذا هي الشغل الشاغل لدى الجراحين والاطباء . في كيفية السيطرة على شفاء الجروح من غير تلوث - من غير قيقح - أي من غير ورم سواء الورم والاحتقان الذي يرافق عملية الشفاء . بالرغم من اكتشاف ومعرفة الجراثيم (الميكروبات) وانواعها وتصنيفها وانواع المجاهر المختلفة المتنوعة ذات التكبير العظيم ومعرفة انواع كثيرة من المضادات - البنسلين - السلفا مع عدد لا حصر له من انواعها ولكن طبق القاعدة المهمة النظافة - نظافة الجرح والتعقيم وحفظ الجرح من غير تلوث - ومن غير ورم ومن غير تقيح وهو مادعى اليه الزهراوي وابن سينا وابن القف وعلي ابن عباس - وجميع من كتب في هذا المجال .

وقد ركز ابن سينا على علاج الورم قبل الاهتمام بعلاج الجرح لوحده « وفي تدبير الجروح ذوات الاورام والالوجاع فتحتاج هذه الجراحات الى الرقق وان يعتقد ان الجراحة لا تندمل البتة ما لم يسكن الورم ولا يتم ذلك الا بما فيه تجفيف وتبريد في اول الامر وارخاء في الثاني وان تستعمل فيه علاج الاورام في الجملة ومما هو خاص بذلك مع عسوم نقصه في كل عضو من الرأس الى القدم وان يأخذ رمانة حلوة فتطبخ بشراب غصص ويضمد الموضع » (١)

(١) - ابن سينا - القانون في الطب ج ٣ ص ١٤٩

وفي تدبير كليّ في جراحات الاحشاء من باطن وظاهر الغرض فيما ينوهم انه شق وصدأ من باطن ان يلحم ولا يترك الدم يجمد في الباطن وان يسع نزف الدم والادوية النافعة في الغرضين الاولين مثل البلاس اذا طبخت في الخل أو يسقى في القنطوريون الكبير واما ما يسقى بسبب منع النزف فمثل وزن دائق ونصف من بزر البنج بماء العسل «^(١)

وهنا يصف ابن سينا علاج الورم (القيح) أي التلوث وكيفية السيطرة عليه وكذا يصف معالجة النزف ويصف حبوب البنج مع العسل •

« واما الجرح والشق الظاهران فقال العالم ، ان انحرف مراق البطن حتى تخرج بعض الامعاء فينبغي ان تعلم كيف يضم المعى ويدخل ، فان خرج شيء من الثرب فيحتاج ان تعلم هل ينبغي ان يربط برباط وثيق أم لا ؟ وهل تخاط الجراحة ام لا ؟ وكيف السبيل في خياطته^(٢) هذا هو العالم والطبيب والفيلسوف وبتواضع العلماء يشير الى العلماء من يسلكون المعرفة (الخبرة العلمية) في الجراحة وصناعة اليد ، ولم يشر صراحة الى اسم ذلك العالم أو الجراح الذي اعتمد عليه »

« والسبب في انتفاخ المعى هو برد الهواء فلذلك ينبغي ان تغمس اسفنجة في الماء الحار وتعصرها وتكمد بها والشراب القابض اذا سخن ايضا كان نافعا في هذا الموضع وذلك انه يسخن اكثر من اسخان الماء ويقوي الامعاء فان لم يحلل هذا العلاج انتفاخ المعى فليستعمل توسيع الجراحة وارفق الالات لهذا الشق الالة التي تعرف بمبط النواصير ، فاما سكاكين البط الحادة من الوجهين المحددة الرأس فلتحذر»^(٣)

(١) - ابن سينا - القانون في الطب ج ٣ ص ١٤٩

(٢) - ابن سينا - القانون في الطب ج ٣ ص ١٥٠

(٣) - ابن سينا القانون في الطب ج ٣ ص ١٥٠

ومن ثم يعطي ابن سينا وصفا جيدا في كيفية خياطة البطن والجروح العظيمة - حيث يقول :-

« وان يكون قصدك دائما ان تجعل الناحية التي فيها الجراحة ارفع من الناحية الاخرى فان هذا امر يعم جميع هذه الجراحات واما حفظ الامعاء في مواضعها التي لها خاصية بعد ان ترد الى البطن اذا - كانت الجراحة عظيمة فتحتاج الى خادم جزل وذلك انه ينبغي ان يمسك موضع تلك الجراحة كيد يده من خارج فيضمه ويجمعه ويكشف منه شيئا بعد شيء للمتولى لخياطتها ويعمد الى ما قد خيط منها ايضا فيجمعه ويضمه قليلا حتى يخيط الجراحة كلها خياطة محكمة ... وانا واصف لك اجود ما يكون من خياطة فاقول :-

« انه لما كان الامر الذي تحتاج اليه هو ان تصل ما بين الصفاق والمراق فينبغي لك ان تبدى فتدخل الابرة من الجلد من خارج الى داخل فاذا انفذت الابرة في الجلد وفي العضلة الذاهبة على استقامة في طول البطن كلها ، تركت الحافة من الصفاق في هذا الجانب لا تدخل فيها الابرة وانفذت الابرة في حافته الاخرى من داخل الى خارج فاذا اخذتها فانفذها ثانية في هذه الحافة نفسها من المراق من خارج الى داخل ودع حافة الصفاق الذي في هذا الجانب وانفذ الابرة في حافته الاخرى من داخل الى خارج ودع حافة الصفاق الذي في هذا الجانب ... »

(وافعل ذلك مرة بعد اخرى الى ان تخط الجراحة كلها على ذلك الحال)

فاما قدر البعد بين الغرزتين فيجب ان يتوخى الاسراف في السعة والضيق ، فاما السعة لاتضبط على ما ينبغي والضيق ينغرز ، والخيط ايضا ان كان وتريا اعان على التغرز وان كان رخوا انقطع فاختر بين اللين

والصلب . وكذلك ان عمقت الغرز في الجلد وان كان ابعد من التغرز الا انه يبقى من الخيط داخل الجراحة لا يلتحم فاحفظ الاعتدال ههنا . . واجعل عرضك في خياطة البطن الزاق « الصاق » الصفاق بالمراق^(١) وكذا يتطرق ابن سينا في كيفية ربط الجراحات مستندا الى عالم في هذا الموضوع وهو مشابه لما جاء به قول الجراح الزهراوي

فهل اعتمد احدهما على الاخرام انهما اعتمدا على مصدر واحد اخر .
« اما الجرح والشق الظاهران اذا اردت ان يلتحما فاعمل بما قاله عالم من اهل هذه الصناعة حيث قال :
« اذا اردت ان يلتحم مثل هذا الشق فالزمه رباطا يبتدىء من رأسين لا غير من الربط فان كان عظيما احتجت ان تلزمه رفائد وان كان الموضع مستلثا احتاج الى الخياطة ايضا والرفائد المثلثة خير في جميع شقة الجرح من المربعة لانها تضبط على الشق فقط »^(٢)
وفيما يخص الادوية فقد تطرق ابن سينا لذكرها تحت فصل في الادوية الملحمة للجراح :

« قد تكون من المعدنيات وتكون من النباتات ومن الحيوانات : ومن المعدنيات مثل الاسفنداج بدهن الاس والشمع ومن النباتات اوراق شجر ورق البلوط الذكر ضمادا وورق الخلاف وورق الكرنب وورق شجر التفاح وقشر لحائه وورق لسان الجمل والحلفاء منقعا بخل أو شيء من شراب وخصوصا اذا خلط به ورق شجر الصنوبر . ومن الحيوانات اللبن الحامض جدا ملصق للجراحات العظيمة »^(٣)

(١) - ابن سينا - القانون - ج ٣ - ١٥١

(٢) - ابن سينا - القانون - ج ٣ - ١٥٣

(٣) - ابن سينا - القانون - ج ٣ ص ١٥٣

والاصابات مهما كانت انواعها واحجامها ومسبباتها ومواقعها فان عامل المهم في كيفية التعامل مع تلك الاصابات - هو النزف الذي يحدث من تلك الاصابات - وهذا ما لم تغفله كافة الكتب والمؤلفات القديمة - ويشير ابن سينا الى ذلك :-

« وان تعلم ان اول ما يجب ان يتفقد ان تعرف هل العرق شريان أو وريد بالعلامة المذكورة فتحفل بالشریان وتعتني به اكثر مما تفعل ذلك بالوريد »

(.....) ويجب ان تعلم انه اذا سحب الجراحة ورم وتعذر كثير من هذه الاعمال فلم يسكن الربط بالخياط ولا ادخال الفتائل ولا الشد العنيف وانما يسكن حينئذ استعمال التغذية والقبض والتخدير وتخثير الدم^(١)

واذا ما اصاب الجراح الاعصاب المحيطة فيشير الى ذلك ابن سينا في فصل في جراحات العصب ما يجري مجراه وقروحها :-

« ان العصب لشدة حسه واتصاله بالدماغ تعرض له من الجراحات - اوجاع شديدة جدا والام عظيمة جدا كالتشنج واختلاط العقل ... وعطش وسهر وجفوف لسان خاصة اذا حدث هناك ورم »^(٢)

وحول الاصابات المختلطة - الجراح مع كسر العظم يقول ابن سينا :-

« واذا اجتمع كسر وجراحة فليرفق المجبر بالجبر رفقا شديدا وليبعد الجبائر عن موضع الجراحة وليضع على الجراحة ما ينبغي من المراهم وخصوصا الزفني وقوم يأمرؤن بان يبدأ بالشد من جانبي الجرح ويترك الجرح مكشوبا وهذا يحسن اذا كان الجرح ليس على الكسر نفسه ثم يجب

(١) - ابن سينا - القانون في الطب ج ٢ ص ١٦٥

(٢) - ابن سينا - القانون في الطب ج ١ ص ١٨٠

ان يكون عليها ستر اخر يغطيه عن الهواء ، وان كان على الكسر فيجب ان يحتال في تشكيل الشد بحبله حتى يقع وينقى من كل جانب ويخلى يسيرا عن الجرح نفسه بهيئة موافقة وتبل الرفائد بشراب اسود غصن وهدء الحية هي ان يوضع طرف الرباط على شفة الجرح ثم يربط الى خلف ويؤتي برباط اخر ويوضع على الشفة الاخرى السافلة ثم يلحم سائر الربط على ما ينبغي . حتى يبقى الجرح نفسه مفتوحا وما عداه مستوثقا منه قد علا رباط ونزل رباط ووقع على موضع الكسر شد شديد ويبقى الجرح مفتوحا لك ان تكشفه متى شئت ذلك ان تجعل على الجبائر ثوبا بحداء ذلك ليصل دواء الجراحة اليها ويسكن اخراج الصديد عنها ويكون ذلك بحيث يمكن التغطية عليهما جميعا بعد ذلك .

فان ترك الجرح مكشوفاً رديء وخصوصا في البرد بل يجب ان يكون غير مضغوط فقط ، واذا صح الجرح استعملت الجبائن ان كانت قد احترت ومكنت الجبارة من ذلك الموضع « (١) »

وفي هذا الوصف العلي عندما يكون هناك تداخل الكسر مع الجرح المفتوح - حيث يشير ابن سينا الى اجراء علي بتجبير الكسر مع ترك المجال مفتوحا لمعالجة الجروح والسيطرة على تنظيفها واخراج القيح الذي قد يتجمع من تلوث الجرح - وهذه طريقة علمية سليمة ومتبعة الى يومنا هذا في علاج الكسور والجروح المختلطة . وفي وصف وعلاج الجراحات وعلاماتها يتطرق اليها علي بن عباس في كتابه كامل الصناعة .

« واذا قلنا عند ذكرنا اصناف الامراض ان تفرق الاتصال اذا كان في اللحم قيل له جرح فاذا تقاوم عهده فمنها ما هي مفردة بسيطة ومنها ما هي مركبة مع غيرها فاما الجراحات البسيطة فهي اما قطع واما شق فقط من

(١) - ابن سينا ج ٣ ص ٢٠٣

غير ان يذهب معه شيء من اجزاء العضو وهذا القصد والتيق منه ما هو صغير ومنه ما هو عظيم مفرد لا يتبعه اعراض بته والتيق العظيم منه ما هو خل ناشف ومنه ما يحدث فيه صديد ووسخ وهذا يكون في القرحة بسبب ضعف العضو عن هضم ما يصل من الغذاء وذلك ان كل عضو له فضلان احدهما لطيفة تنحل من المساء والاخرى غليظة يتولد منها الوسخ على الجلد والصديد الحادث من القروح يكون من الفضلة الرقيقة الغليظة اذا لم تكن الحرارة الغزيرة تلتطفها وتحللها والوسخ يكون من القضة الغليظة وما كان من الجراحات والقروح كذلك فامرهم ظاهر بين ليس يحتاج فيه الى الاستدلال فاما القرحة المركبة فمنها ما هي مركبة مع سبب او مع مرض او مع عرض اما مع سبب فاذا كان هناك مادة تنصب الى القرحة وعلامات ذلك كثيرة الرطوبة في القرحة وسيلانها واما المرض كان من سوء مزاج - ضب وعلامته ان تكون القرحة يابسة قحلة ناشفة واما المرض الالي فمنه مرض نقصان وهو نقصان اللحم في القرحة وسقوط جزء من العضو ومنه مرض تفرق الاتصال بسنزلة قطع العصب وكسر العظم واما تركيب القرحة مع العرض فينزله الوجد الذي يكون معها وكل واحد من القروح البسيطة والمركبة تقاومت وجاوزت لها اربعين يوما قيل لها ناصور لان الناصور على الحقيقة هو ما كان من القروح له غور وفيه ضيق وقعره واسع وفيه لحم صلب ابيض ولا يكون معه وجع وتراها في بعض الاوقات يابسة قحلة وفي بعض الاوقات كثيرة الرطوبة وكثيرة ما تسيل الرطوبة منها دائما وربما انقطعت احيانا وينسد فم الناصور احيانا ينفث وربما انتهت النواصير الى العظم فعفنته وربما انتهت الى عصب او الى عرق والى بعض الاعضاء الشريفة فأكلتها واما بتجويفاتها فربما كان بتجويفها يستد الى استقامة وربما مر على تأريب وتعويج وربما كان الناصور الواحد له افواه كثيرة وفيما ذكرنا من نوع تفرق الاتصال الذي يكون في اللحم اغني الجراحات والقروح كفاية لمن اراد ان

يعرف اختلاف آخوه يعالجها سواء على ما ينبغي

وفي هذا الكلام الذي بدأ فيه علي بن عباس عن الجروح وتوابعها
ولم يذكر عرج بعد ذلك في وصفه أصبي وشرحاته وتوابعه وحمون
القيح - ولا غرابه في ذلك وهو الضيب والذي لم يتعد الجراحة أو صناعة
اليدين كرس جده وعنه كتب ومسار - ضيب وهكذا جاء شرحه للجروح
من وجهة نظر طبية خالصة .

وفي الجروح التي تشل جدار البطن وخروج المعى يتصرف اليه علي
بن عباس - وهو يمزج عنه أصبي الكبير ببعض عنه النظري في الجراحة .
إذا وقعت جراحة بالبطن وخرقت الصفاق وخرج المعى والثرب -
فينبغي أن تنظر فإن كان قد نال الموضع ورم وانتفخ فضع موضع بشراب
أسود قابض مسخن حتى يذهب الورم والنفخ فإن لم تجد هذا الشراب
فبل اسفنجة حارة وضد بها المعى والثرب فإن النفخ يذهب وتعالج الورم
بما يسكن فإذا فعلت ذلك فكبس الثرب والمعى إلى داخل فإن كان الهواء
بارداً فينبغي أن تدخل العليل الحمام وتعلقه بيديه ورجليه حتى ينجذب
فهرده إلى أسفل وإن لم يسكن دخول الحمام فيسرخ الموضع بدهن بنفسج
وشع مغتر ثم رم ادخال المعى والثرب فإن لم يدخل ذلك وكان قد بقي من
النفخ فينبغي أن تزيد في الشق وتوسعه قليلاً بمقدار ما يدخل المعى والثرب .
واعلم أنك متى لم تدخل المعى والثرب من يومه فإنه يخضر ويسود فينبغي
أن تقطع ما قد اخضر واسود بعد أن تربط العروق والشرابين التي فيه
بخيطة أبريسم دقيق على ما وصفت لك في رباط الشريان الذي في الاصدغ
وغيره ثم تقطع ما تريد قطعه وادخل المتبقي إلى داخل ثم خيط مراق البطن
بخيطة معتدل فيما بين الصلابة واللين فإن الخيط الشديد الصلابة ربما
خرق الجلد والشديد اللين ينقطع ولتكن الخياطة عقداً متقاربة ، ولا تكن

(١) - علي بن عباس - كامل الصناعة ج ١ ص ٢١٥

الفرز قريبة من حافة الجرح فينخرم ولا يعيده من حافتيه فيستنع من انضمام الشفتين وان تغرز الابرة من خارج الجلد في العضلة التي على المراق في الصفاق من داخل العضلة ثم تخرج الابرة الى خارج ثم تسد الخيط وتعقده ثم تقطعه ثم تغرز الابرة في موضع آخر قريبا من ذلك وتفعل مثل ذلك الى ان تأتي على الجرح كله وتذر عليه الذرور الاصفر وتشده بالرفائد اياما»^(١)

وفي هذا الوصف يناظر وصف ابن سينا مع وصف علي ابن عباس - ويشابهه الى حد كبير وصف الزهراوي •

فاذا علمنا ان هذه الاسفار التي وصلتنا في الطب والجراحة تناولت بكثير من الدقة والتفصيل مختلف اصابات الحرب وجراحها ومضاعفاتها واستخراج السهام والازجة بل ووصف جميع انواع الاسلحة لتعطي معلومات وافية للمعالج لنوع السلاح واوصافه واسلوب اخراج كل نوع من تلك الانواع لعلنا بان اطباء والجراحين كانوا على بينة كاملة علميا وعمليا عندما يتناولون علاج الجراح واصابات الحروب وتدارك اخطارها ومضاعفاتها وتقرحاتها حيث نحن نعلم وحتى يومنا هذا بان قلة بل اقل من القلة هم الذين يسجلون علومهم وممارستهم وخبرتهم اما الغالبية العظمى فانهم وان كانوا على علم ومعرفة جيدة في ممارسة صناعتهم الطبية والجراحية ويزاولونها سلما وحربا من غير ان يسجلوا تلك العلوم اما لكثرة مشاغلهم ، حيث لم يسمح لهم وقت العمل لخط خبراتهم أو انهم على معرفة جيدة علميا ونظريا ولكن لا قدرة لهم على الكتابة وقسم اخر قد سجل بعض تلك الملاحظات ولكن جاءت عليها ويالات اصحابها من حرق أو تلف أو تأكلها الايام ، ولم يصلنا منها الا القليل الذي يلقي الضوء الكامل والدليل الواضح على انتشار العلوم العسكرية وكل ماله علاقة بالاسلحة واصابتها ومضاعفاتها واساليب علاجها وعلاج اخطارها ومضاعفاتها •

(١) - علي بن عباس - كامل الصناعة ج ٢ ص ٤٨٢

المستشفيات الحربية

• يذكر التاريخ غير المر يسير عن مستشفيات سوء رعاية مهد
والعسكرية •

كان الصراع متوحداً وانتشار دول تسوقد والحروب
• تخدم فترة لا وشتت وأرغم من جميع وذكر الكثير عن الأسماء
بدائي والعصر الحجري والبرونزي والحديدي وما كان يستعمل الأسماء
في هذه العصور من سحرة وأدوات يدافع به عن نفسه جيد وعملي على
الآخرين في كثير الأحيان عند بل آثار ورسوم الكهوف به تصور كثيراً
الأدوات المعدنية التي كانت شائعة ومستعملة على مر العصور •• هي كل
هذه الأشياء ؟ هي كانت هناك دول غنية ؟ وهي كانت مستشفيات ؟

هذا ما نجده كتب التاريخ وحجرت عن أن تدونه وهذه الحضارات في
القوة والنفوذ والتخيل الوخشيّة من بني الإنسان •

في بلاد الرافدين مهد الحضارة الانسانية وبعدها حضارة وادي النيل
وقبلهما حضارة الجزيرة العربية ، وربما كانت جميعاً حضارات بادت
وانقرضت وجاءت بعدها حضارات الصين والاغريق ..

ولكن لم تحدثنا قصص الاولين عن الدور الانساني الذي عاشه
الانسان الاول ، الدواء ، الطب ، المستشفيات ، نعم هناك غزوات ، ومعارك
واجتياح جيوش ، وخطط قد تكون كذبا أو صدقا أو انها محرفة على ما
يهواه المنتصر ولكن هناك تأريخ !! وهناك أوليات يمكن الرجوع اليها
وتحليلها واستنطاقها ، اما ما هو دور الجراحة والطب في هذه الحروب ،
وكيف كان يعامل الجرحى وكيف يسعفون وينقلون ، بل ولفظون انفسهم
الاخيرة ، أو ان تطحنهم ماكنة الحرب وتسحقهم سنابك الخيل ...

ان أول خيمة طبية هي تلك التي امر بها الرسول الكريم (ص) التي
نصبت في ساحة المسجد وعولج فيها سعد بن معاذ اما قبل ذلك ، لا نعلم
شيئاً ، وعدم معرفة الشيء ليس بالدليل القاطع على عدم وجوده ، توجد
اشياء واشياء كثيرة ، ولا نعلم عنها شيئاً ولم تدونها كتب التأريخ ولا قصص
واساطير الاولين .

وما بعد الاسلام - صدر الاسلام ، الخلفاء الراشدون ، الامويون ،
العباسيون بلاد الاندلس ، المغرب العربي ، في هذه الفترات المتلاحقة ،
المتعاقبة المتداخلة نلاحظ ، مع استقرار التأريخ وقلة ماحدثنا في المجال الذي
نبحثه فيما يتعلق ، بالمستشفيات ، والمستشفيات الحربية بشكل خاص ،
والطب العسكري ، نلاحظ ... ان القادة والسلاطين الذين اهتموا ببناء
المستشفيات : الوليد بن عبد الملك ، عضد الدولة ، صلاح الدين الايوبي ،
نور الدين زنكي .. ابن طولون ...

وقد اتاحت المستشفيات الفرصة للأطباء العرب ، للتعرف على الامراض ،

وانواع العلاجات . والجراح . وتطوير معلوماتهم وخبراتهم العلمية
والنظرية . وكثرت المستشفيات الثابتة والمتنقلة من مكان الى آخر وقد
زودت بما تحتاجه من الادوية والادوات .. ونشأ هذا النوع من المستشفيات
نتيجة لاسباب كثيرة في مقدمتها الحروب وضرورة معالجة المصابين بسرعة
تقليل الخسائر . وكذا في منع انتشار الاوبئة والامراض في المناطق
السعيدة . (١)

نعود مرة اخرى الى تلك الخيمة التي نصبت في ساحة المسجد كنواة
لأول مستشفى ميدان مسجلة في التاريخ .
وكانت فيه مشرفة تقوم بخدمة الجرحى (٢)

وأول المستشفيات المسجلة في الاسلام والمسجلة في بطون الكتب
المستشفى الذي بناه الوليد بن عبد الملك سنة (٩٨ هـ - ٧٠٦ م) وقد جاء هذا
موافقا لكثرة الفتوح الاسلامية في عهد هذا الخليفة ، وقد كثرت المستشفيات
في ايام الخلافة العباسية بدأ بها هارون الرشيد ، والمعتضد ، والمقتدر ومعز
الدولة ، وصلاح الدين الايوبي ..

بنى صلاح الدين المستشفى الناصري في القاهرة ويمارستان
الاسكندرية وعست المستشفيات في سائر الاقطار وخصوصا في ايام الايوبيين
والمماليك في الشام والعراق ، وسورية ، وفلسطين خاصة للحاجة الملحة
التي اوجدتها الحروب الصليبية فامتلأت مدن الشام في ايام الايوبيين
والمماليك بالمستشفيات من انطاكية شمالاً الى غزة جنوباً وكان اشهرها

(١) - د . ياسين خليل ص ٦٣

(٢) - الدكتور حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام ج ١ ص ٥١٢

بيمارستان النوري الكبير في دمشق بناه نور الدين محمود سنة (٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م) (١)

وفي مصر اهتم اكثر الخلفاء والحكام بالطب وبناء المستشفيات واشهرهم ولعا بذلك ابن طولون الذي اهتم بالشؤون الصحية ، وهو الذي بنى المارستان للرضى في ارض المعركة وقسمه الى اقسام جعل كلا منها ٠٠٠ خاصا بفرع من فروع الطب سنة ٦٥٩ هـ . وجعل له حمامين واباحه للناس على اختلافهم من غير تمييز بالاديان والمذاهب (٢)

وان صلاح الدين الايوبي في القاهرة قد اختار احد قصوره الفخمة وحوله الى مستشفى كبير سمي المستشفى الناصري واتقى في اختياره ذاك قصرا بعيدا عن الضوضاء .

وقد وصف الرحالة المعروف ابن جبير اثناء زيارته القاهرة سنة ٥٧٨ هـ - ١١٨٣ م هذا المستشفى بانه قصر رحب يديره مدير مقتدر ويلي المدير امناء يسهرون على راحة المرضى ليلا ونهارا ويعطونهم الغذاء والجرعات الموافقة . (٣)

وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلاطين والجيش كل اسباب الرفاهية التي كانت تتوافر في قصورهم وكانت تفتح ابوابها للفقراء ولكل ابناء الشعب بدون تمييز فعندما انتهى المستشفى المنصوري في القاهرة طلب السلطان المنصور (قلاوون) قدحا من العصير من المستشفى فشربه وقال :

(١) - امين اسعد خير الله الطب العربي ص ٨٤

(٢) - الدكتور حسن ابراهيم حسن ج ٣ ص ٣٩٢

(٣) - الدكتور احمد الشطي - العرب والطب - ص ٩٨

« اني وهبت هذا المستشفى الى اندادي واتباعي وخصصته للحكام
والخدم . للجنود والامراء . للكبار والصغار . للاحرار والعبيد للرجال
والنساء على السواء » (١)

وفي ابيارستان العضدي المنسوب الى عضد الدولة والذي اشار
الى بناءه الرازي وكان اول ساعور له - أي انه كان اول مدير لادارة ذلك
المستشفى وكان فيه من الجراحين أبو الخير وأبو الحسن بن تقيح وجماعته
ومن المجبرين أشار اليهم (أبو الصلت) (٢)

وقد ذكرت المصادر المتوفرة التي وصلت اليها وخلصت من غوائل
الدهر وصروفه ومانجا من كتب التاريخ بأوراقه بعد ان سلخت الظروف جلده
وما اضيف اليها من كتاب التاريخ المحدثين - ان هناك عدة انواع من
المستشفيات أولها المستشفيات الثابتة - وهي كثيرة ومتنوعة ومنتشرة هنا وهناك
في أرجاء الدولة الاسلامية المتباعدة الاطراف .

والمشافي المتنقلة - وكانت هذه ايضا على انواع منها مشاف للاسعاف
الاولي ومشاف حربية ومشاف محمولة . فمشافي الاسعاف الاولى ما ذكر
منها على غرار خيمة رفيدة في غزوة الخندق . ومشاف محمولة تنقل عند
حدوث اوبئة وامراض في مناطق لا تتوفر فيها مشاف ثابتة .

المشافي الحربية

اهتمت الدول الاسلامية بجيوشها واستحدثتها ونظمتها على اسس
رصينة بعد ان امتدت الفتوحات وعظمت تلك الجيوش - وبخاصة بعد الخليفة

(١) - زيفريد هونكة ص ٢٢٩

(٢) - ابن ابي اصيبعة ص ٣٤٩

الثاني - الفاروق عمر بن الخطاب (رض) ومن جملة الاهتمامات والعناية بالجرحى فقد ادخلت الطبابة والصيدلة والبيطرة وجعلته من صميم تنظيم الجيش ، وبعدها شكلت المستشفيات العسكرية المرافقة للجيش حيث كان للجيش مشاف حربية يشرف عليها جراح خاص ملحق بالخليفة وما يذكر في هذا المجال ان (ابن مطران) كان مقرباً من صلاح الدين الايوبي ورافقه في كل حروبه وكانت له خيمة حمراء تشبه خيمة صلاح الدين ولها مدخل كبير تعرف به وكانوا يحولون الجرحى الى النساء لتسريضهم اذا اتاح لهم الحظ ان يعيشوا وكانت هذه المستشفيات متحركة تنقل على ظهور الجمال والبغال ولذلك يمكن القول بانه كان للجيش مستشفيات خاصة بها تشبه وحدات الميدان الطبية وكانت النساء تقوم بتسريض الجرحى من الجنود حتى يشفوا . (١)

ومن المستشفيات والمستوصفات السيارة التي تناقلت اخبارها كتب التاريخ - بيمارستان السلطان محمود السلجوقي الذي كان يحمل على اربعين جبلا وبيمارستان الوزير شمس الملك نظام الملك الذي كان يحمل الاته وخيشه وادويته والاطباء والغلمان والمرضى مائتان من الجمال . (٢)

وكان للجيش اطباء مخصصون ما عدا اطباء الخليفة والقادة والامراء وكانت هذه المستشفيات متحركة تنقل على ظهور الجمال والبغال وتشير اغلب المصادر مرة اخرى الى المستشفى الذي كان يستصحب جيش السلطان محمود السلجوقي المحمول على اربعين جبلا .

وكانت النساء تقوم بتسريض الجرحى من الجنود حتى يشفوا وفي ذلك الوقت بالذات كانت خدمة الجرحى في جيوش اوربا تقع على عاتق

(١) - الدكتور احمد الشطي - العرب والطب ص ٩٥

(٢) - ناجي معروف - اصالة الحضارة العربية ص ٣٤٥

زملائهم أو تسند الى المومسات اللاحقات بالجيش^(١)

بينما كان العباسيون اذا جهزوا جيشا ارفقوا معه الاطباء لمداواة الجرحى والمرضى وارفقوا الصيادلة لتركيب الادوية واعدادها •

وكان عدد الاطباء عظيما جدا حتى ان بغداد وحدها كان فيها من الاطباء في خلافة المقتدر في أول القرن الرابع للهجرة ٨٦٠ طبيا •

وكان منهم من خاص بالجند يقيم معه اذا قام ويرافقه في جميع اسفاره وخدماته الفعلية وكان للجيش العباسي مشاف سيارة - يحملونها على الجمال والبغال^(٢)

البيمارستان المحمول (المتنقل)

وهو المستشفى الذي ينقل من مكان الى مكان بحسب ظروف الامراض والابوئة وانتشارها وكذا الحروب وكان هذا النوع من المشافي معروفا لدى خلفاء العرب والاسلام وملوكهم وسلاطينهم واطبائهم بل الراجح ان يكونوا هم أول من انشأه وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم المرضى ومداواتهم من اطعمة واشربة وملابس واطباء وصيادلة وينقل من بلد الى آخر من البلدان الخالية من المستشفيات الثابتة ••

ومن المشافي المتنقلة التي كان يستعملها السلاطين في تنقلاتهم وحروبهم ما رواه ابن خلكان وابن القفطي حيث قالوا •••

(١) - امين خيرالله ص ٧١
المقريزي ج ٢ ص ٢٤٠ ، ابن خلكان ج ١٠ ص ٢٧٤ ، ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٢٤٠

(٢) - ابن الاثير ج ٧ ص ٦٠
طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٢٢
وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧٤
الجندي في الدولة العباسية - نعمان ثابت ص ١٦٤

ان ابا الحكم المغربي عبدالله المظفر بن عبدالله المرسي نزيل دمشق
كان ضييا بيمار ستان متنقل يحمله اربعون جملا^(١)

وأول من فعل ذلك الوزير علي بن عباس ثابت ابن الجراح في ايام
الخليفة المقتدر باشارة من سنان بن ثابت ابن قره سنة ٣٣٥هـ رئيس اطباء
بغداد حيث ارسل توقيعا يقوم له فيه ..

(فكرت - مد الله في عمرك - فيمن بالسواد من اهله وانه لا يخلو
من ان يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الاطباء
فتقدم - مد الله في عمرك - بانفاذ متطبين وخزانة من الادوية والاشربة ..
يطوفون بالسواد ، ويقىمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الى مقامهم
ويعالجون من فيه ثم ينقلون الى غيره)^(٢)

ثم اتسع نطاق المستشفيات النقالة فكانت تصحب الخلفاء والملوك في
تنقلاتهم ، كما كانت تصحب الجيوش وكان السلطان الظافر برقوق (سنة
٨٠١هـ - ١٣٨٩م) يصطحب مستشفى محمولا كبيرا جدا .

وكان احد ارياض قرطبة « ضواحيها » في الاندلس يدعي ربض المرضى
لكن لايرد ذكر صريح للمستشفيات في الاندلس وفي المغرب^(٣)

وقد اشار امين اسعد خيرالله الى هذا النوع من المستشفيات وذكر
بانها تنقل الى الامكنة المختلفة حيث لا يوجد اطباء ولا سيما في القرى
المجاورة للمستشفيات فيعالجون المرضى عامة^(٤)

(١) - الدكتور احمد الشطي - العرب والطب ص ٩٥ ، ٩٦

(٢) - ناجي معروف ص ٣٤٩

(٣) - عمر فروخ ص ٢٩٣

(٤) - امين اسعد خيرالله ص ٧٠

وكذا اشارت المستشفرة « هونكة » بان هذه المستوصفات المتنقلة
المحصولة بين القرى والى جانبها مستوصفات خاصة بالجنود^(١)
وتطرق الى هذا النوع من المستشفيات - احمد عيسى في حديثه عن
تاريخ البيمارستان في الاسلام وقال :-
هو المستشفى الذي ينقل من مكان الى اخر حسب الحاجة بالنسبة
الى مقتضيات العمل عند انتشار الامراض والابوئة أو بسبب الحروب^(٢)
وينقل عادة من مكان الى اخر ومن بلد الى بلد حيث لا يوجد
بيمارستانات ثابتة أو التي يظهر فيها وباء أو مرض معد واتسع نطاق
استعمالات هذه المستشفيات فكانت تصحب الخلفاء والملوك في سفراتهم
ورحلاتهم كما كانت تصحب الجيوش في حالة الحرب^(٣) .

-
- (١) - زيفريد هنكة ص ٢٣١
(٢) - احمد عيسى - تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١١
(٣) - فروخ - تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٩٣
مصطفى السباعي - من روائع حضارتنا ص ١٤٤
حكمت نجيب عبدالرحمن - دراسات في تاريخ العلوم ص ٧٥

الطب العسكري في الحروب الصليبية

كانت الحروب الصليبية احد منافذ الحضارة التي انتقلت فيها الحضارة والعلوم من العالم العربي الاسلامي الى ربوع اوربا قاطبة - جاءوا غزاة طامعين مخدوعين بتحرير ارض فلسطين من الظلم والظلام الاسلامي واذا بهم يجدون الانسانية والعدل ونور العلم مشعة في المشرق الاسلامي فنهلوا من علومها واستفادوا من حضارتها ونقلوا من كتبها الى عالم اوربا السادر في ظلامها الدامس وهمجيتها القديمة ونزاعاتها التي لا منقطع لها •

والتخلف في العلوم احد مظاهر اوربا انذاك وبخاصة العلوم الطبية والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والهندسة •

ففي عام ١٢١٨ سحب الطبيب الجراح هوغو البولوني من اعمال ايطاليا فرسان الله « كما ادعوا » الايطاليين وحل معهم في الارض المقدسة • وكان قد بلغ السبعين من عمره بعد ان امضى في خدمة سلالة البورغونينيون حكام مقاطعة لومبارديا في ايطاليا لقاء اجر ينيف على الستائة ليرة •

وكان عليه ان يصحب فرقة بولونية - مقاطعة في ايطاليا - الى الحرب
ومن ثم حضر حصار دمياط وما نتج عنه من ازمة جوع وبرد وتفشي
الامراض كافيا ليشغله شغلا دائما اضافة الى الجرحى الذين تكدسوا من
المعركة مع جيش السلطان العتيد .

وظل هوغو فون نوكا يضمد جراح مواطنيه ويجبر كسورهم باسالييه
البسيطة مدة ثلاث سنوات . وكان يرى ان كثيرا من الاسباد يفضلون
الذهاب الى جانب الاعداء للتداوي بالرغم من زجر الكهنه لهم وتحريم
رجال الكنيسة ، ولم ينفع معهم لا وعيد ولا تهديد .

وفي خلال هذه السنوات الثلاث ، توافرت له اكثر من مناسبة للتعرف
على هؤلاء الجراحين المسلمين الذين كثر فيهم اندح والذم في آن واحد ،
ورؤية عظمتهم وزيارة مستشفاهم العسكري الذي كان يحمله الى ساحة
المعركة ثلاثون أو اربعون جبلا .

ان ما رآه هوغو في معالجة الجروح كان بمثابة الصدمة له ، ورأى في
لحظة واحدة خطأ ما تعلمه واخذه عن ابقراط - وكأنها حكمة منزلة - وشاهد
البنيان السالف ينهار لحظة واحدة - فد تعمود عن ابقراط من ان القيح
الجيد المرغوب منه مفيد وتغطية الجروح بالمواد الزلالية وعسليه رعاية القيح في
الجروح ... لم يكن هذا الا اخفاء فحشة في الضب دفع ثمنها الكثيرون
حياتهم واثبت الاطباء والجراحون العرب خطأها ويجب تجنب الجروح
القيح جهد المستطاع .

حيث كان الاطباء المصريون يدأون الجراح بنجاح كبير حين يلفونها
بضادات ساخنة مشبعة بالخبرة القوية ويتركونها على حالتها غالبا خسة
أو ستة ايام تشفى بعدها بسرعة وكأنها لم تكن . وقد اثبتت الابحاث
المعاصرة بان الخبرة المركزة المعتقة خالية من الجرائم ومعقة للجروح .

حتى جراح الاعصاب والشرابين كانت تتماثل للشفاء بوساطة هذه الوسائل .

لقد لاحظ هوغو بأم عينيه كيف ان الاطباء العرب كانوا يعمدون الى تخدير الجرحى بالحشيش ونبات السيكران وغيرها قبل ان يلجأوا الى البضع - يبضعون طرفا من اطرافهم دون ان يشعر هؤلاء الجرحى بالألام قط ..

وعاد هرعو الى وطنه عام/١٢٢١م وقد تفتحت افاقه العلمية ومداركه وكان قد بلغ من العمر منتهاه ومع هذا سعى الى نشر معارفه الحديثة بين قومه - وسلك مسلك العرب في كثير من فنون التداوي - فنال شهرة واسعة وسعى اليه القوم من كل حذب وصوب للاستفادة من علومه الحديثة التي تعلمها من الشرق وفتحت فتحا جديدا للمعرفة والعلوم الطبية والجراحية كما انه علم ابناءه واحفاده على ما قد تعلمه من العرب - واوصاهم بمنع كل التهاب وكل تقيح لدى معالجتهم الجروح . وحثهم على معالجة الكسور بطرق سهلة واستعمال التخدير عن طريق الاسفنجة المخدرة لدى العمليات الجراحية^(١)

ولما مرض الملك الانكليزي رتشارد (قلب الاسد) اكبر خصوم صلاح الدين بعث اليه صلاح الدين الايوبي طبيبه الخاص لمعالجته ، ورفه عنه بان ارسل اليه الفواكه والثلج^(٢)

وكان انشاء المستشفيات في اوربا خلال القرن الثالث عشر ناتجا عن اثر الحروب الصليبية فقد كانت هذه المستشفيات - كما يقول الدكتور (ميرهوف) :-

(١) - هونكة - شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

(٢) - القاضي بن شداد - النوادر السلطانية ص ١٥٨

محمد العروس المطوى - الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١١١

« على ما يبدو تقليدا للمستشفيات الفخمة التي شاهدها الصليبيون في الشرق »^(١)

ومن الاطباء الذين نالوا شهرة واسعة في الطب وشاركوا في الحروب الصليبية - هو « موفق الدين عبداللطيف البغدادي » وهو أبو محمد عبداللطيف بن اللباد الموصللي البغدادي ولد عام ١١٦٢م ودرس في كتب ارسطو وجاء الى مصر في ايام ابن سناء الملك ، ثم سافر الى القدس والتحق بحاشية صلاح الدين الايوبي ، وعين له راتبا ثلاثين دينارا في الشهر ولكنه وبعد موت صلاح الدين عاد الى مصر واخذ يجلس للتدريس في الجامع الازهر »^(٢)

وللمقارنة بين ما بلغ اليه الطب العربي الاسلامي في فترة الحروب الصليبية ومستوى الطب لدى الجيوش الصليبية الغازية وانحطاط علومهم ومعرفتهم الطبية ما رواه المقاتل المعاصر لتلك الفترة « اسامة بن منقذ » عن عجب طب الصليبيين في كتابه - الاعتبار - :

ان صاحب القنيطرة - الصليبي - كتب الى عمي يطلب منه انقاذ طبيب يداوي مرضى من اصحابه - فارسل اليه طبيبا نصرانيا يقال له : ثابت : فما غاب عشرة ايام حتى عاد فقلنا :-

— ما اسرع ما داويت المرضى !!

قال :

— احضروا عندي فارسا قد طلعت في رجله دملة وامرأة قد لحقها - نشاف ، فعملت للفارس لبيخة ففتحت الدملة وصلحت ، وحميت المرأة

(١) - زكريا هاشم زكريا ص ٤١٧

(٢) - الدكتور رمزي مفتاح - كلية الطب - احياء التذكرة (في النباتات الطبية والمفردات العطارية ص ٤٩)

ورطبت مزاجها ، فجاءهم طبيب افرنجي فقال لهم :

— هذا ما يعرف شيئا يداويهم

وقال للفارس :

— ايما احب اليك تعيش برجل واحدة أو تسوت برجلين ؟ !

قال المريض :

— بل اعيش برجل واحدة !

قال مدعي الطب الصليبي :-

— احضروا لي فارسا قويا وفأسا قاطعا •

فحضر الفارس والفأس وانا حاضر ، فمد ساقه على قرمة خشب

وقال للفارس :

— اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها فضربه وانا اراه ضربة

واحدة ما انقطعت وضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق ومات من ساعته •

وابصر المرأة فقال :

— وهذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها احلقوا شعرها ؟

فحلقوه وعادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل فزاد بها النشاف •

فقال :

الشيطان قد دخل في رأسها فاخذ الموس وشق رأسها صليبا وسلخ

وسطه حتى عظم الرأس وحكه بالملح ، فماتت في وقتها فقلت لهم :

— بقى لكم اليّ حاجة ؟

قالوا •

— لا ؟

فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم اكن اعرفه :
من هاتين انطريفتين الطبيتين ندرك مدى الفرق الشاسع
بين ما كان يتمتع به الاطباء العرب من معرفة طبية واسعة
وادراك لنوع الاصابات والالتهابات الموضعية وكيفية مداراتها
ومعالجتها بالاسلوب التحفظي الى ان ينضج الخراج ويفتح لا ان
يقطع - وحتى يومنا هذا والنصيحة الطبية لمثل هذه الحالات هو معالجتها
تحفظيا الى ان تنضج ومن ثم تفتح اذا لم تفتح بالبائخ ..
وكذا تلك المرأة التي اصابها النشاف ، وقد عالجها الطبيب العربي
بحذر ومنع عنها الاطعمة التي تزيد من وطأة مرضها وتحسنت حالها الى ان
جاء الطبيب الصليبي - فاعتقد بدخول الشيطان الى رأسها وعالجها بالمشروط
وعجل بوفااتها .^(١)

وقد جاء هذا الحديث في كتاب (الاعتبار) لمؤيد الدولة وأبو مظفر
اسامة بن منقذ بن مرشد الكناني المولود في قلعة (شيزر) على نهر العاص
في ٢٧ جمادي الاخر سنة ٤٨٨هـ الموافق ٤ تموز سنة ١٠٩٥م وقد سماه
والده بهذا الاسم تيمنا باسم اول قائد عربي عهد اليه امر فتح الشام .
كما وان مذكراته الموسومة بكتاب (الاعتبار) ما هي الا مرآة تتجلى
فيها المدينة الشامية والفروسية الاسلامية .
عاش اسامة بن منقذ فارسا شهيدا محارباً شجاعاً صرف اولى ايام شبابه
في البلاط النوري بدمشق وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة ، وبعض
كهولته في دار الاتابكة بالموصل ..

حيث عايش احداث القرن الثاني عشر الميلادي التي شملت الغزوات
الصليبية الثلاث الاولى ، وشهد من الحروب اكثرها ودون طرائفها في

(١) - اسامة بن منقذ - الاعتبار ص ١٣٢

تحقيق فيليب حتى ١٩٣٠ جامعة بريستون

زيغريد هوتكه - شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢١٥ ، ٢١٦

مذكراته « الاعتبار » وكيف عالج العرب المسلمون جرحاهم وما وصفوه من علاج اثناء الضرب والطعان والاشخاص الذين اصابوا وعولجوا وتم شفاؤهم فجاء كتابه وثيقة مهمة لتبرهن على الدور المهم الذي مارسه الاطباء المسلمون في معالجة الجرحى الذين من الله عليهم بالشفاء التام - وسنسرده هنا بعض القصص معتمدين على كتاب الاعتبار مباشرة في نقل هذه القصص والنوادر الطبية الطريفة . ومما رواه المقاتل العربي اسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار عن طرائف تخص الجرحى ومعالجة واسعاف هؤلاء المصابين والتي تلقي الضوء الكاشف على قدرة الاطباء والجراحين العرب في معالجة مختلف اصابات الحرب بشكل جيد وشاف لأغلب تلك الاصابات يقول :-

— اننا كنا التقينا نحن وشهاب الدين محمود بن قراجا صاحب حماة ذلك الوقت - وكانت الحرب بيننا وبينه والمواكب واقفة والطراد بين المتسركة . فجاء الي رجل من اجنادنا وفرساتنا المعدادين يقال له جمعة من بني نسير وهو يبكي .

فقلت له :

— ما لك يا ابا محمود ؟ اهذا وقت بكاء ؟

قال :

— طعني سرهنيك بن ابي منصور !

قلت :

— واذا طعنك سرهنيك اي شيء يكون ؟

قال :

— ما يكون شيء الا يطعني مثل سرهنيك !؟ والله ان الموت اسهل عليّ من ان يطعني لكنه استغفني واغتالي ! ؟ فجعلت اسكنه واهون الامر عليه ، ولكنه ردّ رأس فرسه راجعا .

فقلت :

— الى اين يا ابا محمود ؟

قال :

— الى سرهنك - والله لاطعنه او لأموتن دونه •

فغاب ساعة ، واشتغلت انا بمن مقابلي ، ثم عاد وهو يضحك فقلت :

— ما عملت ؟

فقال :

— طعنته والله ، ولو لم اطعنه لفاظت روحي فقد حمل عليه في جمع من اصحابه فطعنه وعاد^(١)

وهذه تروي لنا حماسة الجندي الذي يطعن في المعركة ويأسف ان الذي طعنه دون مستواه القتالي ولكن يضد جرحه ويتحمل الامة ويهجم على عدوه ليثأر لنفسه ويعود منتصرا مرتاح النفس بعد ان طعن الذي طعنه بالذات •

وقصة اخرى يرويها ، اسامة في كتابه عن كردي يقاتل لجميل عليه فيقول :-

« ومن الناس من يقاتل للوفاء فمن ذلك ان رجلا من الاكراد يقال له فارس وكان كاسمه فارسا واي فارس ، فحضر ابي وعبي رحمهما الله وقعة كانت بينهما وبين سيف الدولة خلف بن ملاعب حمل عليهم فيها وغدر بهم وقد حشد وجمع وهم غير متأهبين لما جرى •

وسبب ذلك انه راسلهم وقال :-

« نمضي الى اسقونا وفيها الفرنج نأخذها »

(١) - اسامة بن منقذ - الاعتبار - ص ٣٦

فسبقه اصحابنا اليها وترجلوا وزحفوا الى الحصن ثقبوه •

وهم في القتال وابن ملاعب وصل فاخذ خيل من كان ترجل من اصحابنا ووقع القتال بينهم بعدما كان للافرنج واشتد بينهم القتال :

فقاتل فارس الكردي قتالا عظيما وجرح عدة جراح وما زال يقاتل ويجرح حتى اثنى بالجراح وانفصل القتال فاجتاز به ابي وعمي رحمهما الله وهو محمول بين الرجال فوققنا عليه وهناه بالسلام فقال :-

« والله ما قاتلت اريد السلامة لكن لكم عليّ جميل وفضل كبير وما رأيتم في شدة مثل هذا اليوم فقلت اقاتل بين ايديكم واجازيكم عن جيلكم واقتل قدامكم »^(١)

ومن ثم تم نقله وعلاجه وقضى الله سبحانه انه عوفي من تلك الجراح •
اضرب هذا المثل للاشارة الى اسلوب علاج الجراح المتطور الذي يعالج فيه المقاتل والذي يشن بالجراح ويشرف على الهلاك - ولكنه ينقل الى محل يعالج فيه ويمن الله عليه بالشفاء •

ومن الاساليب المتبعة في الجراحة كذلك مارواه اسامة في كتابه هذا حيث قال :

« وجرح عمي عز الدولة رحمه الله في ذلك اليوم عدة جراح منها طعنة طعنها في جفن عينه السفلا من ناحية المآق ونشب الرمح في المآق عند مؤخرة العين فسقط العين وسقط الجفن جميعه وبقي معلقا بجلده من مؤخرة العين ، والعين تلعب لا تستقر ، وانما الجفون التي تمسك العين •
فخاطها الجرائحي وداواها فعادت كحالتها الاولى لا تعرف العين المطعونة من الاخرى »^(٢)

(١) - اسامة - الاعتبار ص ٩٥

(٢) - اسامة بن منقذ - الاعتبار - ص ٥٥

هكذا كان الطب والجراحة لدى العرب المسلمين ابان الحروب الصليبية
رجل يطعن عدة طعنات ويعالج من غير تلوث أو التهاب - وطعنة العين وبعد
ان تخرج وتبقى معلقة بالماق - يعاد علاجها وخياطتها وتعدو لا فرق بينها
وبين العين السليسة - فانها لجراحة تجميلية متقدمة ودقيقة ان يتم شفاؤها
من غير ان يصيبها التلوث والتقيح وكذا يروي اسامة عن والده وقال :-

« وكان الوالد - رحمه الله - كثير المباشرة للحرب وفي بدنه جراح
هائلة ، ومات على فراشه » (١)

يباشر الحروب ويجرح كثيرا ويعالج ويتم شفاء تلك الجراح وبعدها
يسوت مينة طبيعية لمرض لا علاقة له بالحرب والجراح •

ويروي حادثة اخرى عن طعنة نجلاء اصاب صدر المقاتل واخرقت
ذلك الصدر واعتقد الجميع بانه سيموت ولكنه يعالج ويشفى ، وكما جاء
في كتاب الاعتبار •

بان الفارس يسلم بعد ان قطع شريان قلبه وقال ، وشاهدت فارسا من
رجالنا يقال له ندى بن تليل القشيري • وكان من شجعاننا ، وقد التقينا نحن
والافرنج وهو معرى ما عليه غير ثوبين فطعنه فارس من الافرنج في صدره
فقطع هذه العصفورة التي في الصدر وخرج الرمح من جانبه •

فرجع وما نظنه يصل منزله حيا ، فقدر الله سبحانه ان سلم وبرأ جرحه
لكنه لبث سنه اذ نام على ظهره لا يقدر يجلس ان لم يجلسه انسان باكتافه
ثم زال عنه ما كان يشكوه وعاد الى تصرفه وركوبه كما كان (٢)

ليس هذا بدليل واضح ان يتسكن الجراح من معالجة مثل هكذا جريح

(١) - اسامة بن منقذ - الاعتبار - ص ٥١

(٢) - اسامة بن منقذ - الاعتبار - ص ٤٢

يَحترق الرمح صدره ويعتقد القوم بأنه سيسوت ولكن يعالج الجراح وينام على ظهره ويمن الله عليه بالشفاء •

ورجل يصارع القوم وينازلهم وهو بساق واحدة جاء في كتاب الاعتبار •

— انه كان في اصحابنا من بني كنانة رجل أسود يقال له علي بن فرج طلعت في رجله حبة فتخبث وتناثرت اصابعه وانتت رجله فقال له الجرائحي :-

— ما لرجلك الا القطع والا تلفت •

فحصل عنده منشارا ونشرها حتى قطعها من نصف ساقه وداواها فبرأت • وكان رحمه الله من اجل الرجال واقواهم • فكان يركب وفي سرجه ركاب واحد وفي الجانب الاخر سير تكون فيه ركبتة ويحضر القتال ويطاعن الفرنج وهو على الحال ، وكنت اراه رحمه الله لا يستطيع رجل يشابهه ولا يقايسه^(١)

نروي هذه القصة لتوضيح خبرة الاطباء والجراحين العرب بتشخيص الحالات العفنة واحتمال امتداد الالتهاب الى بقية الساق واعضاء الجسم — وهكذا نصحوه بالقطع — وتم قطعها بنجاح وامان — ومن ثم يصاغ الى تأهيل المصاب لاستعمال ركوب الخيل ومنازلة الرجال والتغلب عليهم وصنع ركاب خاص بالساق المقطوعة وان تثبت بسير للحفاظ على الموازنة اثناء الصدام والمبارزة مع الفرسان •

ومما رواه اسامة عن خياطة الجراح في رجل ظن انه مات لكثرة جراحه فقال :

— فانتني رأيت يوم تقاتلنا نحن والاسماعيلية في حصن شيزر وذلك بعد

(١) — اسامة بن منقذ — الاعتبار ص ١٤٦

فراغنا ذلك اليوم من القتال صاح انسان من جانب الحصن « الرجال »
وعندي جماعة من اصحابي معهم سلاحهم فبادرنا الى الذي صاح فقلنا
« مالك ؟ »

فقال :-

— احس الرجال هاهنا ، فجئنا الى اصطلب خال مظلم فدخلناه فوجدنا فيه
رجلين معهما سلاحهما فقتلناهما ووجدنا رجلا من اصحابنا مقتولا •
وهو على شيء فرفعناه ووجدنا تحته رجلا من الباطنية قد تسجى ورفع
المقتول على صدره ، فحملنا صاحبنا وقتلنا الذي تحته ووضعنا صاحبنا
في الجامع بالقرب من ذلك المكان وفيه جراح عظيمة ولا نشك انه
ميت •

وكان المسكين اجتاز بذلك الاصطلب فسمع حسا ، فادخل رأسه
ليحقق السماع فجذبه واحد منهم وضربوه بالسكاكين حتى ظنوا انه قد
مات • ففضى الله سبحانه ان خيطة تلك الجراح في رقبته وفي جسمه وعاد
من الصحو الى ما كان عليه • فتبارك الله مقدر الاقدار وموقت الاجال
والاعمار^(١) وفي هذا دليل - وبعد حكمة الباري - ان الطب والجراحة
كانت على مستوى عال من القدرة والكفاءة ليتمكنوا من خياطة الجراح
وشفاء الجريح بعد ان اثخنت الجراح فيه وظن انه ميت لا محالة •

وقصة اخرى يرويها ويدل فيها على قدرة الباري عز وجل وامكانية
الجراحين وقابليتهم في اجراء العمليات الدقيقة • حيث قال :-

شاهدت ما يقرب ذلك وهو ان الافرنج لعنهم الله اغاروا علينا ثلث
الليل الاخر واصبحت انا واقفا في - بندر فنين - قرية عند المدينة فرأيت
ثلاثة شخوص مقبلة ! اما اثنان فكالناس واما الوسط فما وجهه كوجوه

(١) - اسامة بن منقذ - الاعتبار - ص ١٦٢

الناس . فلما دنوا واذا الوسطاني منهم قد ضربه افرنجي بسيف في وسط
اذه ففقط وجهه الى اذنيه . وقد استرخى نصف وجهه صار على صدره ،
وبين النصفين من وجهه فتح قريب من شبر وهو يشي بين الرجلين فدخل
البلد وخاط الجرائحي وجهه وداووا فالتحم الجرح وعوفي وعاد الى ما كان
عليه الى ان مات على فراشه . وكان يبيع الدواب ويسبي ابن غازي المشطوب ،
والناسي المشطوب بتلك الضربة (١) .

فانها لجراحة تجميلية متقدمة ان يخاط الوجه بهذه
الدقة والمعرفة بعد ان شق سعه أو بصره ويسارس عمله بالتجارة
والبيع ، ويتكلم اسامة عن نفسه فيقول ، فلا يظن ظان ان الموت يقدمه
ركوب الخطر ولا يؤخره شدة الحذر . فني بقائي أوضح معتبر ، فكم لقيت
من الاهوال وتقحمت المخاوف والاضطراب ولاقيت الفرسان ، وقتلت الاسود ،
وضربت بالسيوف وطعنت بالرماح وجرحت بالسهام .

وانا من الاجل في حصن حصين الى ان بلغت تمام التسعين فرأيت
الصحة والبقاء (٢)

وقد اشار الدكتور امين اسعد خيرالله في كتابه - الطب العربي - بان
معارف الاطباء في الجيوش الصليبية قاصرة جدا وكانت دليلا - واضحا على
تقهقر اوربا في العلوم والطب ازاء تضلع العرب في ذلك العصر وطالما لجأ
الامراء من الصليبيين الى اطباء العرب - وخصوصا النصارى منهم .

وقد اشار الكاتب الانجليزي السير ولترسكوت في روايته
« الظلمسان » الى احترام الامراء الصليبيين لاطباء العرب (٣)

(١) - اسامة بن منقذ - الاعتبار - ص ١٦٣

(٢) - اسامة بن منقذ - الاعتبار - ص ١٦٣

(٣) - الدكتور امين اسعد خيرالله - الطب العربي ص ٢٢٧

الطب العسكري في المغرب العربي

لم ينفصل المغرب العربي عن مشرقه ولا شرقه عن غربه - وانما كان هناك اتصال دائم وترايط وثيق في اللغة والتنقل والتاريخ والسياسة والعلوم والحضارة - مهما تقلبت الاجواء السياسية وتباينت العلوم وتغير الحكام في هذا القطر أو ذاك وفي هذه البقعة أو تلك من ارجاء الوطن العربي ...

فكان هناك تجاوب مستمر وتفاعل وانتقال لمختلف ضروب المعرفة بين الشرق والغرب العربي - فما يحدث في شرق الوطن يتجاوب له غربه • وما يكتب في غرب الوطن يتلاقفه ابناء الشرق - وهكذا كان هناك تفاعل وتلاحم مستمران على مدى الازمان والاحقاب التي مرت على عالمنا العربي ..

وكانت وسائل وعوامل كثيرة اثرت في ذلك التفاعل والتلاحم والانصهار الحضاري على مدى الايام - التنقل وراء الكلا والتجارة والقوافل التي تقطع بطاح الصحراء وتلال الرمال ..

وكانت الحروب والغزوات والفتوح احدى تلك الوسائل التي تنقل معها المعرفة والعلوم والثقافة والطبائع والعادات بالقدر الذي تحمل معها القوة والحقد والخراب وسفك الدماء والدمار .

وتسير مع الجيوش الغازية أو المحررة أو القاصدة وراء الكلا والمرعى سواء اتجهت من الشرق الى الغرب أو من الغرب الى الشرق - الجبال والبال والدواب وهي تحمل المؤن وعدة الحرب المتيسرة انذاك من رماح وسيوف وسهام ...

وكذا تحمل معها الاطباء والمضمدين والآسيات .. ولفافات الضماد - والكثير من النباتات الجافة واوراق الاشجار وربما جذورها اليابسة لاستخدامها في تضميد الجراح ومعالجة المرضى .

وبهذا الانتقال - من محل الى اخر - ومن منطقة عربية الى منطقة عربية اخرى كانت تنقل معها الخبرة والمعرفة - بين تلك الجيوش - المتحاربة المتناحرة والاقوام الغازية .

ومثلما نمت وترعرت المعارف الطبية ، وضمادات الجراح في الشرق العربي ووسط الجزيرة العربية بالانتقال عبر الاجيال وعن الاباء والاجداد في العشيرة والواحدة والقبيلة الواحدة - فقد اقتبسوا واكتسبوا من مخالطتهم للاقوام الاخرى .

وحدث مثل هذا التطور وانتقال المعرفة في مغربنا العربي وبخاصة ان الكثير ممن سكن المغرب العربي هم اقوام وقبائل عربية نزحوا من الجزيرة العربية واتخذوا من شمال افريقيا موطناً ومقاماً لهم .

ونقلوا معهم بداية معرفتهم بضماد جروحهم واخراج السهام وقطع النزيف وجبر العظام .

وهكذا كان - في المغرب العربي كما كان في مشرقه اناس من المنتسبين الى علوم الدين ومن رجال الجيش يتعاطون شيئا من التطبيب بما عرفوه من التجربة وبما اخذوه بالتقليد الموروث .

ومن جملة هؤلاء المتطبيين الذين وردت اسماءهم في كتب التراجم والسير مثل - ابي العرب - والمالكي - والدباغ - وابن ناجي ضمن التعريف بهم . فيقول ابن ناجي مثالا في ترجمة ابي الاسود موسى القطان .

« كان فقيه البدن يعني طبيا »

حيث اطلق في المغرب العربي على هؤلاء المتطبيين - فقهاء البدن - واحدهم - فقيه البدن - وكذا في ترجمة وحمان بن معافي ونصر بن فتح وسواهم .

وليس من شك ان مثل هؤلاء المتطبيين كانوا موجودين بين الاجناد يباشرون المرضى والجرحى من المقاتلين في ميادين الغزوات والحروب . وان كنا لا نعرف الكثير عن مدى معلوماتهم الطبية ولا عن وسائل علاجهم غير ما ذكرنا عن خبرتهم بالفصد والكبي وجبر العظام المكسورة وبما القوه من المعالجة من قديم الزمان . وبديهي انه كان يوجد فقيهاء البدن - في المدن العربية في الشمال الافريقي مثيلات للرجال المتطبيين ، وهن من نساء العرب الفاتحين ومن جاء بعدهم من العرب ، فكن يعالجن ازواجهن وغيرهم من المصابين من اقاربهن بتضميد الجراحات بالاعشاب المناسبة والعقاقير المألوفة مما ورثن من خبرة وتجربة عن امهاتهن وعجائز العشيرة ..

ومن بديهيات التكوين الانساني ومنذ ظهور الانسان على سطح الارض وحى يومنا هذا كان ولم يزل ان من وظيفة المرأة بل ومن رسالتها الكبرى في المجتمع هو تسريض الاولاد والاقارب ..

قالام هي المعينة لمعالجتهم في الصغر وحتى في الكبر لما اودع الله في صيغتها من الصبر والاناة على ذلك ولما خصتها الطبيعة به من عاطفة الحنو والشفقة والرفقة في تعاملها مع الاطفال والمرضى^(١)

ومثلما نشأ الطب وتطور بهذا الشكل وقد ادى ذلك الى نشوء المشافي التي كانت تضم المرضى والجرحى وكانت تسمى (البيمارستانات) ومثلها الدار التي انشئت بالقيروان في ناحية تسمى (الدمنة) تقرب من المسجد المعروف بمسجد السبت ، وصار علما فاقصر في تعريفه .. على كلمة (الدمنة) واسقط اسم (بيرستان) أو (مرستات) وربما عرف بأسم (حارة المرضى) .

وقد عرف من نشاط الامير (زيادة الله الاكبر) انه كان في مقدمة من زار من الامراء مؤسسة (الدمنة) وهو الباني الاول لمرستان .. القيروان ، وهو أول من اقدم على اتخاذ مدينة سوسة (دار صناعة) لتجهيز الاساطيل الحربية ، ومن هذا الاعمار والاصلاح بالقضايا الحربية والانسانية واهتمامه باقامة مرستانا في تلك المدينة لايواء المرضى من العسكر البحري وكان هذا في حوالي العقد الثاني من القرن الثالث للهجرة^(٢) .

وان لم تصل تفاصيل اكثر عن نوع الخدمات التي قدمت للعسكر البحري (القوة البحرية) في ذلك الوقت والفحوصات التي كانت تجري

(١) - حسن حسني عبدالوهاب - المعالم ٢ : ٢٣ ، ٢ : ٢١٨
٢ : ٢١٤

ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية - مكتبة المنار - تونس ١٩٦٥

(٢) - حسن حسني عبدالوهاب - ورقات الحضارة العربية بافريقية ص ٢١٤

لأولئك الذين ركبوا البحر ومجروا أعناقهم وحاربوا العزاة والظامعين فلما
لا يعرف شيئاً عن الأضياء الذين خدموا في تلك المستشفيات - وتلقوا واقع
حال العمود في عالم العربي الإسلامي - من معرفة واسعة وعمود الضم
والعسفة والجراحة والتشريح .

وقد تحدث (ريشو) عن اهتمام الأضياء في المغرب بالتشريح والعيسين
جراحة - حيث لاحظ أن هذه العيسين لا تستخدم في الغالب عن ذبوع
مخطرة لتدرة الاستعصاءات الناتجة عن التعفن أو الاصداء والتقيح .
واسعمل الأضياء مغاربة في - تضييد القروح الزيت المغلي أو القصران
ساخن والحناء والفحم وصنع الصنوبر لأستئصال جراثيم التعفن .

وعند حدوث نزيف يستعملون لايقفاف الدم الصوفون
والساحيق المستحضرة من اليقطين ودقيق الفسول والنفافات
تلقظ على موضع النزف ، فإذا أعيأهم الأمر حاولوا الالتئام
بخطاة حافتي الجرح في شكل منحرف وكذلك يطجئون في
كبي العرق أما بقضيب محشي وأما بقطعة خشب محصاة ثم يضرر الجرح
بالتجاوى^(١)

ومن هذه الملاحظات التي أبداء الكاتب (ريشو) نجد أن الأضياء
والجراحين المغاربة يتحرون ويسدكون نفس المنهج العربي في الحفظ على
الجراح من التلوث ومنع تقيحها والحد من عمل الجراثيم وأن لم يعرفوها
وأنما كانت تجاربهم وملاحظاتهم هي المحاكاة والدليل المنطقي لأعمالهم التي
عسدوها في الحفاظ على جراح مقاتليهم من أن تتلوث وتعفن - وخير
ما يمنع التلوث هو الاستوب الذي كان شائعاً في الجزيرة العربية وامتد إلى
المغرب العربي - قبل الإسلام وبعده - هو النار - والكبي بالنار - بي
استوب - الكبي المباشر أو الزيت المغلي أو القصران الساخن والفحم وصنع
الصنوبر .

(١) - عبدالعزيز بن عبد الله - الطب والأطباء بالمغرب ص ٧٠

وهذا المنهج العلاجي الذي اعتمدته الجراحون والاطباء المغاربة هو
من النهج الذي سلكه الاطباء العرب في الجزيرة العربية والعراق وسوريا
وفلسطين في منع التلوث والحفاظ على الجروح نظيفة بعكس ما كان يحدث
في اوربا الصليبية التي كانت تشجع تفرح الجروح وتلوثها وترعى صديد
الجروح - والتي اودت بالاف من جرحاهم *

وكذا سيطرتهم على وقف نزيف الدم من الجروح برش المساحيق
المعقمة المستخلصة من نباتات معينة لها خاصية وقف النزيف ووضع
اللفافات والضادات فوق تلك الجروح وعدم خياطتها * لهو دليل علمي على
ادراك اهمية ترك تلك الجروح مفتوحة بالعنق حتى يتم تنظيفها وشفائها
بالعنق بدلا من الاهتمام بالعلاج السطحي للقطع وترك اعناق الجرح على
التعفن والالتهاب - الا اذا تعذر وقف النزيف - واشتد الخطر على الجريح
فانهم يلجأون الى خياطة حافتي الجرح - ولكنهم بنفس الوقت يارسون
اسلوبا علميا اخر بكى الجرح بقضيب حديدي بعد ان يسخن بالنار أو بجمرة
نار خشبية ، وبعدها يضم الجرح وفي هذا ضمان للسيطرة على الجرح
معقما ونظيفا بعد ان يتم كي الجرح - وبهذا يتم تعقيم المنطقة قبل ضمادها *

ولم يغفل الاستاذ (رينو) الاسلوب الذي يخفف به الجراحون
المغاربة آلام الجرحى قبل اجراء العمليات الجراحية او كي الجرح أو خياطة
الجروح ، فهو يشير الى تبنيج المريض اثناء العمليات الجراحية ، وقد اشار
(رينو) الى ان الاطباء المغاربة كانوا يستعملون نباتا .. وهوب عشب
مخدر^(١)

واسبانيا الاسلامية - كانت الجزء المتم للمغرب العربي ومن ثم
للمشرق العربي - بالثقافة والحضارة والعلوم وقد وصف وقارن الاستاذ

(١) - عبدالعزيز بنعبدالله - الطب والاطباء بالمغرب ص ٣٧

(دربير) الحال بين العالم المسيحي بحال العالم العربي الاسباني في ان حضارة - العرب في اسبانيا وقال :-

« كان الفلاح المسيحي الاوربي اذا اصابته حادثة او فاجأته الحصى يسرع الى ضريح اقرب قديس انتظاراً لحدوث معجزة تشفيه . واما العربي الاسباني فكان يعتمد على تعليمات ضية ومشرط وتضسيد جراحه »

ان الذي نريد ان نتعرض له في موضوعنا هذا ونرغب في ان نبحت في ابعاده المتسيرة هو الطب العسكري والخدمات الطبية التي قدمت للجيش المتحاربة وبكل تأكيد تأتي الجراحة في المقام الاول في معالجة الجروح وقطع النزيف وفي مقدمة هؤلاء الاطباء والجراحون الذين عملوا في المستشفيات المدنية فهم كثيرون واكثرهم من عمل في الخدمات العسكرية وبين المقاتلين ولكن من سجل ملاحظاته منهم وارااه العلية وكيف كان يعمل الطبيب والجراح هم القلة بل ومن الندرة بكان ولم يصل اليها من تلك العلوم والاثار الا ما تناقلته تلك الكتب وقد ذهبت الايام باكثرها ولم تبق منها الا القليل ..

ويأتي في مقدمة الاطباء والجراحين والكتاب الذين سجلوا علومهم ومعرفتهم الجراح العربي الاندلسي (ابو القاسم الزهراوي) المتوفى سنة /١٠١٣م احد مواطني الزهراء بالاندلس ، حيث بلغت الجراحة ذروتها في دنيا الحضارة الاسلامية وهو النابغة ليس في دنيا الاندلس او دنيا العرب فحسب بل في ارجاء العالم في ذلك الوقت وبخاصة في مؤلفه (التصريف لمن عجز عن التأليف) .

وهو الموسوعة الطبية المهمة في العلوم الطبية وبخاصة فيما يخص علم الجراحة حيث كانت الفصول التي تبحت علوم الجراحة والالات الطبية

المستعملة في الجراحة سواء ما كان معروفا قبله والتي اضافها هو ووصفها وطرق استعمالها - وظل مبحثه هذا - العسدة في الجراحة معتمدا في اغلب المستشفيات الاندلسية والاوربية حتى القرن السادس عشر ويشمل هذا الفصل على صور توضيحية لالات الجراحة - « اكثر من مائتي آلة جراحية » كان لها اكبر الاثر فيمن اتى من بعده من الجراحين الغربيين وفي هذا الخصوص يقول عالم وظائف الاعضاء « هالر » :-

— ان جميع الجراحين الاوربيين الذين ظهوروا بعد القرن الرابع عشر قد نهلوا واستقوا من هذا المبحث^(١)

وقد قال احد الجراحين الغربيين :-

« لا شك في ان الزهراوي اعظم طبيب في الجراحة العربية وقد اعتمدته واستند الى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى - وهو أول من ربط الشرايين وعالج الشلل - وأول من استعمل خيوط الحرير في العمليات الجراحية »^(٢)

وقد ساعدت جهود (ابي القاسم) اكثر من اية جهود اخرى في هذا الميدان على رفع مستوى الجراحة العسكرية والعامة في اوربا المسيحية كما يعترف بذلك كل من كتب في الموضوع •

حيث ترجم « جيرار الكريسوني » مبحثه في الجراحة واصبح أول كتاب تعليمي في اوربا زهاء خمسة قرون نرى ان تعاليمه في الجراحة بقيت يانعة حية مزدهرة زمنا طويلا، واثرت وتفاعلت مع جهود جميع الجراحين الذين ظهوروا في وقته وعاصروه وعند كل من جاء بعده حتى عصر (امبرواز باري) المتوفى ١٥٩٠ م •

(١) - جلال مظهر ص ٢٣١ ، ٢٣٢

(٢) - عبدالعزيز بن عبد الله - الطب والاطباء بالمغرب ص ٨٢

وفد طغت اساليبه الجراحية وطرقه العلمية على طرق التجريبيين
المحدثين^(١)

وقد اعترف جميع الكتاب المنطقيين المنصفين والذين كتبوا بسوسوعية
وتجرد . بأن اسبانيا الاسلامية كانت الدولة الوحيدة في اوربا التي كانت
تباشر فيها الجراحة بواسطة جراحين اطباء في حين ظلت الجراحة في اوربا
في ايدي الحلاقين حتى العصر الحديث . وفي هذا الصدد يقول الاستاذ
« كامبل »

« كانت الجراحة في اسبانيا في القرن الثالث عشر تستع بسعة اعظم
من سمعتها في باريس او لندن أو ادنبره ، ذلك ان ممارسي مهنة الطب في
سرقطة كانوا ينحون لقب (طبيب - جراح) للجراح المتخرج وقابل
للممارسة الطبية والجراحية

بينما كان لقبهم في اوربا حلاق - جراح

وقد ذكر العلامة الاميركي « فكتور روبنسن » بانه كان في طليطلة
ووحدها ما يزيد على اربعمائة مستشفى^(٢)

ولم يذكر التفاصيل عن تلك المستشفيات لبيان حجمها اهي عمومية أم -
اختصاصية - ولكن وبكل تأكيد وما يبييه المنطق ان الكثير من هذه
المستشفيات - أو اجزاء منها قد خصصت للاغراض العسكرية ، ولخدمات
الجند بعد الحروب والغزوات لتدبير الجروح المتبقية وكذا لفحص ومعالجة
الاجناد .

جاء في وفيات الاعيان - لابن خلكان - ان ابا الحكم عبيدالله الباهلي

(١) - جلال مظهر ص ٢٣٣ ، ٢٣٤

(٢) - جلال مظهر ص ٢٣٦

(٣) - عبدالعزيز بنعبدالله ص ١٤

كان طبيب البيارستان الذي كان يحمله اربعون جبلا وكانت هذه
المستشفيات تجهز بجميع ما يلزم المرضى ، وتطوف بالبلدان النائية التي
لا توجد فيها مستشفيات ثابتة والتي يظهر بها وباء أو مرض معد
أو حروب^(١)

فاذا كانت هناك مستشفيات ميدانية متحركة ترافق الجيوش وتنقل من
مكان وقت الحروب والغزوات ، فلا بد من تواجد مستشفيات ثابتة لفحص
ومعالجة الاجناد - وقت الراحة والسلام والتدريب والاستعداد للحروب .



(١) - جلال مظهر ص ٣٥٠
وفيات الاعيان ج ص

معجم الاسماء

٨ ، ٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،
٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧٤

٣٥

٢٠

١٥٨ ، ١٧

٥٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٥ ،

١٧٦ ، ١٧٨

٩١

٥٠ ، ٥١

٦٤

٥٨ ، ٧٧

٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ،

١٠٢ ، ١٧٨

١٣٥

١٠ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ،

١٥٦ ، ١٦٣

٥٢ ، ١٧٨

١٧٥

٥٢ ، ٧١ ، ٢٧

الرسول (محمد ٠ ص) :

ابرهه :

ابراهيم :

ابقراط :

ابن ابي اصيبعه :

ابن ابي الحديد :

ابن ابي رمثه التميمي :

ابن ابي سيره :

ابن اسحاق :

ابن الاثير :

ابن التلميذ :

ابن القف :

ابن القفطي :

ابن جبير :

ابن جلجل :

٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤	ابن حجر :
١٢٦ ، ١٧٨ ، ٢٠٢	ابن خلكان :
٨٨ ، ٥٤	ابو داود :
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠	ابن سعد :
١٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٣٦ ، ١٥٦	ابن سينا :
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢	
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧	
١٦٨ ، ١٧١ ، ١٨٤	
٦٠ ، ٦١	ابن شهاب :
١٧٣ ، ١٧٥	ابن طولون :
٨٨	ابن عباس :
٤٠ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٧٤	ابن عبدربه :
١٩٣	ابن غازي المشطوب :
٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٧	ابن قميئه :
٥٤	ابن ماجه :
١٧٧	ابن مطرات :
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧	ابن هشام :
١٩٦	ابن ناجي :
١٧٦	ابو الحسن بن تفياح :
٩٥ ، ١٠٣	
١٣٥	ابو حسن هبة الله :
١٥٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٢	ابو الحكم المغربي :
١٧٦	ابو الخير :
١٧٦	ابو الصلت :
١٩٦	ابو العرب :
١٣٤	ابو الفتوح التواني :
٦٠	ابو اليسر :
٦٦ ، ٦٥	ابو برده :
٦٠ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٢٣	ابو بكر الصديق (ر . ض) :
٥٩	ابو جعفر :
١٢٥	ابو جعفر المنصور :

٧٣	ابو هريرة :
٨٧ ، ٦٣	ابو دجاجة :
١٠١	ابو جهل :
	ابو حشمة :
٦٦	ابو زعنه :
٧٦ ، ٧٥	ابو مسيكة الايادي :
١٠١	ابو سفيان بن حرب :
١٢٢	ابو سماك الاسدي :
٩٤ ، ٩٣	ابو طلحة :
١٠٩	ابو عبيد الثقفي :
١٠٧ ، ٩٩	ابو عبيدة عامر بن الجراح :
٧٢	ابو محجن الثقفي :
١١	احمد توفيق :
٥٣ ، ٤١ ، ٣٨	احمد حسين القرني :
٨٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٥٥	احمد شوقي الفنجري :
١١٦ ، ١١٥ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١	احمد عادل كمال :
١٨٠ ، ٥٣	احمد عيسى :
٨٥	احمد محرم :
١٨٤	ارسطو :
٣٥	الرياض :
٩٥	اسامة بن زيد :
١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٤ ، ٧٦	اسامة بن منقذ :
١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩	اسحق :
٣٦	
٤١	اسد بن حزيمة :
١٢٨	اسد بن يزيد :
١٠٢	اسماء بنت يزيد :
٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥	اسيد بن خضير :
٣٠ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٠	اشور بانيبال :
١٣١ ، ١٢٩	الافشين :
٩	الاسكندر :
١١٥	الاعور بن قطبة :
٩٦ ، ٩٤ ، ٩١ ، ٨٨ ، ٥٤	البخاري :
٨٨	القعقاع بن الحكيم :

١١١ ، ١٠٣	البلاذري :
٨٨	الترمذي :
١٢٣	الجاحظ :
١٠٣ ، ١٠٠	الحارث :
٦٠ ، ٥٠	الحارث بن كلده الثقفي :
١٢٣	الحجاج :
١٢٤	الحكم بن ابي الحكم الدمشقي :
٦٣ ، ٥٧ ، ٥٦	الحمزة (رض) :
١٩٦	الدباغ :
١٧٦ ، ١٣٣ ، ١٢٨	الرازي :
٨٨	الربيع بنت معوذ :
٤٩	الزباء :
١٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،	الزهرابي :
١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٢ ،	
١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٠١	
٣٦	السيد عبدالعزيز السالم :
٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٩	الشاطبي :
٥٣	الشفاء بنت عبدالله :
٥٢	الشمودل بن قباب الكعبي :
٦٧	الطفيل بن النعمان :
١٧٩	الظاهر برقوق :
١٨٣	ابن شداد :
٥٠ ، ٤١	القرني :
١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١	المأمون :
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١	المثنى بن حارثه الشيباني :
٤٣	المرتضى :
١٣١ ، ١٢٥	المعتصم :
١١١	المعنى بن حارثه الشيباني :
١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٢٥	المقتدر :
١٧٤ ، ١٧٨	المقريزي :

١٠١	المغيرة بن شعبة :
٥٠	النبي صالح (عليه السلام) :
٧٤	النظر بن الحارث :
١١١	النعمان بن مقرن :
١٩٦	المالكي :
٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٥٩ ، ٥٧ ، ٥٦	الطبري :
٩٥ ، ٩٠ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٧٨ ، ٧٦	
١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤	
١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٣	
٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥	الواقدي :
٧٤ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٦	
٨٨	ام رمثة بنت عمر بن هشام :
١٢٨	الوليد بن طريف الشاري :
٥٦	الوليد بن عتبة :
١٢٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤	الوليد بن عبد الملك :
١٠٧ ، ١١١	اليقوبي :
٩١	ام ابراهيم (زوجة النبي) :
	ام الحارث الانصاري :
٨٩	محمد * ص)
٩٧	ام الضحاك الانصارية :
٩٦ ، ٩٥ ، ٦٢	ام ايمن :
١٠٢	ام حبيب العاص :
١٠٣ ، ١٠٢	ام حكيم بنت الحارث المخزومية :
٩١	ام زياد الاشجعية :
٦٢	ام سعد بنت سعد بن الربيع :
١٠٠	ام سلمة (زوجة النبي محمد * ص) :
٩٢	ام سليط :
٩٤ ، ٩٣ ، ٦٢	ام سليم بنت ملحان بن خالد :
٩٢	ام سنان الاسلمية :
٥٣	ام عطية الانصارية :
٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٢	ام عمارة :
١١٦	ام كثير (زوجة همام بن الحارث) :
١٠٣	ام موسى بن نصير :
٩٢	ام كلثوم :

ام منيع بنت عمرو بن عدى بن ٩٧
سنان

امين اسعد خيرالله : ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٣

ام منيع بنت عمرو بن عدى بن ٩٧
عنان :

امرواز باري : ٢٠١

امية بنت قيس ابي الصلت : ٨٩

اميمة بنت ابي بشر بن زيد : ١٠١

انس بن مالك : ٩٣ ، ٩٤

اوس بن حجر : ٤٨

ايبرس : ٢٢ ، ٢٣

بابك : ١٢٩

باتروكلوس : ٣٣ ، ٣٤

بحيته بنت الحارث : ٨٩

بركة بنت ثعلبة (ام ايمن) ٩٥ ، ٩٦

بشير بن سعد : ٧٢

بلتياي : ٣٠

بني سليم : ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٦

بور بيليوس : ٣٣

بيل ابني : ٣٠

بني العباس : ١٢٧ ، ١٢٨

بني امية : ١٢٢

بني عامر : ٦٩

بني قريضة : ٧٠

بني مرة : ٧٢

بجير : ١١٥

بني كنانه : ١٩١

تومان : ٢٦

ثابت (طبيب مسيحي ارسله ٨٤

صلاح الدين الايوب الى الافرنج

لعلاجهم) :

ثابت بن قرة : ١٧٩

ثبيته بنت حنظلة الاسلمية : ٩٣

جالينوس : ١٢٧

١٢٨	جبرائيل بن يگثشوع :
٥٢ ، ٤٨	جرجي زيدان :
٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١	جلال مظهر :
١٨٨ ، ١٨٧	جمعة بن حميد (ابو محمود) :
١٠٠	جندب بن عمرو :
٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٣ ،	جواد علي :
٦٠ ، ٥٨	
٣٥ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٠	جوزيف جارلند :
١٠٠	جويرة بنت ابي سفيان :
٢٠١	جيرار الكريموني :
٧٠ ، ٦٩	حبان بن قيس بن العرقه :
١١٥ ، ١١٤	حاجب بن زيد :
١١٩	حذيقه :
٥١ ، ٤٨	حذيم :
٤٩	حزيمة الابريشي :
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٧٤ ، ١٧٥	حسن ابراهيم حسن :
١١	حسن الدبوني :
١٩٧	حسن حسين عبدالوهاب :
٢٠	حسن كمال :
١٨٠ ، ٥٣	حكمت نجيب عبدالرحمن :
٥٠ ، ٥٨	حماد :
٩٠ ، ٦٢	حمته بنت جحش :
٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣	حمورابي :
٣٦	حنين بن اسحاق :
١٩٦	حمان بن معاقي :
٥٤ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٩٩ ،	
١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،	خالد بن الوليد :
١٠٠	خالد بن سعيد :
١٠٩	خالد بن هلال :
٦٧	خراش بن الصمه :
١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦	خولة بنت الازور :
ص ٩١	خديجة ام المؤمنين :
ص ١١	خلف رشيد :

۳۰	داردينو :
۲۰۰	دريبر :
۴۲	دريد بن الصمة :
۶۹ ، ۸۳ ، ۶۸	رافع بن سهل :
۱۰۵ ، ۱۰۴	رافع بن عميرة :
۱۱۵	ربعي :
۳۹	ربيعة ابن ثور الاسدي :
۱۸۳	رتشارد :
۶۲	رحبان بن العرقه :
۵۳ ، ۵۵ ، ۵۶ ، ۷۰ ، ۷۷ ، ۸۳ ،	رفيده :
۸۴ ، ۸۵ ، ۱۷۴ ، ۱۷۱ ، ۱۷۶	
۱۸۴	رمزي مفتاح :
۱۹۸ ، ۱۹۹	رينو :
۱۳۱ ، ۱۲۹	زكريا الطيفوري :
۱۸۴ ، ۱۴۹	زكريا هاشم زكريا :
۴۶ ، ۷۶ ، ۱۳۴ ، ۱۷۶ ، ۱۸۰ ،	زيغريد هونكه :
۱۸۳ ، ۱۸۶	
۴۳	زهير بن ابي سلمى :
۱۹۷	زيادة الله الاكبر :
۹۴	زيادة بن ثابت :
۳۰	زيرتو :
۱۲۲	زينب طيبة بني اود :
۱۸ ، ۱۹	سارتون :

٦٠	سالم ولي ابن حذيفه :
١٨٧	
١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ،	مرهنتك بن ابي وقاص :
١١٩	
٦٠	سعد بن مالك :
٦٠ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،	سعد بن معاذ :
٧٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٧٣	
٦١	سعد بن عبادة :
١١٠	سعيد بن المزربان :
٣٣	سعيد بن عبده :
٩١	سلمى (مولاة النبي محمد * ص) :
١١١	سلمى (زوجة المثني) :
٣٩	سلمى (زوجة صخر بن عمرو) :
١١٩	سليمان :
٢٢	سمث :
١٧٩	سنان بن ثابت :
١٢٦	سنجر السلجوقي :
١٨٨	سيف الدولة (خلف بن ملاعم) :
٩٩ ، ٩٠٧	شرجيل بن حسنه :
١١٠	شعيب :
٦٧	شمس الدين الذهبي :
١٧٧	شمس الملك بن نظام الملك :
	شهاب الدين محمود بن قراجا :
٥٦ ، ٥٧	شبه بن ربيعه :
٣٣	شيرون :
٣٩ ، ٤٠	صخر بن عمرو بن الشريك :
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤	صلاح الدين الايوبي :
٦٣	صخرة بن سعيه :
٩٦	صفية بنت عمر بن الخطاب :

١٠٠ - ١٠٥ - ١٠٤	ضيار بن الازور :
٥٢	ضداد بن ثعلبة الازدي :
١٥٧	طارق بن يزاد :
٦٤	طلحة :
٦٧ - ٦٢	عائشة ام المؤمنين :
٦٩	عاصم بن قتادة :
١٠٦	عامر بن الطفيل :
١٢٨	عبد الجبار الجومرد :
٦٦ - ٥٥	عبدالرحمن بن عوف :
١١	عبد الستار محمد ثابت :
١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠١ - ٢٠٢	عبد العزيز بن عبد الله :
٢٥ - ٢٦ - ٢٢	عبد اللطيف البدري :
٧٢	عبد الله بن ابي بكر :
٥١	عبد الله بن الصمة :
١١٣ - ١١٢	عبد الله بن ام مكتوم :
٨٧ - ٦٤ - ٦٣	عبد الله بن زياد المازني :
٩١	عبيد الله بن علي ابن ابي رافع :
١٠١	عبد الله بن قرط الازدي :
٦٩ - ٦٨	عبد الله بن سهل :
٩٤	عبد الله بن عباس :
٦٦	عبد الله بن عبد الله ابن ابي :
١١١ - ١١٠	عبد بن الطبيب التميمي :
١٤٦	عبيد الله الباهلي (ابو الحكم) :
٥٦	عبيد بن الحارث :
٦١ - ٦٠ - ٥٩	عتبه بن ابي وقاص :
٩٤	عبد الله بن ابي طلحة :

٥٧ ، ٥٦	عقبة بن ربيعة :
١١٨	عقبة بن غزوان :
٦٠ ، ٥٨	عثمان بن عفان (رض) :
٥٥	عرقعة بن سعد :
٤٧	عروة بن خدام :
٢٠٩	عز الدولة :
	عضد الدولة :
١١٨	عقبة بن نافع الفهري
٦٠ ، ٦٩	عقبة بن وهب بن كلدة :
١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٥٩ ، ٥٨	عكرمة بن ابي جهل :
١٢٦ ، ١١٨ ، ٨٤	علاء الدين الغوري
٩٧ ، ٧٠ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٧ ، ٥٦	علي بن ابي طالب (رض) :
١٩١	علي بن فرج :
١٠ ، ١٦٨ ، ١٦٣ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٧٠	علي بن عباس :
١٧٤ ، ١٧١ ، ١٧٠	
١٧٩	علي بن عباس بن الجراح :
٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٥	علي محمد البجاوي :
٩٠	عمارة بن عزية :
٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٧٧ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٣٢ ، ١٧٧ ، ١٢٤ ، ١٢٣	عمر بن الخطاب (رض) :
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٢٣	عمر بن عبدالعزيز :
١٢٣	عمر بن العاص :
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣	عمر بن عكرمه :
٧٠	عمر بن ود :
٦٤	عمرو بن يحيى :
١٩ ، ٢٣ ، ٥٠ ، ٧١ ، ١٢٩ ، ١٧٩	عمر فروخ :
١٨٠	
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤	عمر كحالة :
١٢٣	
٣٥	عنودة :
١٠٠	عمرو بن الطفيل :

١١٥	عوف بن مالك التميمي :
١٠٧	عياض بن غنم :
١١٢	غالب بن عبدالله الليثي :
٤٥	غطفان :
١١٥	غيلان :
١٨٩	فارس الكردي :
٩١ ، ٦٢ ، ٦١	فاطمة بنت رسول الله (ص) :
٢٠٢	فكتور روبنسون :
٢١ ، ١٨	فهيم آبادير :
٦٧	فهيم محمد شلتوت :
٧١	فؤاد سيد :
١٨٦	فيليب حتي :
٧٢	فؤاد رشيد :
١٦	قابيل :
٦٨	قطبة بن عامر بن الحديد :
١٣٣	قيس :
١٧٥	قلاوون :
٢٠٢	كامبل :
٦٨ ، ٦٢	كعب بن مالك :
١١٠	كلثوم بنت علي بن ابي طالب :
١٢٢	كناسة :
٩٧	ليلى الفغارية :
٣٦	لوبون :

٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦	مالك بن الحارث الاشنر :
٩٣	مالك بن النضير :
١٢٥	مؤيد الدولة ابو المظفر :
١٨٣	ميرهوف :
١١٠	مجالد :
٩٥ ، ١٠٠	محمد ابو الفضل ابراهيم :
٩٦	محمد علي قطب :
٩٦	محمد عمر الداقوق :
١٨٣	محمد العروسي المطوى :
١٢٥ ، ١٧٧	محمود السلجوقي :
١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٧	محمود شلبي :
١٠٨ ، ١٠٩	مسعود بن حارثه الشيباني :
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٤	مسلم :
٦٣ ، ٨٧	مسيلمه الكذاب :
١٨٠	مصطفى السباعي :
٦٠ ، ١٠٧	معاذ بن جبل :
٥٧	معاذ بن عمرو بن الجموح :
٩٧	معاذ الغفارية :
١٠١ ، ١١٨ ، ١٤٢	معاوية بن ابي سفيان :
١٨٤	موفق الدين عبدالله البغدادي :
٦٧	محمد مصطفى :
٧٣	نابليون :
٥٢ ، ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٤٨ ، ١٧٧ ،	ناجي معروف :
١٧٩	
٨١ ، ٨٢	نايتنجيل (نايتنجيل) :
١٩٠ ، ١٥٣	ندی بن تلليل القشیری :
٦٢	نسبة بنت كعب (ام عمارة) :
٨٨	نجدة بن عامر المروري :
١٩٦	نصر بن فتح :

١٢٧ ، ١٢٦	نظامي المروضي السمرقندي :
١٧٨ ، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١١٩	تعمار ثابت :
١٧٥ ، ١٧٢	نور الدين الزنكي :
١٦	هابيل :
١٧٤ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٥	هارور الرشيد :
٢٠١	هالر :
١١٨	هرثمة بن عرفة الازدي (البارقي) :
١١٦	هسام بن الحارث :
٤٣ ، ٤٢	هوازن :
١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١	هوغو البولوني :
٣٢	ورن دوسون :
١٩٣	ولتر سكوت :
٦٣	وحشي :
١٣٥ ، ١٣٣ ، ٧٧ ، ٥٣ ، ٢٤ ، ٢٣	ياسين خليل :
١٧٤ ، ١٥٠ ، ١٤٨ ، ١٣٨ ، ١٣٦	
٢٠٩	
١٠٧ ، ١٠١ ، ٩٩	يزيد بن ابي سفيان :
١٣٣	يزيد بن عمرو التميمي :
١٢٨	يزيد بن مزيد الشيباني :
١٣٠ ، ١٢٩	يوسف بن ابراهيم :
٣١ ، ٣٠ ، ٢٧	يوسف خلف عبدالله :

« محتويات الكتاب »

٥	١ - الاهداء
٧	٢ - المقدمة
١٣	٣ - نشأة الطب العسكري
٣٧	٤ - طب العرب قبل الاسلام
٥٤	٥ - الطب في صدر الاسلام
٨١	٦ - التمريض في الحضارة الاسلامية
٩٩	٧ - الاسناد الطبي في معركة اليرموك
١٠٨	٨ - الاسناد الطبي في حرب العراق
١٢٠	٩ ١ - الاسناد الطبي في جيوش الدولة الاموية
١٢٥	١٠ - الاسناد الطبي في جيوش الدولة العباسية
١٣٢	١١ - الجراحة والحرب
١٧٢	١٢ - المستشفيات الحربية
١٨١	١٣ - الطب العسكري في الحروب الصليبية
١٩٤	١٤ - الطب العسكري في حروب المغرب العربي
٢٠٤	١٥ - معجم الاسماء
	١٦ - المصادر

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد

(١٢٧٨) لسنة ١٩٨٤



دار الحرية للطباعة - بغداد
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م



١٩٨٤

السعر ٧٥٠ فلساً

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

دار الحرية للطباعة - بغداد